عشر سنوات حول العالم

بقلم الرحالة العربي

محمود خير الدين الحلبي

صاحب جريدتي وفاء العرب والشورى الدمشقيتين

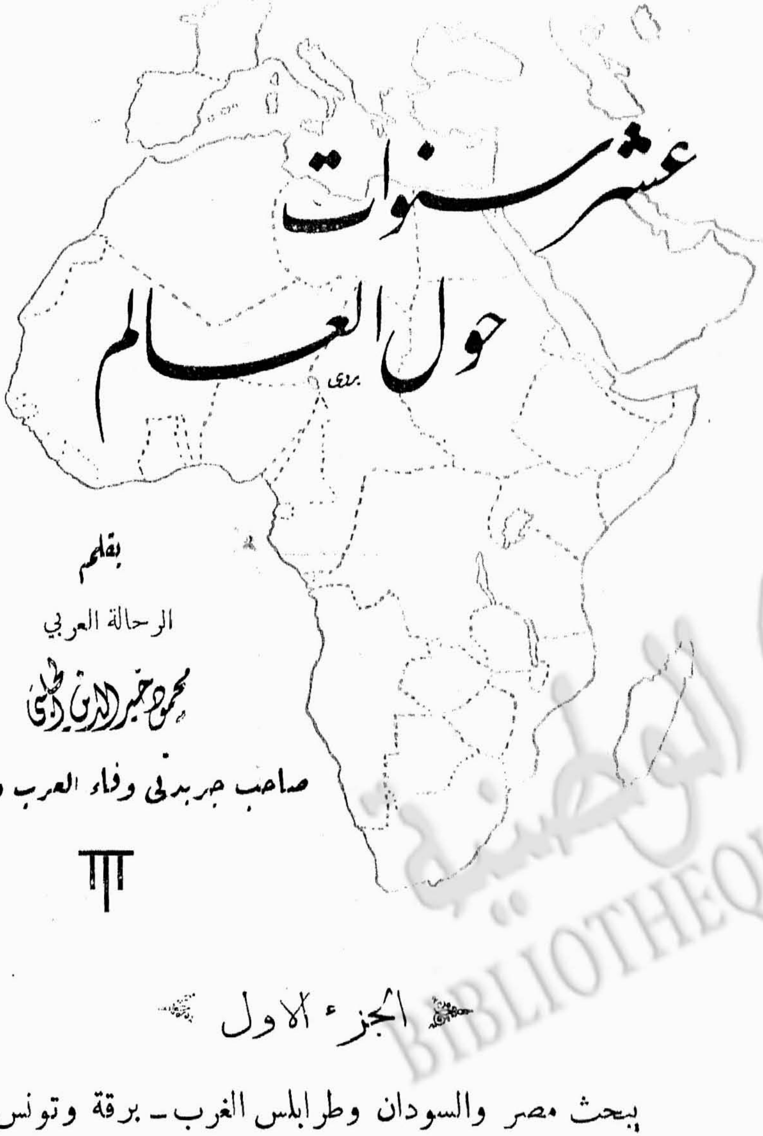
الجزء الأول

يبحث : مصر ، السودان ، طرابلس الغرب - برقة ، تونس

الجزائر ، بلاد المغرب ، الاندلس = اسبانيا ، فرنسا

افريقيا الشرقية ، مع فصول متفرقة

١٩٣٧ مطبعة ابن زيدون ١٣٥٦



عشر سنوات حول العالم

بقلم

الرحالة العربي

محمود خير الدين الحلبي

صاحب جريدتي وفاء العرب والشورى

الجزء الاول

يبحث مصر والسودان وطرابلس الغرب ـ برقة وتونس

والجزائر وبلاد المغرب وإفريقية الشرقية

مع فصول متفرقة

والاندلس (اسبانيا) وفرنسا

١٣٥٦ مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٣٧

الإهداء

إلى القوة التي جعلت الحياة كفاحاً مستعراً ، ونضالا مستمراً ، ومطامع لا تحد ، ومطامح لا تعد ؛ فكان الحلم والخيال ، وكانت الحقيقة والواقع ؛

وإلى قرينة حياتي الوفيّة ، وولدي الأوحد ، وهما أكثر الناس تعلّقاً بي ، وتحملاً لألم فراقي ، وتحيّلاً على اقتناص الصبر لدن انقطاع أخباري ؛ فكنت حقاً شغلهم الشاغل ، قلباً وفكراً ولسانا ؛

وإلى كل فاضل في خلقه وعلمه وعمله ، سَعُدتُ بلُقياه فلقيتُ الفضيلة والمقدرة والأحوذية .

إلى هؤلاء أقدّم كتابي هذا ؟

م . خير الدين



﴿ مؤلف الكتاب ﴾

وصاحب جريدتي وفاء العرب والشورى الدمشقيتين

المقدمة

أول خاطر يعنّ لي وأنا أباشر كتابة هذه المقدمة هو تقاعسنا نحن السوريين بصورة خاصة، والشرقيين بصورة عامة عن ركوب متن الأسفار، وقصد مختلف الأمصار، والتنقل بين شتى الأمم والشعوب، نستطلع أحوالها، وندرس أخبارها، ونعود بما ينفعنا معنى ومادة؛ نفعل ذلك رغم أن تاريخنا حافل بالرحلات البعيدة، والأسفار الطويلة، حاوٍ أسماء كثيرين من روّاد المجهول، وراغبي الاستكشاف، مشتملٌ على صور شتى تدل على أننا اتباع مَن عرفوا بالمغامرة والمخاطرة في ارتياد الأصقاع النائية؛ فالفينيقيون أول من تنقلوا على شواطئ البحر المتوسط ونقلوا متاجرهم وتعرفوا الى العالم. وكذلك العرب نرى فيهم مثل ابن بطوطة علماً في رأسه نار بما قام به من الأسفار، ومثله ابن خلدون وغيرهما ممن هزأوا بالعراقيل وهبوا إلى الرحيل، رغم بعد الديار، وفقدان الاتصال، ووعثاء الانتقال. ولقد خلّدوا للعالم صفحات رائعة صحبتها آراء ومشاهدات وحقائق ودروس مفيدة ممتعة، كما خلدوا أسماءهم وخلدوا أمتهم ولغتهم.

ليت شعري ما الذي يحول بين أحدنا ومفارقة موطنه، والتنقل أصبح هيناً ليناً، بعد أن ارتبطت أجزاء العالم بعضها ببعض بواسطة المخترعات الحديثة؛ فنحن إذا نحينا المهاجرين الذين يقصدون إلى بعض البلدان سعياً وراء الارتزاق والاتجار، ثمّ بعض الطلاب الذين يحطون عصا الترحال في بعض العواصم لارتشاف العلوم والفنون، لا نجد

بعدهم من يفكر بالسياحة ، ومفارقة الوطن ؛ ومنا ، وهم كثير ، من لا يطمع حتى بأن يزور أنحاء وطنه نفسه ، فتراه يجهل حدود بلاده ، وآثارها ومميزاتها ، بينما الأميركي أو الغربي لا شيء يثلج صدره ، ويبهج نفسه ، كالمصير إلينا للاطلاع على الشرق ودرس أحواله وأسراره وحياته . وهؤلاء الذين نراهم بين الفينة والفينة بين ظهرانينا تصحبهم نساؤهم ، ليسوا من الأغنياء الموسرين ، كما يتبادر إلى ذهن البعض ، فربما كان أحدهم لا يملك أكثر من نفقات سفرته ، ولكن القوم انتهوا في الثقافة والعلم والتربية إلى الإيمان بأن الأسفار ضرورية ، بل هي من الواجبات التي لا مناص من النهوض بمفترضها ، وإلا كان أحدهم مقصراً ، تجاه الحياة وأمام نفسه .

لا أريد أن أرجع سبب تقصيرنا في مضمار الرحيل والتنقل والسياحة إلى الفقر والجهل والجمود ، وهي عوامل لا أنكر أنها ذات أثر بليغ في الموضوع ، وصلةٍ جدّ وثيقة به ؛ إنما أحب أن أتعمق أكثر ، فأنسب العلة إلى التربية التي درجنا عليها منذ نعومة أظفارنا ؛ تلك التربية التي تجعل الطفل أسير داره ، وظلّ أهله ، وتجعل حدود حريته لا تتجاوز الحي الذي يسكنه ، وإذا كان تسامح وتسريح من أهله فإلى الشوارع العامة لا أبعد . إننا نربي أطفالنا تربية ناقصة مشوهة في أكثر نواحيها حتى يخرج أحدهم عبداً للأهواء والأوهام وصورة ميكانيكية تتحرك كما يتحرك الآباء والأمهات . إننا نزين في أنظارهم بما نضربه من الأمثال ، ونردده

من القصص ، حب السلامة في الإقامة والانزواء واحتقار الحياة ، والاستحياء والاستكانة . ولا نسمح بحال من الأحوال أن يفارقونا حتى إلى مدرسة في بلد تبعد عنا بضعة كيلو مترات ؛ وإذا آن وقت الجندية بكينا ولطمنا ، وإذا تزوج أحدهم بذلنا كل جهد في استبقائه تحت ظلنا أو بعبارة أوضح تحت نير استعبادنا ؛ نفعل هذا كله ونحن على اعتقاد راسخ أن الحب هو الحافز ، ويا ويل الحب الذي يعود بالمساوئ المختلفة وأقلها الشلل الفكري ! . .

والفكرة الثانية التي ترد عليّ هي التساؤل عن السبب والغاية من رحلتي . وقبل أن أجيب على ذلك لا بد من أن أذكر طبيعة الإنسان التي تأبى عليه أن يقوم بعمل من الأعمال ، ما كان نوعه ولونه ، إلا لمنفعة ما ؛ وهذه المنفعة إما كان سبيلها النبالة والخير أو النذالة والشر ؛ وفي الحال الأول تسيطر عليها نزعات التضحية والتفاني والمحبة ، بينا هي في الحال الثانية لا تعمل إلا للأنانية واللؤم والبغض . فجميعنا طلاب منافع وأصحاب مطامح ؛ إلا أن من يبذل من ذات نفسه وماله في سبيل الغيرية غير الذي يبذل ذات ما بذل الأول ولكن ليكسب هو وإن كان في هذا الكسب خسار المئات والألوف ، وضياع الكرامات ، والإساءة الى المثل العليا . والإنسانية هي الميزان في اقدار البشر ، فمن ثقلت موازينه فهو اقرب الى الكمال ، ومن خفت موازينه فهو أدنى إلى الوحشية . وأنا شهد الله ، لم ينازعني لدن رحلتي خاطر اكتساب مال ، او اقتناص جاه ، أو انتجاع صحة ؛ لا . إنما كانت تسيطر علي رغبة واحدة ملحة لم يكن

من المستطاع نزعها أو تنحيتها ؟ وما زالت في شرّتها وعنفوانها حتى غلبتني على أمري ، وغدوت لها تبعاً تأمر فألبي ، وتشير فأجيب : تلك رغبة سمّها ، إن شئت ، الواجب ، فهي وأيم الحق لا تفرق في شيء عن جميع الواجبات التي يقوم بها أحدنا نحو ربه ونحو أبناء جنسه . وسمّها أيضاً هوًى ، فإنها لكذلك ، لأنني كنت لا أشعر بلذة كلذة الانغماس في تيار العالم المتلاطم ، والتغلغل في أحشاء الدنيا ، والتنقل بين مجالي الطبيعة ؛ وسمها أخيراً أملاً عزيزاً عليّ ، فهي أول وآخر أمل كان يملأ رأسي وقلبي ، منذ تفتحت عيناي على الحياة ، فذقت طعم الجهاد العلمي والأدبي . لقد أحببتُ الحياة ، فأحببت لأجلها كل عنت وعذاب ؛ واحببت وطني فأحببت لأجله العالم كله ؛ واحببت العلم والأدب فأحببت لأجلهما كل سعي وكدح . فرغبة السياحة لذاتها بما تتضمن من واجب وهوى وامل وحرية ايضاً ، كانت الدافع الى الرحيل ، والحافز للاشتمال على أقصى ما يمكن من معاني الحياة والكون بصورة أعم .

والآن أحب أن أكشف عن رأيي في السياحة ، وطريقتي فيها ، فإن ذلك مما يرسم للقارئ صورة عما يطالعه بين صفحات هذا الكتاب ويرمز إلى خطتي فيما أكتب وأقيد ، ويسهّل الحكم لي او عليّ ، ولعلني في مثل هذا الوضوح لا أهضم حقاً ولا أستهدف لغضب أو نقد .

ويلٌ لمن لا يستطيع أن يكيف شخصيته ، وأن يحرك نظره في غير جمود ؛ وويل لمن لا تمدّه الفكرة بالحيل ، أو لا قبلَ له على الثبات والجرأة والمخاطرة ؛ وألف ويل لمن عُدم قوة الملاحظة والقدرة على المقارنة

والتأبي على الدنايا ؛ فإنه يمكن أن يكون ماشاء إلا أن ينخرط في سلك الرّحالين ، لأنه لا يفيد من أسفاره وجهاده سوى الخسار ؛ وإنه ليدور الدنيا برّها وبحرها ، ويزور العالم أبيضه وأسوده وأصفره وأحمره ، ويحسب أنه أصاب ما صبا إليه ، ثم يعود كالقابض على الريح ، أو الحالم في المنام . ومن المؤلم أنني مررت بكثير من هؤلاء المدعين الدجالين ، يزعمون أنهم جنود أمناء في ميادين السياحة ؛ وما هم من ذلك في شيء ، اللهم إلا في ظاهر كاذب ، يستعينون على تزويره في الأبصار بألسنة سليطة وترّهات وتخرصات برقشت بألوان الدين والوطنية والقومية واللغة . وإذا تركت التحدث عن فضائحهم وأثرهم السيء الذي خلفوه في كل أرض استعانت بالله على حمل ثقالتهم وصفاقتهم وجهلهم ، فإني لا أرى مندوحة عن القول إنهم كانوا لصوصاً متنكرين في مساعيهم ، أطفالاً سذّجاً في تنقلاتهم ، عبيداً أرقاء لشهواتهم . ولشدّ ما كنت أحقد على هذه الطغمة، ولشدّ ما كنت أعتب على أولي الأمر لعدم سنهم قوانين للسياحة تمنع الفوضى ، وتمحو الأذى ، وتبطل الشكوى ، وتحدّ الحقوق والحريات .

يقول الحكماء : العاقل من نظر فتدبر ، وسمع فاعتبر ، وسكت فافتكر . تلك هي الخطة التي حرصت جهدي أن لا أحيد عنها في أعمالي فقد كنت لا أحرك قدماً ، ولا ألقي بنظرة ، ولا أستمع إلى حديث ، إلا لأتعلم وأتفهم ، ذاكراً على الدوام أننا أطفال مهما بلغ أحدنا من الكبر ، لأن الحياة ذات أساليبَ وأزياء وأسرار ومعميات ليس للعقل

مهما رجح ، أو الذكاء مهما لمع ، أو القلب مهما شعر ، أن يشتمل على حقيقة جزء منها فضلاً عنها كلها . وبديهي بعد هذا أن لا أدعي العلم بكل ما مررت به ، والوقوف على ما لم يقف عليه من سبقني ، ولا أزعم أنني فتحت عالماً جديداً كان في سر المجهول ، ولكنني أقول ، غير مزهو ولا مفاخر ، إنني حملت للقارئ صوراً حرصت على أن تكون كالأصل ، وهذه الصور على تنوعها واختلافها نقلتها في الغالب الأعم كما هي كي يتسنى للقارئ نفسه أن يحكم عليها بعد أن يتوسع في فهمها واستخلاص روحها. وبالرغم من بعض الملاحظات والدراسات وبعض التحليل والموازنة ، فكتابي هذا عملي أكثر منه نظري . وليقنع المطالع بذلك فإن في هذا النوع من العمل العلمي من اللذة والخطورة ما لا يقل عن سوق النظريات المجردة والآراء الحدسية ؛ وإن الزمن الذي كان الادب فيه لفرض الأفكار والمذاهب فرضاً قد تلاشى وانعدم ، ونحن اليوم في عصر أصبح الكاتب فيه يستعين مع المطالع على العمل ، يقدم الأول ما يهيئه من الموائد بعد السعي والكدح ، ويقبل الثاني على تذوق ما يلذه من الأطعمة ، وما يعمل فيه رأيه . والكاتب عندما يقدم موائده ، لا يقدم في الحقيقة شيئاً جديداً ، لأن الأفكار والحقائق لا تتغير ولا تتبدل أو تتحول ، ولكنه يقدم الصيغة والشكل ، ولذوقه الأثر الأكبر في ذلك. وقد يعجب القارئ هذا الذوق أو لا يعجبه ، لأن الناس أيضاً على أذواق ومشارب متباينة . وهم في اختلافهم هذا لا يقتصرون على الأدب بل يتعدونه إلى كل شيء في حياتهم ، وعند ما يحكم أحدهم على قطعة أو

كتاب ، فحكمه مستمد من ذوقه العام الذي يحكم به على المرأة وعلى كل حاجة يراها . والغرائب كثيرة في هذا الباب ، لأنك تعثر على كثير من الأشياء التي يهيم بها بعض الناس ، وربما رأيت نفس هذه الأشياء صورة القبح ، ومثال البرودة ، ومجمع البلية ؛ ولماذا ؟ لأن عينيك أخذت الشيء كما يوائم نفسيتك ، وتبعاً لما يهمك ؛ ولوظيفتك اليومية ، ومطالعاتك الخصوصية ، وسير حياتك ، صلة وثيقة بذلك .

ولك بعد ما نقدم أن تعلم الأقطار التي كتب لي زيارتها والمكوث فيها ؛ وهي كثيرة أخصها الشرق العربي وفلسطين ومصر والسودان وطرابلس الغرب - برقه وبلاد تونس والجزائر والمغرب الأقصى وطنجة وتطوان واسبانية وفرنسة والحبشة واليمن وإفريقية الشرقية والحجاز وإيران والعراق والافغان والهند والسند وكولومبو وسنغافوره ومالايا وسيام والصين ... وإنها لبلدان كثيرة ذات نفسيات مختلفة وماضٍ زاخر بالحوادث ، وحاضر حافل بالتطورات ، ثم هي على عادات وخصائص وأوصاف جديرة بالتدوين والإثبات . وإذا ذكرتَ الروابط التي تجمع بين أكثرها ، سواء في اللغة أو العنصر أو الدين أو التاريخ قدرتَ الفائدة التي تعود من درسها وتقرير أحوالها . فلا شيء اليوم يهمنا على اختلاف الدين وبعد الأقطار ، واختلاف اللهجات ؛ مثل ايجاد وحدة فكرية تأصر أحدنا على الآخر ، وتجعلنا كالجسم الواحد إذا تألم عضو شاركته بقية الاعضاء . إن السياسة ظلت قروناً تنخر كياننا حتى قطعت أوصالنا ، وانتهت بنا إلى حالٍ مهينة ، ولا يمكن إزالة آثارها ، وإزاحة

وطأتها ، إلا بهذه الوحدة الفكرية التي تلهمنا العمل مجتمعين والسعي متضافرين ، في كل ما يعود بنا إلى سابق العز ، ويعيد لنا أمجاد تاريخنا ، ويمدّنا لحياة الحرية والاستقلال . إن أكثر الأقطار العربية التي زرتها لا تقل رقياً عن بعض الامم الغربية التي تتمتع بنعمة الحرية ، وأقوامها ليسوا أقلّ ثقافة وأدنى استعداداً للحياة من غيرهم ، ولكنها السياسة قاتلها الله ، أو إن شئت فقل المطامع ، هي التي حكمت على تلك الأقطار بأن تبقى مستعبدة مستذلة ليس لها من إدارة الحكم سوى الاسم ، وليس لها من ثرواتها وخيراتها سوى الرسم . وهذه السياسة الطامعة السوداء نفسها هي التي يجب أن نستثمرها نحن أيضاً ونفكر فيها ونجعلها حافزاً لنا على العمل لبلوغ الأمل ، فان البؤس والذل بما يتبعهما من شدة وشقاء يفيدان الامم المستضعفة على استشعار الواجب ، واستلهام السعي إذا روعيت شرائط الثبات على التفكير في تحطيم القيود ، وإنكار الجمود ، وإنماء روح التمرد .

إن الأقطار العربية الشرقية تستطيع أن تحتل مركزها الطبيعي ، وتحلّ بين الامم المستقلة ، وتحمل الخير للعالم مساهمةً برقيه ، إذا استطاع ملوكها وزعماؤها ومفكروها أن يوجهوا همتهم إلى بث روح التضامن بين أفرادها وجماعاتها ، فالامم لا تنهض إلا بهذه الروح التي تشتمل على كل مضامين الرقي والنجاح . ولم تنحط أمة إلا يوم تخاذلت قواها الفكرية والعملية ، واحتلت الأنانية مكانها ، فأصبح الفرد فيها لا يفكر إلا بصالحه الخاص حتى ولو كان في هذا الصالح الخاص مايضر بوطنه .

وإيجاد هذا التضامن لا يكون بغير إصلاح طرق التربية وهذا يستدعي القيام بثورة فكرية يتفق على أصولها . وليست بالعسيرة كما يتوهم البعض خصوصاً وفي أكثر البلاد التي زرتها ، وعلى الأخص مصر والعراق وسورية ، نهضة فكرية طيبة ، تبشر بالخير ، وتقوي الأمل ، وتجعل التضامن المنشود قريب التحقيق .

والآن وأنا أنهي هذه المقدمة أشعر بعاملين قويين يتنازعانني ، وهما متضادان ، يجذبني الواحد ويتحكم في ، ثم ينقض عليه الآخر فيدحره ، وأنا بينهما كالمأخوذ . إني لأشعر بما قاسيته في رحلاتي من آلام هي نتيجة مصاعب وعراقيل كثيراً ما كانت تعترضني . فأذكر كيف أشرفت على الموت غرقاً وسقوطاً من السيارة ، وكيف كُسرت ضلعي فحملت بين الموت والحياة إلى المستشفى ، ثم تلك المذكرات الثمينة التي فقدتهـا ، ولو عرض علي ملء الدنيا لما اشتريتها بها بدلاً ، ثم ما أضعته من دراهم كانت ذخيرتي في سفرتي ؛ زد على ما تقدم تلك الليالي التي بتّها على مضاجع وفي أماكن لا يرضاها مثلي ، وكيف حفيت أقدامي في قطع المسافات الشاسعة حيث عدمت وسائل النقل . وأفظع من كل ما تقدم تلك الصدمات العنيفة التي كنت ألقاها من بعض من لم يفهموا الحياة ، ولا أوتوا بداهة التمييز بين خدمة العلم والعرفان ، أوطلبة الاصفر الرنان ، فان الموت والله لأهون علي في تلك الساعة من مقابلة من ذكرت ووصفت ؛ والمؤسف أن هذا النفر هم ممن طارت شهرتهم واستفاضت أخبارهم وشغلوا مراكز عالية . هذه هي الخواطر التي ترمضني

كلما عنّ لي شيء منها؛ أما العامل الذي كان وما زال سلواي ومفزعي، بل لذتي وهنائي، فهو ما كنت أشعر به كلما حللت بلداً أجتمع فيها بأهل الفضل والنبل والثقافة والاريحية، فأراني بينهم كأنني بين أهلي ومعارفي، كذلك كلما وقع نظري على حالات يجول فيها الفكر لأنها تسترعي النظر، ففي مثل هذه الحالات كنت أنسى كل آلامي الماضية، شاعراً كأنني ولدت من جديد، أو ان شبابي قد تجدد، راجعاً عشرين سنة إلى الوراء. والحق أن في الرحلات والاسفار لذةً لا يمكن وصفها وقدرها، ولذلك ترى من ذاق طعمها في يوم من الايام لا يمكنه ان ينفض اليد منها، وينكفئ عن الاندفاع مع تيارها، ولهذا أيضاً تراني لم يعد يقر لي قرار، وليس لي جلد على الاستقرار. وإذا ما طال المكوث تبلدت قواي، وبردت همتي، ودب الملل في روحي، وقام في خلدي انني كسول، خامل، كأنما بُدلت غيري.

وإذا كنت قد اقتصرت في هذا الجزء على أقطار دون غيرها، فلأن مجال القول واسع، ونواحي الموضوع بعيدة. ومن الله أطلب التوفيق في اتمام مابدأت، ومن أهل الفضل أرجو العفو والتنبيه ان زللت، وحسبي أنني قمت بالواجب إن وفقت فيما خططت.

وداع واستقبال

لم تخطّ يدي كلمة الوداع ، وتنحطّ عليها عيني ، ثم تمتدّ الى خاطري حتى عنّ لي موقف أبي عبدالله الصغير ، آخرِ ملوك الاندلس ، يوم ودّع وطنه وأمته ، حزيناً مستعبراً ، مصعّداً ما كان يجول في قلبه من آلام وأحزان ، فكانت كلماته روحاً مقطعة إرباً إرباً ، لا كلمات ولا أصواتاً ؛ وكانت معانيَ خالدةً ، لانها خلت من التكلف والتعمل ، وصدرت عن قلب صاحبها قهراً وقسراً كما يصدر البرعم ويتشقق ، أو كما يرجّع الطير انين احتضاره . لذلك كانت ادباً حياً خالداً جديداً . لقد بكى عبد الله شعبه ونعاه ، وخاطبه وودعه ولكن بلهجة نادم على ملك لم يستطع ان يحافظ عليه كما يجب أن يحافظ على الأوطان حتى تمثلت أمه قائلة :

فابكِ مثل النساء ملكاً مضاعاً   لم تحافظ عليه مثل الرجال

أما أنا فإني ودّعت وطني المفدّى ، وشعبي الكريم على غير تلك الحال ؛ ودعته وأنا أذرف دمعتين: دمعة حريص على أن لا يفارق من يحب ، ودمعةَ امرئ فتح قلبه لاستقبال نور العالم وآفاق الكون وأسرار الحياة كي يتزوّد بعض ما فيها جميعاً من خير وجمال . أمل . فأنا إذن أشبه هذا الذي يضطر اضطراراً إلى الانقطاع عن أهله أحبّ الناس إليه ، الى بلاد بعيدة او قريبة ، كي يحمل إليهم ما يكفل لهم العيش الهنيء ويحفظ لهم المستقبل ، ويبعد عنهم أشباح اليأس . فهو متألم لبعده عنهم ، سعيد لانه

يقوم بواجبه نحوهم . وكل ما يلقاه ويلاقيه من الشدة والجهد والعذاب، يزول عنه وينقلب هناءً وسعادة وراحة ، عندما يعود الى من تركهم ، شاعراً بالحب يتجدد ، وبالكرب يتبدد !



دمشق

هكذا ودّعت دمشق عروسة البلاد العربية ، ومن ورائها بقية البلاد السورية ؛ أما ما ودّعته ، فذكريات عزيزة قد اشتملت على صور رائعة من أمجاد تليدة ، وتطورات جديدة . لقد شُغلت قبل أن أودع بلادي بأسابيع كلما كنت اخلو إلى نفسي بخواطر ملحة لا تغادرني احداها إلا لتعود أقوى وأشد . كنتُ أنتقل بالفكر إلى ماضي سورية المضيء ، فأرى الى الفينيقيين تضيق بهم بلادهم التي لم تكن صالحة للزراعة ، ولم يكن عندهم ما يستثمرونه ، فيميلون إلى الملاحة، ويتنقلون على الشواطئ مهتدين بنجمة القطب ، حتى يتأتى لهم الوصول الى البلاد الانكليزية .

وما هي إلا دورة من دورات الزمن حتى يصبحوا اثرياء بجدّهم وثباتهم ومخاطراتهم ، ويخطوا في التاريخ صفحة حافلة بالبطولة وتشييد الموانىء وتوسيع التجارة واختراع حروف الهجاء ... ثم أرى الى الروم يحتلون سورية ويجعلونها ولاية بعد أن تمزقت حكومات الاسكندر في بلاد الشرق ، ويرهقون الشعب بالمكارم والمظالم . وما يزالون كذلك حتى تتضعضع قواهم إثر ما نشب بين ملوكهم وحكامهم من الانقسام والفساد . وكان نور الإسلام وقتئذٍ قد بدر وسطع ، فجاءت جيوشه بقيادة سيف الإسلام خالد بن الوليد ، والمجاهد الكبير أبي عبيد الله الجراح ، فافتتحها بلداً بلداً ، في مدة قليلة . وكانت تلك الوقعة الكبرى التي لا ينساها أحدنا ، وهي وقعة « اليرموك » التي كللت هام الإسلام بإكليل من الظفر ، وخذلت الروم شر انخذال . ثم أذكر منشأ الدولة الأموية ، ولا أكاد أذرف الدمع حزناً وارتماضاً على ما نال أهل البيت عليهم السلام في ذلك الزمن من مصائب ومحن حتى ينقلب ذلك الدمع نفسه إلى فرح وغبطةٍ لأن الفتوحات الاسلامية والحمد لله لم تتوقف ، ولأن كثيراً من الملوك الأمويين وفقوا إلى خدمة أمتهم ودينهم خدمات جلى واستطاعوا بحكمتهم وسياستهم أن يجعلوا من دمشق عاصمة العالم كله . وبلغت الحضارة في عهدهم منزلة يفخر بها تاريخ الإسلام ... ويمتد بي خيال الذكرى فأستعرض سورية في مختلف الأدوار التي مرّت بها حيث كانت تعلو ثم تهبط ، وتزهر ثم تجف ، تبعاً لمن يتولى الحكم فيها ،

وآخرهم ملوك بني عثمان الذين حكموها ستمئة سنة تقريباً فحكموا الذل في أهلها، وحاكوا لهم لباس الجهل مايستطيع أحدهم خرقه، فإذا فعل كان مثواه أعماق البوسفور أو النفي إلى المجاهل، أو القتل شنقاً وسماً. وهنا تلوح لي القضية العربية: ثورة المغفور له الحسين بن علي، ومظالم جمال السفاح، واستشهاد الاحرار العرب، ثم دخول الجيش العربي سورية وعلى رأسه المغفور له فيصل، ويوم تتويجه الزاهر، ثم وقعة ميسلون وبطلها الخالد يوسف العظمة، ثم فرض الانتداب وما جرّه من ثورات وفتن ور كود في الاعمال، وضياع للثروات، وكلها أخر تقدم البلاد، وأفسد القلوب، وفطر الأكباد.

كانت هذه الذكريات وغيرها على ما تحويه من لذة وألم تشغلني قبيل وداع بلادي، وكنت أيضاً أذكر الجامع الأموي بدمشق في باب بريدها قرب مكتبتها الظاهرية الكبرى ومجمعها الاغر، وبرداها ينساب في مرجها يشطرها شطرين تقوم على ضفتها البنى والعمارات الجديدة، وكأنه في انسيابه الهادئ، ومن فوقه قيسون الشامخ بأنفه فوق المهاجرين وتوابعها شيخان حنكتهما التجارب والايام، فراحا يتحدثان في شبه همس العشاق عمّا كان وسيكون، ولا يدرك حديثهما سوى القوة المحجبة التي أوجدتهما وفرضت خلودهما، فتغير كل شيء في دمشق خلاهما... ومن دمشق وماحوته من كنوز كنت أنتقل إلى حمص وحماه وحلب ثم بيروت ولبنان وما اليهما، فيتراءى لي ماحوته من العظماء الغابرين، في مختلف نواحي الحياة، ومن الآثار الناطقة بالزكانة والفطنة



المغفور له صاحب الجلالة فيصل الاول

وقوة الابتكار والابتداع ؛ والطبيعة الفتانة في مختلف الفصول تقدم لعشاقها الصحة والهناء فيخال لهم أن جنة السماء قد انتقلت إلى الغبراء ، فدارت الدنيا بأسرها ولم تختر مقراً سوى هذه البقعة الممتازة .

ما أحلى الذكريات وأمرّها ! إن لذتها كمرارتها . والذي يذكر ليفرح لا يلبث أن يغادر ذكرياته ملتاع القلب . لقد علمت أني مفارق وطني بعد أيام ، وعلمت أيضاً انني لا أستطيع الجزم بالعودة اليه ، فما أنا إلا وديعة الحياة لا ألبث كغيري من أبناء حواء الا القليل حتى تستردنا الأرض إلى بطنها . فكان من ذلك أنني شعرت بالحقد الذي اعتاده الشباب كلما تراءى له الموت ، فيغضب ويثور ، لأن دمه الحار يتدفق سراعاً في عروقه معلناً الثورة على الضّعف ، ولأن الحياة فيه تتأبى على كل يأس يحاول أن يعتريه ، والطبيعة نفسها توحي إليه للحال أفراح الحرية والنشاط والرجاء ، فإذا هو أقوى منه قبل أن يذكر الموت والفناء .

وهكذا وجدتُني انتقل من الوداع الى الاستقبال كما ينتقل المسافر من قطار إلى قطار ، أو الطير من ربقة الأسر إلى رحاب الانعتاق .

فشرعتُ أهذي بما سوف تقع عليه عيناي في رحلتي من جديد وجميل ، وما سوف أغذي به الفكر والعاطفة من جمال وجلال . ولا أنكر أنني قدّرت الفوائد الجلى التي سأصيبها ؛ وأخصّها أن الكون والعالم اللذين كانا عندي ورقاً وحبراً ، سوف يستحيلان إلى مشاهدة وحسّ . فأستطيع أن أومن وأجزم بما كنتُ أعده نظريات مجردة ، وأفكاراً خيالية ، ويتأتى لي أن أفاضل وأحدد وأحكم . وأكبر همي كان درس

المجتمع العربي عن كثب لأهتدي الى سر تقهقره وانحلاله ، فان علم الاجتماع بنظرياته الحديثة أصبح لا يجتزئ بالسماع والرواية ، ويفرض الاحصاء والاستقرار في درس الظواهر الاجتماعية . والحمد لله انني وفقت في هذا الشأن توفيقاً يرضيني . فعدت وأنا على مثل اليقين بأن الأمة العربية قد تقهقرت وتدحرجت من عالي عزها وصولتها بسبب فساد أخلاق أولي الامر فيها ، وأخصهم الملوك والعلماء والزعماء . وهنالك عامل آخر هو الدخلاء والأعاجم الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون ، ويتزيون بالاسلام وهو منهم براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ؛ ثم الجمود ومنشؤه الجهل ، والتفرق ومبعثه السياسة ، فتأخر العرب إذن ليس نتيجة الفقر المادي ، كما زعم ويزعم كثيرون ، إنما هو نتيجة فقر روحي . ولو أن العرب اتفقوا على أن يدفع احدهم قرشاً واحداً في السنة لاستطاعوا أن يهيئوا أكبر الاساطيل وأعظم الجيوش وأقوى الحكومات ؛ وهم لا يمنعهم من ذلك سوى اختلاف كلمتهم ، وانقسامهم بعضهم على بعض ، وأنانية كبرائهم ، وشح أغنيائهم ، وفساد طوية علمائهم . واذا كانت المانيا نهضت بعد كبوتها بشبابها وزعيمها هتلر ، ومثلها ايطاليا بفتيانها وفتياتها وعظيمها موسوليني ، وتركيا بناشئتها ومنقذها مصطفى كمال ، وإيران بالمتنورين وبجنديها بهلوي خان ، والأفغان ببطلها نادر شاه وولده محمد ظاهر خان ، فإن البلاد العربية ، على اختلافها ، لا يمكنها التخلص من أسارها ، وتبديل حالها ، وتنظيم مرافقها ، إلا بالشباب الحي الذى يهزأ بالعراقيل ويسخر بالأحابيل ، ويتخطى الموت الى

الحرية . وكثير من البلاد التي تنطق بالضاد تشتمل على شباب قوي في ايمانه ، قدير على العمل ، قمين بالنجاح ، شرط أن يكون إلى جانبه زعامة صالحة تعرف سبل القيادة والمنازلة . ومهما يكن فإن العلم لم يزل مبخوس الحق والقدر ، والأمية ما تزال متفشية بشكل تختلف درجته بين قطر وقطر ، ومضاعفة الهمة في القضاء عليها جدّ ضروري . ثم ان طرق التعليم نفسها تحتاج إلى إصلاح ، وإصلاحها يستدعي قبل كل شيء توحيد العمل بين مختلف البلدان العربية ، من حيث تكون الثقافة واحدة ، يستطيع معها ابن الشام أن يدرس نفس ما يدرسه ابن النيل وابن الرافدين وهلم جرّا . ومتى توحّدت الافكار توحدت القلوب ، واتحدت الهمم والايدي على العمل وبلوغ الأمل .

وبين الوداع والاستقبال لم أشعر إلا وأنا على سلم القطار في محطة الحجاز بدمشق بين رهط من الأهل والمعارف . وهكذا تفنى ساعات العمر دون أن نحسّها ويكون لنا حيلة في استمهالها ؛ وهكذا سرت مُسلِماً قيادي للقدر ، مسلّماً على قلوب استحالت الى مناديل تلوّح في الفضاء منادية : **الى اللقاء** ؟

الهيكل المهشم

هاءنذا في القطار، وهاهو يملأ الفضاء دوياً، كأنه موجوع أو مفجوع، ومن يدري فلو كان له قلب يخفق وعقل يفكر، وحواس يترجم بها عما يكنه، لأسمعنا من الشكوى الأليمة، ما نبهت أمامه، ويأخذنا العجب من غطرسة الإنسان وكبريائه ومطامعه الملتوية. وهاهو فكري أيضاً شرع في الحركة كأنه على اتفاق مع القطار؛ والحق انني ماأويت إلى مركبة، أو ألقيت برأسي إلى وسادة، أو انفردت، إلا بدت الهواجس والخواطر تتوارد عليّ، واني لأشعر من ذلك بغبطة، لانني أملك زمام نفسي، وأفكر تفكيراً هادئاً طبيعياً، فأذكر كثيراً مما فات، ويُفتح علي كثير مما استبهم واستغلق.

وللقارئ أن يعلم بماذا فكرت، وفي أي ميدان تجولت. وهل كنتُ سعيداً في النتيجة التي انتهيت اليها من سلسلة أفكاري، أم بالعكس. ولن أُطيل عليه في الجواب. وأُلقي اليه بالحال انني شُغلت بما ضمته هذه البقعة الممتدة بين الشام ومصر، من فوضى واضطراب، وترقيع ومهازل، واغتصاب وسلاب، ومطامع لا ترتكز على عقل ومنطق؟ وبدهيّ بعد هذا كله أن أعود محزوناً مكروباً. وهل في الشرق كله، وسورية بحدودها الطبيعية بصورة خاصة، ما يجعل في العين الا القذى، ويملأ القلب إلا بالأذى؟

فكّرت بادئ الرأي في السكة الحجازية ، هذه المؤسسة الدينية او الحربية أو التجارية او ما شئت فقل ، وهي التي قامت بأموال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، تصبح اليوم مقطعة الاوصال ، مقسمة الأعضاء ، مهينة الحال ؛ ليس لأصحابها الشرعيين منها كثير او قليل ، ولا يفكر بحقوقها أحد . رجعت بالفكر إلى منشإ تأسيسها عام ١٣١٦، ثم انتهائها عام ١٣٢٥ ، وذكرت عهدة لوزان التي فصلت في أمرها بعد ما تنصّل الأتراك بواسطة زعيمهم عصمة باشا من الديون المتراكمة عليها مدّعين أنها ليست أكثر من مؤسسة إدارية كانت مرتبطة بمشيخة الإسلام ؛ فوفروا بذلك على أنفسهم عدة ملايين كانت تطالبهم بها حكومات الغرب . وذكرت الاتفاقات التي أعقبت مؤتمر لوزان والتي كان آخرها الاتفاق على أن يشغل كلّ من ملك الحجاز وفرنسه وانكلتره الخطوط التي تمرّ في بلادهم ، وان يكون هنالك مجلس سنوي يعقد في المدينة المنورة تحت إشراف أكبر عالم مسلم لينظر مع اللجان القائمة على الخطوط في جميع ما يتعلق بهذه السكة وما يعود عليها بالربح والنجاح . فكان هذا الإتفاق كغيره من الاتفاقات التي ترتبط بذنب السياسة ، وتصطبغ بلون المنافع ، فهي في كل حين على حال : تارة تظهر ، وتارة تختفي ، وحيناً يطالَب بها وحيناً يغفل أمرها . وذكرت المواقف التي وقفها بعض الوطنيين في الشام ، وكانت المنافع الشخصية هي الحاكمة ، والارادات الضعيفة هي المتساهلة . وأخيراً ذكرت تلك الخطوط الجديدة التي حسنتها ومدتها تركية في بدء الحرب الكبرى وخلالها بمساعدة

حليفتها المانيه ، كخط يافا ـ القدس الذي عُرّض أيام الحرب من ١٠٠ الى ١٠٥ وخطوط عكا ـ المسعودية ، نابلس ، طول كرم . وما قدّمته هذه السكة من الخدمات الجليلة من الوجهة الحربية ؛ فأكبرت أن تطمس الحقوق ، وتطوى صفحة هذا المشروع الكبير ، ورجوت أن يأتي يوم من الأيام يعود فيه الى سابق حاله ، ويصلح منه ما تداعى وخرب، وينهي على شكل يُفيد منه المسلمون الغاية التي انشئ لاجلها .

* * *

وكان إلى جانبي في القطار طبيب مواطن لطيف المعشر ، عذب الحديث ، فسألني إذ رآني صامتاً عما يجول في خاطري ، فأخبرته أنني متألم جد الالم لمصير هذا الوقف الإسلامي الكبير ، فتبسّم ، وشعّت عيناه ببريق غريب ، ثم قفّى قائلاً : ألك أن تسمع حكاية تتعلق بهذا الخط . قلت : هات ماعندك . قال : كان والدي المرحوم محباً للحكومة العثمانية متصلاً بكبرائها ، وكان له حانوت كبير اتخذه لتجارة الساعات ؛ فلما بدأت فكرة الخط الحجازي ،وشرعت الحكومة العثمانية تبث له الدعاية شعر والدي بالواجب ، وبعد أن أعمل الفكرة ، خطر له أن يحيل حانوته الى شبه محطة تحتوي على بعض الخطوط الحديدية والقطارات ، بشكل مصغر ، ثم يدعو الأهلين لمشاهدة عمله ، ذاهباً إلى أن هذا العمل من أكبر الدعايات . وسرعان ما أخرج فكرته الى حيّز الوجود . وبعد أن تمّ له ما أراد دعا الوجهاء والامراء وكبار الموظفين ، وكان على اتصال بهم فأعجبوا بما رأوا . ولم يرعه إلا أن الوالي يرسل في طلبه ، وينصحه

يهدم ما بناه . ولما سأله عن السبب ، أخبره بأن الباب العالي اذا علم بذلك لا يتأخر عن نفيه ، لانه يعدُّ عمله اهانة للمشروع ودعاية موجهة ضده . وكان ناظم باشا من الغُيُر والأذكياء ، فلم يشأ أن يُحمل كلامه على محمل خاص ، فقص على والدي حكاية مناسبة قائلا : كان في الآستانة بعض طلاب يتعلمون الجغرافية . ولما أزف موعد الفحص ، أبرز أحدهم ، وكان ذكياً لبقاً ، مصوّراً جغرافياً للقسطنطينية ظل عدة أشهر يهيئه فما أن رآه مدير الهيئة الفاحصة حتى سأله عما يقصد من عمله ؟ فأجابه بأن واجبه دفعه إلى تصوير العاصمة العثمانية في مصوّر خاص فما كان من صاحبنا إلا أن عنّفه وأسقطه ، وكان من جملة كلماته التأنيبية أن الآستانة (درسعادت) على وسعها ورفعة شأنها لا يمكن أن تصوّر على الشكل الصغير الذي رسمه ، وعدّ ذلك إهانة لا تغتفر .

فكان في قصّة الرفيق ما أذهب عني بعض الوحشة ، وفثأ بعض الألم ، واستثار كامن الضحك .

* * *

وفي الشرق العربي شغلني خاطر واحد ، هو الغاية التي أهابت بانكلترة الى إقامة هذه الحكومة الصغرى حاجزاً بين سورية وفلسطين ، فاستبانت لي المهزلة السياسية بفصولها المُحكَمة ، وبدت لي انكلتره بعيدة في تفكيرها ، متأنية في أعمالها ، رشيدة في مصالحها ، تضع الخطة لكل مشروع ، ثم تتعقبه بثبات واجتهاد وجرأة ، وتسعى حتى يتهيأ ويتمّ ، فتتلقفه غنيمة باردة ؛ ولا تبتّ في أمر من أمورها إلا جعلت فيه ناحية

مفتوحة تتمكن من التسرب منها إلى غاياتها في أي وقت شاءت. إنها تجيد العمل، وتعرف كيف تطلق الطير وتحفظ في يدها الخيط الذي يربطه، فهو يجول في آفاق الحرية، وينطلق حيثما أراد، ما دامت المصلحة الانكليزية راضية، ولاشيء أسهل على هذه المصلحة من اعادة ذلك الطير الى القفص متى أرادت. والشرق العربي، وحكومته، وجميع ما يتعلق به لا يخرج عن الدائرة التي رسمنا، فانكلتره قضت مصلحتها بإنشاء هذه الحكومة، فكانت؛ وغداً ستتلاشى هذه المصلحة فتنعدم تلك الحكومة. فهي إذن حكومة موقتة، والرواية التي تمثلها انكلترة في جزيرة العرب، ذات فصول رأينا منها حتى الآن المقدمة وطرفاً من الفصل الأول، والنتيجة هي انها تطمع بالسيطرة على كل هذه البلاد بما فيها سورية؛ ولكنها تنتظر، كما أسلفنا، الفرص، وتعدُّ عدتها ولا تملُّ في ذلك أو تكل، مهما يطل الوقت، ومهما يعترضها من عقبات.

ومما لا يسعني إلا التنويه به وأنا أتكلم عن الشرق العربي، هو أن في هذه البقعة العربية روحاً وطنية طيبة، ونهضة علمية مباركة، والفضل الأكبر عائد الى ولي شأنها صاحب السمو **الأمير عبد الله** الذي جمع ما بين السياسة والكياسة، وعُرف بين الملوك والأمراء بالعلم وحب الأدب. فهو عالم من علماء الإسلام الذين يشار اليهم بالبنان، وهو أديب ينظم الشعر ويكتب كأحسن الأدباء؛ وله مطالعات وآراء تدل على روح عالية وثقافة سامية منشؤهما الذكاء الفطري والاجتهاد الشخصي.



صاحب السمو الأمير عبد الله

ولا شك أنه عالم بالموقف الذي يقفه وأمته ، ولا شك بأنه يسعى لصالح العرب ولن يكون أقل من أبيه خدمة وتجرداً ونضالاً .

* * *

أما فلسطين فإنني لا أستطيع أن أخطّ عنها كلمة قبل أن أحيي ذلك الجدث الطاهر الذي ضمّ المغفور له جلالة **الملك حسين** عاهل العرب الأكبر ومنقذهم ، والذي ضحى بملكه وحياته في سبيلهم ، تغمده الله برحمته وبلّل ثراه بكرمه ، وجزاه عن أمته ووطنه خير الجزاء .

وفلسطين ليست نكرة لتعرّف ، فإن العالم من أقصاه إلى أقصاه ، علم بوضعها ، وأنها ضحية السياسة الغاشمة ، والبحث في حالتها العتيدة ، ومصيرها الآنف ، يشغل الافكار في مختلف الأقطار ، لأن البلاد الفلسطينية ذات قدسية في العالمين الإسلامي والمسيحي . ففيها ثالث الحرمين الشريفين ، وفيها بيت المقدس مهد سيدنا عيسى (ع) وهي منذ مئات السنين ملك العرب افتتحوها افتتاحاً . وليس هنالك أيّ عذرٍ يبيح إسكان شعب غريب فيها عُرف بنزعته المادية ، فاضطهدته سائر الأمم وعاش منذ القديم مشتتاً ، موزعاً .

ليست القضية الفلسطينية كغيرها ، ففي الأقطار المحكومة على أمرها يتنازع الشعب مع الحكومة الوصية لنيل حريته ، وهو واصل الى ذلك في يوم من الأيام على حال من الأحوال . أما في فلسطين فالخطر الصهيوني من جهة ، والحكومة المنتدبة من جهة أخرى . وكلاهما قوي

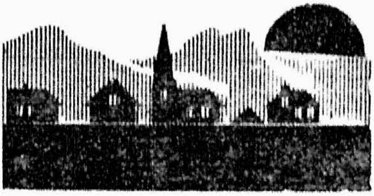


المغفور له جلالة الملك حسين

بالمال وبالقوة . وليس ما يساعد الفلسطينيين سوى إيمانهم القوي وجهادهم السلمي . وإلى الآن لم يفيدوا خيراً رغم الدماء التي سفكوها ، والأموال التي بذلوها ، وما زالت السياسة الانكليزية على وضعها من عدم الإصغاء لإجابة مطالب الأهلين الحقة ، وأخصها توقيف الهجرة الصهيونية ، وما يزال أصحاب البلاد على خطتهم في المقاومة والمناهضة . ولا يعلم إلا الله ماذا يكون . على أن العارفين يرون أن الحلم الصهيوني محال أن يحقق ، لأن انكلترة نفسها توجس خيفة من تحقيقه على النحو الذي يطمع به أهله ، ولأن العرب محال أن يلينوا أو يقبلوا بتسليم بلادهم إلى غيرهم ، وهم المعروفون بالإباء وقوة الإرادة والتضحية . ولأن وجود العرب حوالى فلسطين يجعل موقف الصهيونيين صعباً مهما ضاعفوا جهادهم ، ونثروا أموالهم . وشيء آخر هو أن اليهود ليسوا كلهم صهيونيين والصهيونيون أنفسهم ليسوا كلهم راضين عن فكرة اتخاذ أرض الميعاد وطناً لهم ، وهؤلاء الذين أتوا فلسطين هم خليط ولمامات ، لا يجمع بينهم إلا المنفعة المادية التي اشتهر بحبها يهود العالم أجمع ، فعندما تخف هذه المنفعة وتجف الموارد ، لا يلبث الكثيرون أن يشعروا بالخطر ، ويدركوا الخطل ويفكروا في طريقة تخلصهم من ورطتهم » .

هكذا كانت تتمثل لي فلسطين وقضيتها والقطار يقترب بي من حيفا . ولعلني لا أخطئ إذا أجملت هذا الفصل في أن البقعة التي تقوم بين الشام وقنطرة مصر عبارة عن « هيكل مهشم » تقع جنايته على

السياسة السوداء ، والمطامع الأشعبية . وستبقى هـذه البقعة مثار اضطرابات وثورات ، وموطن قيل وقال ونزاع وجدال ، لأن كل ما يجري فيها منذ الحرب الكبرى حتى الآن ، لا يتفق مع العقل والمنطق . وما كان كذلك فلا بدّ للظروف والحياة والطبيعة أن تغير فيه وتبدل حتى يستقر على حال ؟



لمحة تاريخية

البهائية

توطئة

لستُ من الغباوة في أن أتعرض لبحث الأديان والمذاهب ، فإن النحت في الصخر أهون وأجدى من ذلك ، ومحال على من تحدثه نفسه أن يحرّك قلماً في مديح أو تعريض بمذهب من المذاهب المختلفة ، أو في تعليل وتحليل نقطة دينية على ما يفهمها الناس ، أو ترضاها طريقة الاجتهاد إلا عاد نادماً آسفاً ، وربما امتدت اليه أذية من لسان أو غير لسان . لذلك ففي مثل هذا العصر الذي تختلف فيه الثقافات ، وفي مثل هذا الشرق العربي الذي يقف موقفاً حرجاً ، لا هو بالجديد الصرف ، ولا القديم البحت ، ارى من الضروري الابتعاد عن تسويد القرطاس بالأمور التي تمتّ إلى الدين بصلة . وربما استطاع بعضهم أن يلج هذا الباب ، ويجول في بعض النواحي ، ما يهمه أغضب الناس أم لم يغضبوا ، أما الصحفي فمن أقصى واجباته الابتعاد عن المواطن التي تسيء إلى الطوائف وأرباب المذاهب ، وإلا اتهم بالكفر أو التعصب ، وضاعت الغاية التي ينشدها . على أن ذلك لا يمنعه من أداء رسالته كمؤرخ وعالم ، فينقل الى القراء ما يسمعه أو يراه ، سواءً أكان موائماً لرأيه الخاص أو مخالفاً ؛ وهو في

ذلك يسهّل للمطالعين سبيل الوقوف على الشؤون التي يصعب عليهم الانتهاء اليها .

وها انذا وانا في طريقي إلى مصر الشقيقة ، وخلال وجودي في حيفا رأيت من الواجب ان انتهز الفرصة لزيارة حضرة الزعيم الكبير ، شوقي افندي رباني « ولي أمر الله » وعميد الطائفة البهائية ، كيما أفوز ببعض المعلومات عن « البهائية » التي شغلت الأفكار ، وتحدثت بها الألسن ، وانتشرت في العهد الأخير انتشاراً واسعاً .



حضرة ولي الله شوقي افندي رباني زعيم الطائفة البهائية

أقلتني العجلة حتى وصلت الى قصر منيف طبعت عليه آيات الروعة والجلال ، ودارت به دورة السوار بالمعصم حديقة غناء تمجو الآسى والعناء وإلى جانبه قصر آخر صغير كأنه ابنه ووليده ، وهو مختص بكاتم السر الذي كان أول من استقبلني بالتحية والاستفسار عن الغاية من زيارتي . ولم ألق اليه ببطاقتي ، ولم يكد يمضي على مضيه بها إلا ثوان معدودة حتى عاد مخبراً بأن حضرة الزعيم مستعد بكل سرور لمقابلتي .

والحق أنني سحرت ولا أدري منشأ ذلك : أهو لطف شوقي افندي وذكاؤه وحديثه أم هي روعة المكان بما حواه من فرش نفيس وأثاث منضد وزخرفة جميلة . أم أن هنالك روحاً خفية قد احتلت هذه البقعة ، فجعلت كل من يغشاها يؤخذ للحال بنوع من الذهول والحيرة . والغريب أني عدت إلى نفسي سراعاً ، ووجدتني أضحك في داخلي لما أصابني ، لانني ذكرت للحال حالة نفسية خاصة لا سبيل لذكرها لأنها تتعلق بي وحدي . ولم أدر بعدئذ إلا وأنا في الحديث مع مضيفي الكريم ثم سألته ، بعد أن تحدث قليلاً عن « البهائية » تعاليمها وانتشارها رغم العراقيل التي أقيمت في سبيلها ، أن يتكرم بما أستطيع أن أحمله في جعبتي لأعده للنشر . فابتسم ثم قام إلى بعض الكتب فانتزع منها طائفة قدمها إليّ . ولما أن حان وقت الانصراف ، واشتبكت اليدان للوداع ، لم ينس أن يذكرني بالنتيجة فقال : « أذع بين العالم أن البهائية إنسانية حيوية ، ما دامت تنص على ان الإنسان اخو الإنسان ؛ وهي لا تدعو

إلا إلى السلم العام، والمحبة والإخاء والمساواة بين البشر على اختلاف أجناسهم وطبائعهم ولذلك تراها تنتشر وتذيع بسرعة في انحاء العالم .»



الملكة ماري مع والدتها اللتان اعترفتا بالعقيدة البهائية

منشأ الدعوة

نشأت الدعوة البهائية عام ١٢٦٠ هـ الموافق ٢٣ مايو ١٨٤٤ م . في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة عشرة بعد غروب اليوم الخامس من جمادى الاولى . وكان رسولها ميرزا علي محمد الملقب بـ « الباب » ولقد وُلد في

شيراز الكائنة في جنوب ايران في ٢٠ تشرين الاول ١٩١٨ م . ويقول المؤرخون إنه كان سيداً وشريفاً يمتُّ بنسبه إلى آل البيت (ع) . وتوفي والده الذي كان من التجار المعروفين في إيران بعد قليل من ولادة ابنه الذي كفله خاله للحال ، و كان هو أيضاً تاجراً مشهوراً في شيراز . ولما شب ميرزا علي محمد تذوق مبادئ القراءة والكتابة على النحو الذي كان العلم فيه آنئذ ، ثم واصل المطالعة والاجتهاد بصورة شخصية . ولما بلغ الخامسة عشرة أخذ يساعد خاله في تجارته و كان معروفاً بحسن الاخلاق والمكارم ، كما أنه اشتهر بالعبادة والتدين . وتزوج وهو في الثانية والعشرين ، ورزق بعد حين ذكراً لم يعش إلا قليلاً .

وفي الخامسة والعشرين أظهر دعوته ، وبعبارة أخرى أجاب (الامر الالهي) معلناً أن الله تعالى قد اختاره لمقام «البابية» ومعنى ذلك أنه الواسطة في تلقي الفيوضات الروحانية من شخص عظيم حجبته القدرة خلف ستار العزة ، وهو متصف بكمالات لا تعدّ ولا تحصى ؛ وأن الباب يتحرك بارادته ويتمسك بحبل ولايته . ولم تكن هذه الدعوة غريبة ، لان الزمن كان مليئاً بالاعتقادات التي ترمي الى قرب ظهور المهدي المنتظر (ع) خصوصاً بين الطائفة المشيخية .

وكان اول من تبلغ الدعوة العالم ملا حسين بشروئي . وما هي إلا فترة حتى شاركه كثير من الأصحاب ، وآمن به أغلب الطائفة المشيخية وابتدأت شهرته تذيع وتنتشر في طول البلاد وعرضها .

وكان تلاميذه تسعة عشر شخصاً أرسلهم إلى مختلف الاقطار ؛

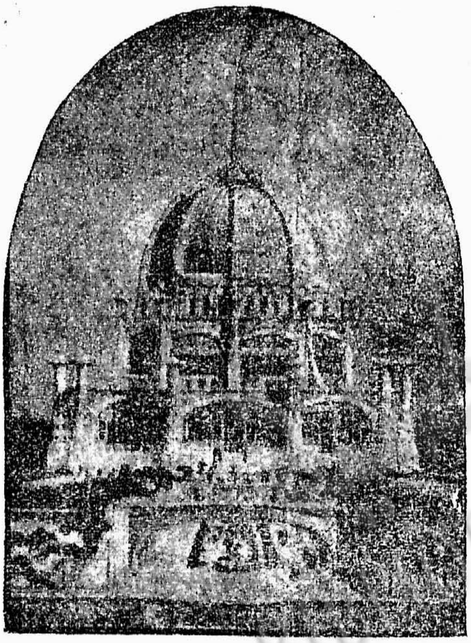
ليبثوا دعوته، وينشروا تعاليمه . فانبثوا في أيران وتركستان . وبعد أن أتم ذلك وافى شهر الحج فذهب إلى مكة المكرمة، وكان ذلك في عام ١٢٦٣ وهنالك أعلن دعوته أمام الحجاج . وما كاد يرجع إلى وطنه أبي شهر حتى وقع اضطراب عظيم إذ قام عليه العلماء من كل جانب وشرعوا يكفرونه ويتهمونه بالخرف والجنون، وأثاروا عليه غضب حاكم فارس «حسن خان» الذي لم يتأخر عن مقاومته لإحباط مساعيه

وفي رواية انه ادعى بأنه المهدي، كي يستميل إليه الشيعة، ولكن هؤلاء رفضوا دعوته وانكروا عليه عمله، لأنهم لم يجدوا فيه العلامات التي تتبع ظهور المهدي . أما البابيون أنفسهم فكانوا يفسرون كثيراً من النبوات تفاسير مجازية، واعتبروا سلطنة الموعود سلطنة باطنية . وزاد «الباب» على ألقابه لقب «النقطة الاولى» وهو اللقب الذي يطلقه بعض المسلمين على الرسول الأعظم (ص)

وأمام هذه الحال، وأمام انتشار الدعوة البهائية لم تجد الحكومة بداً من التدخل، وإظهار القوة، فاعتقلت كثيرين، واضطهدت آخرين وأعملت القتل والنهب والسلب في أفراد البهائية وأملاكهم .

وكانت وفاة الباب في ٩ يوليو سنة ١٨٨٠ وعمره يومئذ احدى وثلاثون سنة . ولم يمت موتاً طبيعياً، بل أعدم الحياة مع أحد أتباعه وهو آغا محمد علي . وتفصيل ذلك ان الحكومة أمرت بقتلهما جزاء دعوتهما الكافرة، فسيقا الى ميدان قديم في تبريز، وهناك أعدما رمياً بالرصاص .

وقبر «الباب» في جبل الكرمل ، لان أحد الأتباع البهائيين استطاع أن يسرق جثته تحت جناح الليل ، ويخفيها في مستودع سري ، ثم نجا بها الى فلسطين حيث هي مدفونة الآن .



مشرق الاذكار للبهائية في شيكاغو « اميركا »
وقد صرف عليه ملايين من الدولارات من بعض أفراد الطائفة البهائية

بعض تعاليم الباب

وكان الباب سريع الخاطر ، ذكي الفؤاد ، قوي الحجة . وقد ترك بعد وفاته كثيراً من الوثائق والمواد والتعاليم ، الا أن أكثرها فُقد ،

والذي تبقّى ينحصر في كتابات تشرح وتفسر بعض الآيات القرآنية ، وتعليقات تتضمن بعض المواعظ والإرشادات بما لا يخرج عن حد التوحيد والحث على تقويم الأخلاق والانقطاع عن الأمور الدنيوية . ومن جملة التعاليم المتروكة ما يدعو به الباب اتباعه الى أن يكونوا ممتازين بالمحبة والآداب ، وتعلم العلوم والفنون والصناعات النافعة ، وان يطلق للنساء الحرية كالرجل ، فهما سيان في الحقوق والواجبات ، وان ينفق على المساكين من الخزانة العامة ، وان يمنع التسول منعاً باتاً ، وكذلك سائر المشروبات والمخدرات .

بهاء الله

وظهر الميرزا حسين علي الذي لقب ببهاء الله . وكان أكبر أولاد الميرزا عباس النوري الوزير . وهو من عائلة جدّ غنية ، وذات نفوذ ، لان كثيراً من أعضائها شغلوا مناصب هامة في الحكومة خصوصاً في المصالح المدنية والحربية .

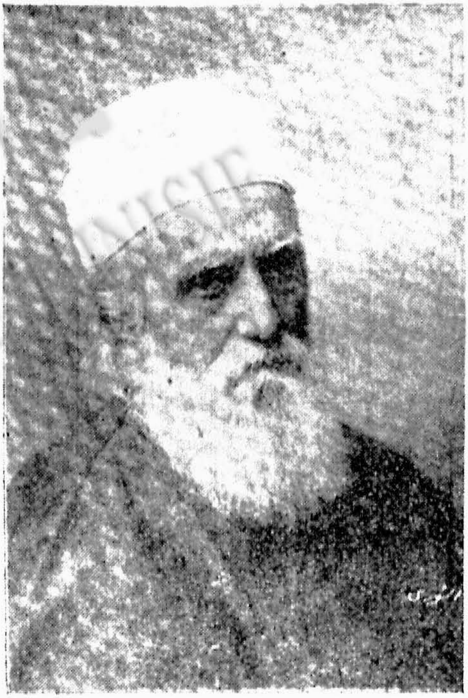
وكانت ولادته في ١٢ تشرين الثاني ١٨١٧م الموافق محرم ١٢٣٣ هـ ولم يدخل المدارس بل تعلم المبادئ في داره . ومع ذلك فقد ظهرت النجابة عليه منذ صغره . ولما مات والده ولم يكن بهاء الله قد تجاوز الثانية والعشرين أرادت الحكومة أن تسند اليه وظيفته في الوزارة ، ولكنه أبى ورفض معتذراً . ولما اعلن الباب دعوته عام ١٨٤٤ اعتنق بهاء الله الدين الجديد ، وأظهر من الشجاعة والجرأة ما جعله يوصف بالبهائي المتحمس وقد سجن مرتين في سبيل ذلك .

وفي آب ١٨٥٢ حصلت الحادثة التي كانت شؤماً على البهائيين . وتفصيلها أن أحد شباب البهائية المتحمسين واسمه (صادق) أحزنه قتل سيده فكمن للشاه ثم أطلق عليه عياراً نارياً ولكنه لم يصبه . فألقي عليه القبض للحال وأعدم . واعتبرت الحكومة جميع البهائيين مسئولين عن هذه الجناية . لذلك أمرت باضطهادهم ، فذبحت كثيرين ، وأذاقت الباقين من العذاب ، وزجت في السجن المئات وكان بينهم بهاء الله الذي قضى اربعة اشهر في غياهب السجن ثم أطلق سبيله ، وأُمر بنفيه الى بغداد ، ثم مضى إلى فيافي السليمانية . وبعد رجوعه إلى بغداد بدأ ينشر تعاليمه . وكان الكثيرون يهرعون اليه لسماع ما أتى به . وقد ناظره العلماء وشنوا عليه الغارة ، وانتهوا إلى تحريض القنصل الايراني على مقاومته . وبعد أخذ وردّ بين الحكومتين العثمانية والايرانية استُدعي الرجل إلى الآستانة ، وكان ذلك في ٢١ نيسان ١٨٦٣ فمضى مع بعض أتباعه . وصدر الأمر بالحجر عليهم أولاً ، ثم نفيهم إلى ادرنه حيث ظلوا اربع سنوات ونصف سنة . ثم سيقوا الى عكا في فلسطين ، وذلك عام ١٨٦٨ ، ونفي الميرزا يحيى واتباعه الى جزيرة قبرص .

وفي سجن عكا كان عدد النساء والرجال من البهائيين اربعة وثمانين وليس لديهم ما يتبلغون به . فكانوا يقاسون من العذاب والشدة ما لا يوصف . وظلوا كذلك سبع سنوات أُفرج عنهم على أثرها بعفو خاص .

وانتقل بهاء الله الى « البهجة » وواصل جهاده ، حتى أصبح كعبة الوراد من جميع الجهات . وبدأت الهبات ترد عليه بكثرة من الاتباع

والمريدين . ومع ذلك فما كان يتجاوز حدود البساطة وكان ينفق على الفقراء والمساكين ، ويقضي معظم أوقاته بالصلاة والعبادة . واصابته الحمى فمات بها متأثراً في ٢٨ مايو ١٨٩٢



عبد البهاء عباس افندي
وهو الذي خدم البهائية خدمات عظيمة

عباس افندى

تسلم عباس افندي الذي لقب بعبد البهاء ايضاً الزعامة إرثاً عن والده بهاء الله بموجب وصية ارثية . وكانت ولادته في طهران في ٢٣ مايو ١٨٢٤ في نفس الساعة التي اعلن فيها الباب دعوته . وكان في الثامنة من

عمره عندما زج والده بهاء الله في السجن ، فكان رفيقه وساعده الايمن

وذكر المؤرخ الفارسي (اداره) ان عباس افندي (عبد البهاء) قد تزوج في شبابه منيرة خانم ابنة ميرزا محمد علي خان (سلطان الشهداء) وهي من أشهر أسر أصفهان . وعاش له من الأولاد اربع بنات .

وكان عبد البهاء قد أقام في سفح جبل الكرمل بناءً خاصا ليجعله مقراً لرفات الباب . إلا أن الحكومة التركية بناءً على ما انتهى اليها من الوشايات ذهبت الى ان الغاية هي ايجاد حصن حربي ، فأمرت عام ١٩٠١ بسجن عبد البهاء وأسرته مرة اخرى سبع سنوات في سجن عكا . وقد عرض عليه قنصل ايطالية أن يمهّد له سبيل الفرار ، فأبى .

ولكن ذلك لم يمنع عباس افندي من مواصلة جهاده ونشر دعوته في آسيا واوربا وامريكا . ولقد كتب المستر « هوديس هوللي » عن هذه المدة ما يأتي : « كان يحضر لزيارة عبد البهاء والاستفادة من تعاليمه الجم الغفير من الرجال والنساء . وهم يجلسون على مائدته كأضياف مكرمين يسألونه عما يخالج ضمائرهم من أمور روحية واجتماعية وأدبية . وفي مجلسه كانت تبطل الفوارق التي تتميز بها الطبقات ويمحي التعصب اليهودي والمسيحي والمسلم ، ولا يبقى سوى القانون الأصلي الاساسي الذي يجمع كل القلوب على المحبة الخالصة » .

وظل عباس افندي في سجنه حتى أعلن الدستور التركي فأطلق سراحه مع سائر المسجونين السياسيين والدينيين .

وبعد الإفراج عنه رحل إلى ديار الغرب وامريكا ، وكان ذلك

عام ١٩١١، فقابل عدة شخصيات وألقى جملة خطابات . واليه يرجع الفضل في حث اتباعه على تعلم لغة الاسبرانتو، كي يوسع دائرة حسن التفاهم بين الشرق والغرب . ورجع من رحلته عام ١٩١٣ وحلّ في حيفا حيث قضى زمن الحرب العالمية تحت إشراف الحكومة التركية .

وكانت وفاته يوم الاثنين في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٢١



اجتماع افراد الطائفة البهائية في طهران

بعض التعاليم البهائية

ما هو البهائي ؟

لابد وأن يظهر للإنسان ثمر، فالإنسان الخالي من الثمر كالشجرة

بلا ثمر ، كما قال حضرة المسيح ، والشجر الذي لا ثمر له يلقى للنار .

لما سئل عبد البهاء عن معنى البهائي أجاب :

لكي تكون بهائياً يلزمك أن تحب العالم وتحب الإنسانية ، وان تجتهد في خدمتها وتعمل للسلام العام والأخوة العامة .

وفي مقام آخر عرف البهائي بقوله : هو الشخص المتحلي بالكمالات الإنسانية في الحياة العملية .

وقال ايضاً : ان الذي يعيش طبقاً لتعاليم بهاء الله هو بهائي . وعلى العكس من ذلك ، كل من يتسمى باسم البهائي ولا يسير طبقاً لتعاليم بهاء الله ، فإنه ليس بهائياً ، ولو عاش خمسين سنة متخذاً هذا اللقب .

إن بهاء الله يأمر أتباعه بالإنصاف حيث يقول في كلمات الحكمة : رأس كل ما ذكرناه لك هو الإنصاف ، وهو خروج العبد عن الوهم والتقليد .

محبة الله

يلزمك لعرفان مظهر الله أن تحبه ، ولا يمكن حصول أحدهما بدون الآخر ، فمن تعاليم بهاء الله أن الغاية من خلقة الإنسان ، هو أن يعرف الله ويعبده .

ومن قول عبد البهاء : يجب علينا أن نكون كنفس واحدة في اجسام متنوعة ، لأنه كلما زادت محبتنا لبعضنا البعض ازداد ثوابنا من الله .

إن الغرض من بعثة الأنبياء وإرسال الكتب هو ترويج قانون المحبة فلنجتهد في الاتصاف بصفة المحبة . المحبة المملوءة بالإحسان والسخاء وسعة الصدر والتسامح والسعي المشكور ، المحبة التي ليس لها حد ولا يقدر أحد أن يقاومها

إن الإخلاص لله يتضمن الخدمة لاخواننا ، ولا يمكننا أن نخدم الله بدون ذلك ، فإذا ولينا ظهورنا لإخواننا نولي ظهورنا أمام الله .

ويقول بهاء الله :

يا ابن الإنسان ! حبذا لو كنت ناظراً الى الفضل ، فتضع ماينفعك وتأخذ ماينفع العباد .

ويقول أيضاً في الأدب :

يا حزب الله اوصيكم بالأدب ، فهو في المقام الاول سيد الاخلاق . طوبى لنفس تنورت بنور الأدب ، وتزينت بطراز الاستقامة ، فصاحب الأدب صاحب مقام عظيم .

وقال أيضاً : فلتعاشر ملل الأرض بعضها بعضاً بالروح والريحان . عاشروا يا قوم أهل الأديان بالروح والريحان .

وفي خطاباته يقول : حذار حذار أن تجرحوا قلب أحد ، حذار حذار أن تضروا أحداً ، حذار حذار أن تعاملوا أحداً بقسوة ، حذار حذار أن تكونوا سبباً في يأس أي إنسان .

وصف التعاليم لعبد البهاء :

ان يكون الإنسان في كل الأحوال متسامحاً ، وان يحب عدوه وان يعتبر كل عدو عنود كصاحب ودود ، لا أن يتخذ له عدواً و يقاومه ثم يتسامح معه فإن هذا نفاقاً ، ويجب عليكم ان تعدوا أعداءكم اصدقاءكم ومبغضيكم محبين ، ويجب أن تكون محبتكم وشفقتكم حقيقة ، لأن التسامح إذا لم يكن من القلب فهو نفاق

ومن قوله :

إن الأمانة باب الاطمئنان والامان ، وآية من لدن الرحمن ، من فاز بها فاز بكنوز الثروة والغنى . ان الأمانة هي الوسيلة العظمى لراحة الخلق .

ويقول ايضاً : إن الصدق أساس جميع الفضائل الإنسانية ، وبدون الصدق يكون النجاح والفلاح في جميع العالم مستحيلاً .

في الوحدة الدينية :

يا اهل الأرض ! ان الفضل في هذا الظهور الأعظم أنا محونا من الكتاب كل ما هو سبب الاختلاف والفساد والشقاق واثبتنا فيه ما هو سبب الاتحاد والوفاق والوئام بين العالم ، طوبى للعاملين .

ويقول عبد البهاء :

يجب على الجميع ترك التعصبات وان يتبادلوا زيارة الجوامع والكنائس مع بعضهم البعض ، لان اسم الله يذكر في جميع هذه المعابد

فما دام الكل يجتمعون لعبادة الله فلا خلاف بين الجميع ٠

في مساواة الرجل والمرأة

لا بدّ من مساواة النساء بالرجال ، وان يتمتعن بالحقوق والواجبات والامتيازات والتعليم كالرجل ٠ لان البنت سوف تصير اماً في المستقبل فهي اول معلمة للجيل القادم ٠ والاطفال هم كالأغصان الرقيقة الخضراء فإذا كان التعليم الأول سليماً صحيحاً تنبت الأغصان سليمة مستقيمة واما اذا كان ناقصاً فتنمو معوجة تتأثر في نهاية حياتها من تأثير السنين الاولى ، فما أجمل التربية والتهذيب للبنات ٠

في الزواج :

تزوجوا يا قوم ليظهر منكم من يذكرني بين عبادي ٠ هذا أمري اليكم اتخذوه لانفسكم معينا ٠

صورة

وثيقة عقد زواج

المحفل الروحاني المركزي للبهائيين بالقطر المصري

انه في يوم كذا من شهر كذا سنة بهائية

الموافق يوم كذا من شهر كذا سنة ميلادية

وحضور حضرات أعضاء المحفل الروحاني البهائي لمدينة ( )

بحظيرة القدس أجري عقد الزواج بين كل من ابن

البالغ سنه كذا التابع للحكومة كريمة

البالغ سنها التابعة للحكومة الحاضرين وذلك بناء

على الطلب المقدم منهما المؤرخ في كذا وبعد أن تحقق المحفل

الروحاني من رضا الطرفين واذن الابوين او موافقة اولياء امورهما من

عدم وجود أي مانع وبعد قيام الزوج بدفع المهر وقدره كذا

نتيجة: قد تم إجراء هذا العقد بين الطرفين طبقاً للأحكام الشرعية

البهائية ، واعطي كل من الزوج والزوجة صورة من هذا ، ونسأل الله

ان يبارك هذا القران بمنه وكرمه.

(الابوين او اولياء امرهما)

الزوج

الزوجة

رئيس المحفل الروحاني سكرتير المحفل الروحاني

اسماء الأشهر في التقويم البهائي :

الشهر	الاسم العربي	التاريخ الافرنجي	الشهر	الاسم العربي	التاريخ الافرنجي
١	البهاء	٢١ مارس	١١	المشيئة	٢٧ سبتمبر
٢	الجلال	٩ ابريل	١٢	العلم	٦ اكتوبر
٣	الجمال	٢٨ 〃	١٣	القدر	٤ نوفمبر
٤	العظمة	١٧ مايو	١٤	القول	٢٣ 〃
٥	النور	٥ يونيه	١٥	المسائل	١٢ ديسمبر
٦	الرحمة	٢٤ يونيه	١٦	الشرف	٣١ 〃
٧	الكلمات	١٣ يوليه	١٧	السلطان	١٦ يناير
٨	الاسماء	اول اغسطس	١٨	الملك	٧ فبراير
٩	الكمال	٢٠ اغسطس	الايام الزائدة من ٢٦ فبراير الى مارس		
١٠	العزة	٨ سبتمبر	١٩	العلا	٢ مارس

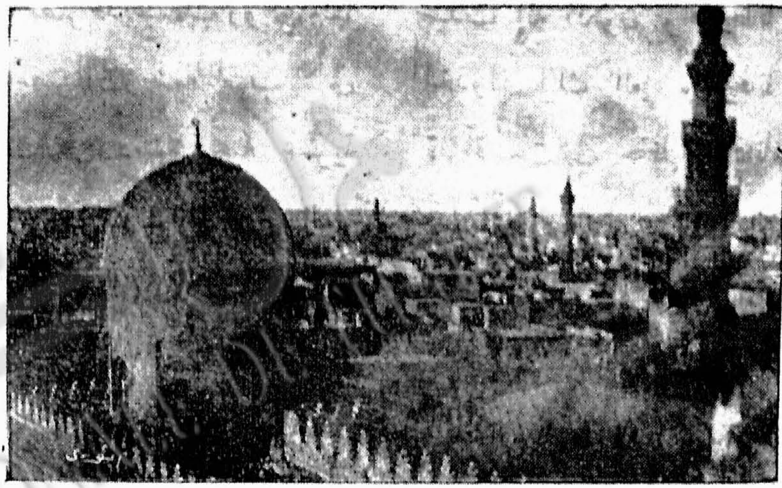
في مصر

تحية مصر

يا مصر قد عبدتك روحي مثلما ... عبدت إله الكون والأوطانا
يامصر أنت زعيمة العرب الألى ... اخذوا عليك العلم والعرفانا
لك من دمشق تحية عطرية ... قد أقسمت في حفظها الايمانا

التحية شرط من شروط الأدب والأخلاق ، سارت عليها الامم منذ القديم ، ولكل منها اصطلاح فيها . فالبعض يحيون بإحناء الرأس ، والبعض برفع القبعة ، ومنهم من يحيي بالتقبيل ، ولا يحضرني اسم تلك الكاتبة التي كانت إذا حيّت أحداً سألته : كيف روحك؟ فكان ذلك سلامها المعروف . وكلّ منا يذكر التحيات في القرون الوسطى كيف كانت بالانحناء الى النصف وبرفع الأثواب المستفيضة ، وكذلك تحية الملوك والكبراء إذ كان أفراد الشعب يسجدون احياناً إلى الارض ويقبلون الأعتاب . ولاتزال بعض هذه المظاهر مرعية حتى اليوم في بعض البلاد التي ما فتئت الارستقراطية فيها على تأثيرها . وبالإجمال فإن التحية يمكن أن تكون عنوان الأمة ومظهراً من مظاهر أخلاقها وعاداتها ، تدل على مبلغ ثقافتها وحريتها . وإذا نحن نظرنا الى الإسلام دين الحريـة والعدل والمساواة ، دين الحياة والطبيعة والتقدم ، الدين الذي يتمشى مع روح العصور تبعاً لسنة النشوء والارتقاء ، نرى التحية هي السلام . وما أجمل هذه الكلمة وأعذبها وأبعد غايتها . فهي ترمز إلى

السلم العام الذي يسعى إليه الإسلام ، ولا قِبل لغيره من الأديان على تحقيقه والمسلم حسب نصوص دينه غير مجبر على النهوض والانحناء وغير ذلك مما ينحصر في معنى التمسح والادّهان والتملق .

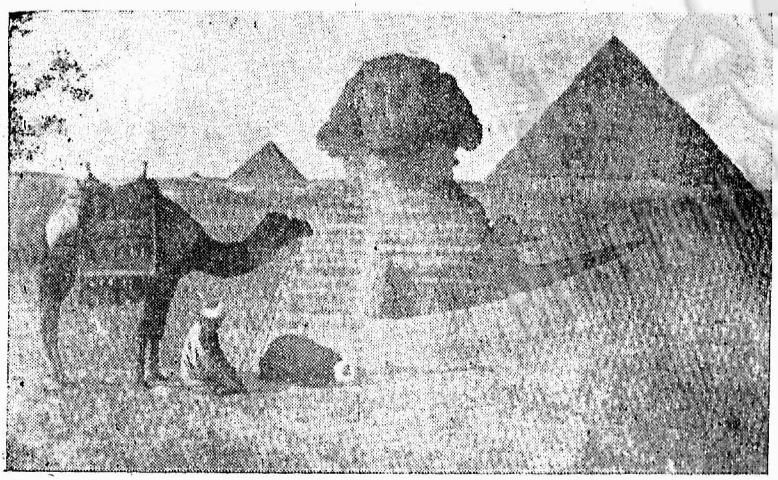


« مدينة القاهرة »

واني لأرى من واجبي وأنا أزور مصر أن أبدأها بالتحية . ولكن كيف تكون هذه التحية ، وماذا في مصر من مميزات يمكن أن تكون أساساً يُبنى عليها القول ؟

إي مصر ! أرض الفراعنة الجبابرة ، ومقر الحضارة الغابرة ، وموطن الفنون والعلوم الزاهرة ، ومملكة الفاطميين ، وحاملة مشعل الثقافة العربية في هذا العصر ! . . . إني أحييك تحية تتضمن خالص عواطفي ومشاعري وأخصّ إحساسات المحبة . ومَنْ لا يحبك يا مصر من الناطقين بالضاد وقد خصتك الطبيعة بالجمال والخصب ، وميزت شعبك بالمرح والكرم

وأفراح الحياة ، وكتبت المقادير لك أن تكوني في وضع خاص يساعد على أن يقصدك كل من ضاقت بـه بلاده حيفاً وظلماً وشدة وعوزاً ، فيجد فيك مرتعاً خصباً لأمانيه ، وملجأ منيعاً من الغدر والخوف ، ومورداً حسناً للرزق !.. أنت شقيقة الأقطار العربية ، ومن لا يحب شقيقته ويحنو عليها ، ويتوق إليها ويغمرها بقلبه الخافق شوقاً وتلهفاً ؟ . واللغة والتاريخ والدين؛ أليس في هذا كله ما يجمع بينك وبين العرب والاسلام والشرق في كل بقعة وقطر ؟ ثم السياسة ، ألم تجر عليك كما جارت على بقية الأوطان التي انسلخت عن جسم الدولة العثمانية . فكان في الشدة والإرهاق والذل ما متّن الأواصر ، ووحّد الغايات ، وقرب القلوب ؟ إن النيلُ يفيض في واديك ، كبردى ينساب في دمشق ، ودجلة



هرم الجيزه
من اعجب ما اوجدته يد الإنسان

والفرات في الرافدين ، أنهار من ماء تتحول في القلوب إلى ولاء ، يشعر به المصري والسوري والعراقي كلما عنت الذكريات، وبدرت البوادر وبدت في الأفق غيمة من ترح ، أو بارقة من فرح .

إي مصر ، أنت مهد العظمة والاباء، يقوم فيك أبو الهول والجيزة وغيرهما .. رموزاً خالدة للعزة والكرامة والجد والقرة ، إني لأحييك تحية الإجلال والإكبار . لأن في آثارك وماضيك وحاضرك ما يشغل الفكر، ويشرح الصدر ، ويبعث في النفوس رهبة ناطقة بعظمة قدمائك وذكائهم وجبروتهم وإقدامهم وخيرهم العميم الذي أسدوه إلى الروح والفكر معاً . أية عظمة كانت لفراعنتك وهذه أجداثهم التي يكشف عنها العلم اليوم تنطق بالثروة والغنى والحضارة والرقي في كل شيء ، في الفنون والعلوم والآداب ؟ وأي شأن جليل كان لك حتى طمع بك الفرس فسعوا إلى الاستيلاء عليك ، ثم جاء اليونان والرومان وغيرهم وغيرهم بعد الذي سمعوا عن خيراتك وخصبك وحضارتك ؟ . حقاً لقد كنت عروسة حسناء فخطبت ودك الممالك في أوج عزها ؛ فكأن جمالك الطبيعي ومركزك الجغرافي حولا أنظار العالم إليك . ولكنك على ما أصابك من بلاء وإرهاق لم تلن قناتك ، ولم تستخذ قواك ، وعشت وفية للمجد ، مخلصة للحق ، متأبية على الظلم، فلك الله ما أروع حياتك وأقوى إرادتك وأسمى روحك ! .. أني أجل تاريخك الوضاء ، وأجل ملوكك وأبطالك العظماء ، وأحني الهام صاغراً أمام مؤسس مجدك الحاضر محمد علي باشا الكبير ، ومن تبعه على الأثر ،

وكانت لهم الايدي البيضاء في هذا التقدم العام الذي انتهيت إليه ! .

إي مصر ، وكلنا يعترف بأنك زعيمة البلدان العربية ثقافة ، نأخذ عنك أساليب التفكير والسعي ، ونستضيء بنورك في الملمات ، إني أحييك تحية الاعجاب ، بعد تحيتي المحبة والإجلال . لقد استيقظ العرب في العالم وكنت أول المستيقظين ، وتلمسوا طرق العمل ، فكنت الهادي والدليل ، وجاهدوا فكنت المثال المحتذى . ولقد أصبحت بعد هذا مصدراً لكل دعوة ودعاية ، ومقصداً لكل مفكر عامل ، وليس من البعيد أن تكوني في يوم من الأيام ، كما كان الحجاز في فجر التاريخ الإسلامي ، مهد العمل على إرجاع المجد القديم بواسطة توحيد التربية وطرق العمل والغاية . إن الامل بك عظيم وهذا ما يزيد في الإعجاب بك وبرجالك !

إي مصر ! إن تحيتي المثلثة هي تحية كل عربي . فهنيئاً لك هذه الخطوة وهذه المكانة ، وفقك المولى في الجهاد وحقق بك المراد ، وما توفيقك إلا توفيق للعرب ، وليس تحقيق مرادك إلا تحقيق لمرادهم .

لمحة تاريخية

مصر القديمة

جغرافيتها

تقوم مصر في الشمال الشرقي من إفريقية ، يحدها شمالاً البحر الابيض وشرقاً ترعة السويس والبحر الأحمر ، وغرباً فياف واسعة ، وجنوباً بلاد الحبشة. وفي أوائل القرن التاسع عشر ارتبطت بها أراضي السودان. وهي عبارة عن واد ضيق تطل عليه سلسلة الجبال العربية والإفريقية ، وتكتنفه الصحارى الرملية . وفي وسطه يجري نهر النيل الخصب الذي يغمر ما حواليه بالخيرات . ويعيش في أرض مصر كثير من الحيوانات كابن آوى والثعلب والتمساح والجمل. واشتهر أهلها بالزراعة وعلى الاخص الرز والحبوب وقصب السكر والقطن .

المصريون القدماء

يرجع المصريون إلى الجنس الأبيض ، وربما كان البربر ، إذ اختلطوا بقبائل سوداء قادمة من الجنوب ثم ببعض الشعوب الهابطة من آسية بواسطة قنال السويس ، فكان من ذلك أن نشأ في مصر ثلاثة أنواع مختلفة جداً . وقد كشف علم الآثار عن أولئك السكان الاصليين فإذا هم يعنون كثيراً باستخدام الأحجار آلات لمختلف الشؤون

كما كانوا يعنون كثيراً ببعض الأدوات المعدنية . وكانو يشغلون طول وادي النيل وخلجان الدلتا ، وانشؤوا حكومات صغيرة ومدناً غدت على الأثر منشأ إدارات كانت تتراوح بحجمها ، وكان عددها بين ٣٧ و٤٤ حسب الزمن، يحكمها بطريق الوراثة امراء اينعت البلاد في عهدهم، لانهم قاموا بأعمال جليلة فبنوا الهياكل والاهرامات ، ونشطوا الزراعة والصناعة والفنون والتجارة . واتصلوا بالممالك الاسيوية وعلى الاخص مملكة بابل .

الحكومات التي استولت عليها

وكان ملوك مصر قديماً يدعون فراعنة . وقد توالى منهم على الحكم ست وعشرون أسرة مدة الفين وخمسمئة سنة ، وأشهرهم رعمسيس الثاني ولقد خلدوا آثاراً باهرة جديرة بالإعجاب . وكان تقلص ظل الفراعنة عام ٥٢٥ ق . م حيث اجتاحها الفرس . ثم جاء بعدهم الاسكندر الكبير . وكانت مصر عام ٣٠ ق . م . تحت سيطرة الرومان . ثم توالت عليها الحكومات على الترتيب الآتي :

دولة الخلفاء	سنة	٢٠	ـ	٣٨
« بني امية	«	٣٨	ـ	١٣٣
الدولة الطيلونية	«	١٣٣	ـ	٢٩٣
« العباسية	«	٢٩٣	ـ	٣٢٣
« الأخشيدية	«	٣٢٣	ـ	٣٥٨
« الفاطمية	«	٣٥٨	ـ	٥٦٧
« الأيوبية	«	٥٦٧	ـ	٦٤٨

دولة المماليك البحرية سنة	٦٤٨	ـ	٧٨٤
« « الجراكسة «	٧٨٤	ـ	٩٢٣
الدولة العثمانية «	٩٢٣	ـ	١٢٢٠
« العلوية «	١٢٢٠	ـ	١٣٥٥
دولة الانكليز «	١٣٦٩		إلى اليوم

وفي سنة ١٣٥٥ عقدت معاهدة استقلال مصر .

حضارة مصر

إن حضارة مصر من أقدم الحضارات في التاريخ البشري : ولقد بلغت في عهد ملوكها الفراعنة مرتبة عالية في مختلف الفنون والصناعات والعلوم والآداب كما تدل على ذلك الآثار المكتشفة .

ففي الصناعة نرى مصر قد بلغت أوجاً عالياً في التمدن، تدل على ذلك الرموس التي يرجع تاريخها إلى عهد المملكة الفرعونية الرابعة ، والتي حوت كثيراً من الأدوات الزراعية والصناعية والحربية المتقنة . والمصريون قديماً اهتموا بتربية الحيوانات وزراعة الكروم ، وأكثر أنواع الحبوب والخضر ، وصنعوا الزجاج واشتغلوا بالمعادن ، ونسجوا الأقمشة ، وصنعوا الورق المعروف باسم « بابيروس »

وفي الآداب والفنون نرى المصريين قد استنبطوا طريقة كاملة للكتابة وهي الخط الهيروغليفي الذي استخدموه في مختلف شؤونهم الرسمية واليومية . وكان لهم أدب انتهى الينا كثير منه . فنرى فيه الكتب الدينية التي تشرح أمهاتها نصيب الإنسان بعد الممات ، والقصائد الطويلة التي

تمجد العناية الالهية ، وآثاراً شعرية أخرى تدور حول الأخلاق . وكان الأدب العلمي عندهم جدّ غني إذ اشتمل على كثير من القواعد والنظريات في الطب والصيدلة والحساب والهندسة ، وعدا ذلك فقد عنوا بالرواية والقصة . ولم تكن فنون التصوير والبناء والنقش أقل انتشاراً من الأدب ، ويتميزون بأنهم كانوا إبداعيين وعلى الأخص في النقش والبناء . ومما اشتهر من عماراتهم الرموس والاهرامات . أما التصوير المصري ، فقد كان عندهم فناً مستقلا ، يستخدم في الهندسة البنائية وكانوا فيه رسامين ممتازين .

حكومات مصر

ذكرنا الحكومات التي تألبت على مصر ، وها نحن نفصل من ذلك ما يحتاج للتفصيل خدمة للتاريخ .

مما يستدعي الفخر أن الاسلام عندما حكم مصر ترك للأهلين حرية الأديان والطقوس ، ولم يتعرض لكنائسهم وبيعهم وأملاكهم وامتيازاتهم التي تمتعوا بها في حكم الامبراطرة . ولا عبرة بما يذكره بعض المؤرخين المتعصبين الذين لا يراعون أصول البحث العلمي ، ولا يتجردون عن الهوى ، من أن الإسلام أساء معاملة أهل الذمة بالتضييق عليهم ، وفرض الضرائب الباهظة لإكراههم على التخلي عن دينهم . فان مثل هذه المفتريات لا تثبت إلا قليلا على محك البحث والاستقراء ، لان الحجج التي يتسلحون بها لا تتجاوز ذكر أسماء بعض العمال الأمويين كأنما هم يريدون أن يكون جميع الاسلام ملائكة من السماء خالين من الضعف

الانساني ، كاملين في الصفات والأخلاق ، أو كأنما يودّون أن يجعلوا الحكم الاسلامي كغيره من الأحكام التي أتت من المظالم ما تقشعر منها الأبدان . والحمد لله أن التاريخ طافح بأخبار العدل والانصاف والرحمة التي اتصف بها المسلمون ، والحمد لله أن كثيرين من المؤرخين المنصفين حتى من الأجانب قد اعترفوا بذلك ، ويكفي أن نستشهد باعتراف غوستاف لوبون حيث يقول : « ان التاريخ لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب » .

والعرب استثمروا مصر بادئ الامر بواسطة أهليها من وطنيين ومسيحيين ، وكان ذلك في أيام الامويين (٦٥٨ ـ ٧٥٠) حيث ازهرت البلاد في ذلك العهد وكثر عدد سكانها المسلمين .

وفي عام ٧٦٨ قام أحمد بن طولون ضد الخليفة المعتز معلناً نفسه سلطاناً ، وسرعان ما استقلت مصر وسرعان ما عادت اليها أطماعها الفرعونية فاشرأبت الى التوسع في وادي النيل وآسيه . فكان من ذلك ان قاومتها حكومة نوبية في الجنوب . أما في الشمال حيث قامت سورية ، فقد أحرزت انتصارات سهلة . وهكذا استولى أحمد بن طولون عليها وعلى غيرها حتى الفرات (٨١٨ ـ ٨٨٣) غير أن أحفاده الذين انقسموا على أنفسهم أضاعوا مجد انتصاراته وثمرة جهاده ، فسقطت مصر في أيدي الخليفة العباسي المكتفي عام ٩٠٥ ولم يدم خضوعها له إلا قليلا .

وكان السلطان الفاطمي عبيد الله قد حاول أن يستولي على مصر عام ٩٢٥ إلا أن المقتدر العباسي أحبط مسعاه ، فقام محمد الأخشيدي وأظهر من القوة والثبات ، ما جعله يؤسس على ضفاف النيل المملكة

الاخشيدية عام ٩٣٥ ودامت هذه المملكة إلى أن جاء كافور ، معيداً سيادة امراء بغداد (٩٦٦ ـ ٩٦٨) ولم يكن عمله هذا مما يفت في عضد الفاطميين أو يرجعهم عن مطامحهم · فقام جوهر مولى المعز لدين الله وقائده ، وناصب كافوراً العداء ؛ ومازال حتى غلبه على أمره عام ٩٦٩ وأعاد نفرذ مليكه · واتخذ المعز لنفسه لقب الخليفة ، وأسس القاهرة وجعلها قاعدة ملكه (٩٧٣) ومما اشتهر به ولده العزيز بالله (٩٧٥ ـ ٦٩٦) انه كان محباً للآداب والعلوم والزراعة والتجارة ، فسعى لتنشيطها حتى تضاعف عدد الشعب في بضع سنوات ·

غير أنه اصطنع الأتراك والديلم واستكثر منهم وقدمهم إليه ، فقامت المنافسة بين البربر والأتراك حتى توفي وخلفه الحاكم بأمر الله وكان يعتقد فضل البربر فقدمهم وقربهم ، فاشترطوا عليه أن يتولى أمورهم ابن عمار الكتامي (من البربر) فولاه الوزارة · فاستبد في أمور الدولة وقدم البربر وحط من قدر الغلمان الأتراك والديلم الذين اصطنعهم العزيز فاجتمعوا إلى كبير منهم اسمه (برجوان) وكان صقلبياً ، وقد تاقت نفسه إلى الولاية فأغراهم بابن عمار حتى وضعوا منه ، فاعتزل الوزارة ، وتولاها برجوان ، فقدم الترك والديلم واستخدمهم في القصر · ثم بدا للحاكم أن يقتل ابن عمار فقتله وقتل كثيراً من رجال دولة أبيه وجده ، فتضعضع البربر وقوي الاتراك ·

ولما مات الحاكم وخلفه ابنه الظاهر لاعزاز الله ، أكثر من اللهو والقصف ومال إلى الاتراك والمشارقة ، فانحط جانب البربر · ومازال

قدرهم يتناقص حتى كاد يتلاشى . فلما ملك المنصور وكانت أمه سوداء استكثرت في جنود ابنها من العبيد أبناء جلدتها حتى بلغوا ألف عبد أسود وكان هو يستكثر من الأتراك فأصبح الجند طائفتين كبيرتين تتنافسان وتتسابقان إلى الاستئثار بالنفوذ ، فآل التنافس إلى حرب تعبت بها مصر واضطر الخليفة إلى استنصار الشام فأتاه أمير الجيوش بدر الجمالي من سورية وهو أرمني الأصل فقتل أهل الدولة وأقام بمصر جنداً من الأرمن وصار من حينئذ معظم الجيوش منهم ، وذهب نفوذ البربر وصاروا من جملة الرعية ولم يبق لهم شأن في الدولة بعد أن كانوا وجوهها وأكبر أهلها

وكان السلاجقة في أثناء ذلك قد غلبوا على العراق وفارس وضعف أمر الشيعة هناك وولى السلاجقة مماليكهم وقوادهم (الاتابكة) على الولايات ، واستقل كل منهم بولايته ، ومنهم نور الدين زنكي في الشام وكان في جملة قواد نور الدين جماعة من شجعان الاكراد منهم نجم الدين ايوب وأخوه أسد الدين شركوبه ، وقد بلغا عنده منزلة رفيعة ، وكانت خلافة مصر قد أفضت إلى العاضد بن يوسف ، وكان ضعيف الرأي ، وقد غلب وزراؤه على دولته وتنافسوا على الاستئثار بالنفوذ ، وطال تنافسهم حتى اخربوا البلاد والخليفة لا يستطيع عملا .

وكان في جملة المنافسين وزير اسمه (شاور) قد غلب على امره فذهب إلى نور الدين زنكي ، واستنجده على رجل آخر ينافسه في الوزارة فاغتنم نور الدين تلك الفرصة للاستيلاء على مصر ، وأنجده بأسد الدين شركويه

في جند من المماليك ، فرد الوزارة إلى شاور ، وصار هذا يدفع ثلث خراج مصر إلى نور الدين .

وكانت الحروب الصليبية في تلك الأثناء قد احتدمت ، فزاد تدخل نور الدين في شؤون مصر ونائبه فيها شركويه ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي الذي خلف شركويه بعد وفاته .

استلم صلاح الدين مقاليد الحكم ورضي بالخضوع لسلطة الخليفة على أن يلقبه بالسلطان . ثم ارجع مصر الى الدين السني بعد أن كانت شيعية . وحارب الصليبيين وقهرهم واسترجع القدس عام ١١٨٧ ثم دحر رؤساء الحملة الصليبية الثالثة عام ١١٨٩ وأصبح سلطاناً على سورية كلها غير أن أتباعه تنازعوا على الحكم ، ومزّقوا المملكة بتنازعهم ، فانتقلت إلى المماليك ، وكانت المدة التي حكموا فيها ، وهي قرنان ونصف القرن من الأيام الغر في تاريخ مصر . وقد كان لهم الفضل في إنقاذ سورية من المغول . وفي زمن الناصر محمد (١٢٩٣ ـ ١٣٤١) امتد سلطان مصر من تونس إلى بغداد ؛ وكانت المشاحنات التي وقعت بين أبنائه وأحفاده هي السبب أيضاً في خضد شوكتهم وذهاب ريحهم وتغلب الاشرف كاتب بك (١٤٦٨ ـ ١٤٩٥) على السلطان محمود العثماني وباجازت الثاني . ثم قتل بعد انتهاء الحرب مع الأتراك قرب حلب من قبل السلطان سليم الاول عام ١٥١٦ ، وخذل بعده تومان بك الذي خلفه ثم شنق . وجعل السلطان سليم من مصر ولاية عثمانية عام ١٥١٧ . وهكذا كانت مصر مدة تسعة قرون من أكبر العواصم الزاهرة بالحضارة العربية .

ولقد كثر العلماء والادباء في الجامعة التي أسسها العزيز سنة ٩٨٨ في الجامع الازهر ، حيث كان جملة من أشهر علماء الإسلام ومؤرخيهم يلقون الدروس على الطلاب .

والصناعة بلغت شأواً عالياً ، إذ تقدمت تقدماً محسوساً ، وعلى الاخص صناعة الزجاج والصيني والمينا والحرير . وكانت محصولاتها ترسل إلى أوروبة بواسطة بعض التجار الإيتاليين والبندقيين . أما النقش والتصوير فيزعم بعض المستشرقين أنهما لم ينتشرا في عهد الإسلام انتشارهما في زمن الفراعنة ، لأن الإسلام ما كان يقرّ بتصوير الإنسان . وهو افتراء نضيفه إلى جملة الافتراءات التي يختلقها أعداء الإسلام تعصباً أو جهلا بفلسفة الدين الإسلامي الذي يتمشى مع كل العصور ، ويوافق العقل ويرضي العاطفة ، ولا يتخلله أي جمود أو ركود . وليس جميع ما يتمسك به القائلون بتحريم التصوير عند الإسلام إلا ظواهر خالية من أي عمق في التفكير والتحليل . خذ مثلا الحديث القائل : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » . ولكن أي المصورين ؟ أهم هؤلاء الذين يظهرون بريشتهم عظمة الخالق ويبرهنون على أن الكون عمل فني لا يماثل ؟ أم هم الذين يصورون في أفكارهم الكذب والافتراء على الحق والحقيقة . ومن الذي قال الحديث غير محمد (ص) . ومحمد ألا يعترف له جميع المفكرين بالعظمة في التفكير ، إذن فكيف نوفق بين عظمته الفكرية وانصهار الحقائق أمام بصيرته ثم نقول إنه لا يرضى بالتصوير ويحرّمه ، أليس في هذا عين المغالطة ؟

إن المصريين هم أول من أوجدوا فكرة التظليل بأنواعها بحيث تخرج الصورة من تحت أيديهم ناطقة . فعلوا ذلك قبل أن يهتدي الغربيون المتبجحون إليه . وإن في انفراد الشيعيين دون غيرهم بفن التصوير ، كما ندرك ذلك من قصيدة البحتري في وصف إيوان كسرى ، وغيرها أيضاً ما يساعد على الاعتقاد بفهم تلك الأحاديث الشريفة على غير حقيقتها . وأغلب الظن أن هذه الأحاديث لم تقصد إلا التماثيل مما كان شائعاً في الجاهلية بشيوع الوثنية ، وقضى الاسلام عليها لتنافرها مع أصول التوحيد . ومما يجعل هذا الفهم أقرب الحقيقة ما رواه المسيو ال . جاييت في كتابه عن الفن الفارسي في باب التصوير من أنه كان بدمشق والقاهرة وبغداد مدارس راقية خاصة بالتصوير كان يقصدها الطلاب من كل صقع . والشواهد كثيرة على أن الإسلام عني بجميع الفنون ، ومن جملتها التصوير ولم يقف حجر عثرة في سبيل الرقي الفكري والتقدم والعمران .

وفن البناء أيضاً قد نشط نشاطاً كان من أثره عدة متاحف ممتازة تسترعي الانتباه وتستدعي الاعجاب . ولقد استمد العرب أُصول هذا الفن بادئ الرأي من الهندسة الفرعونية المأخوذة عن الهندسة البيزنطية . ثم استخلصوا عنصراً خاصاً لطرازهم جمع مع تصويره للروح العربية بين المقدرة والحسن والرشاقة . وهكذا برهن العرب على مقدرتهم الفنية وعلى تسامحهم واحترامهم تلك الآثار ، فلم يعبثوا بها كما فعل « الانكوكلاست » بآثار بيزنطة لما سيطروا على الحكم بها في القرن التاسع وصدر العاشر ، إذ قضوا على الفن المسيحي ، فهشموا تماثيله

وشردوا افنائيه ، حتى قصد بعضهم إلى « اكس لاشابيل » للخدمة في بلاط الملك شارلمان .

وهذه آثار العرب ناطقة بما تقدم ، فإن أقدم مساجد مصر وهو مسجد عمرو في القاهرة القديمة هو عبارة عن باحة واسعة محاطة بأروقة ذات عدة أعمدة ، ومسجد طولون المؤسس عام ٨٧٩ والذي حوى عدة حجرات وباحات اشتبك بعضها ببعض ، ومسجد الخليفة الحاكم الذي انشئ عام ١٠٠٣ هو أحسن مثال تبقى لنا من الهندسة الفاطمية منذ استيلاء الأمويين على الحكم . وهكذا فان كل حكومة تعاقبت على مصر خلفت عمارات جعلت من القاهرة شبه متحف فني لفن البناء في الاسلام في أخصب الأوقات .

* * *

ولما دخلت مصر في حوزة العبيديين « الفاطميين » ملوك إفريقية بذلوا عنايتهم في إنشاء الأساطيل في الاسكندرية ودمياط ومصر . وبلغت الجنود البحرية في أيامهم خمسة آلاف لهم الرواتب المعينة : منهم عشرة قواد راتب كل منهم من ١٠ — ٢٠ ديناراً ، ومنهم أقل من ذلك إلى دينارين وهي أقلها . ولهم إقطاعات كانوا يسمونها أبواب الغزاة . وكانوا ينتخبون أحد هؤلاء القواد رئيساً للاسطول فاذا ساروا الى الغزو كان هو آمرهم وناهيهم . ومع هذا الرئيس أمير كبير من امراء الدولة . وأما النفقة على غزاة الاساطيل فكان الخليفة يتولى تفريقها بنفسه بحضور الوزير مبالغة في إكرام رجال البحر ورفع

منزلتهم . وبلغت المراكب في أيام المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر ٦٠٠ قطعة ثم نقصت بعده حتى أصبحت مئة قطعة .

وكانوا يحتفلون في إخراج الاسطول الى الغزو احتفالا شائقاً يحضره الخليفة ، فيجلس في منظرة معدة له على ساحل النيل بالمقس خارج القاهرة لوداع الاسطول . فيجيء القواد بالمراكب الى هناك مزينة بأسلحتها وبنودها ، وفيها المنجنيقات فيرمى بها فتنحدر المراكب وتقلع وتفعل ما تفعله لو كانت في حرب ، وهو ما يعبرون عنه اليوم بالمناورة و « الاستعراض » ثم يحضر الرئيس والمقدم بين يدي الخليفة ، فيودعهما ويدعو لهما . ويعطي المقدم ١٠٠ دينار والرئيس ٢٠ ديناراً . ويحتفلون مثل هذا الاحتفال عند عودتهم من الغزو . وفي أيام صلاح الدين انشئ للأساطيل ديوان خاص ، سموه « ديوان الأسطول » وعينوا الأموال للنفقة عليه .

* * *

ولم يقف تقدم مصر إلا في عهد الحكم العثماني ، فقد تأخرت فيها الصناعات والفنون والآداب . وكان البشوات الأتراك المقيمون في قلعة القاهرة ، يتبع أحدهم الآخر على أريكة الحكم ، ليس لهم سوى النظارة الاسمية في البلاد . ولكن المماليك لما أتوا نهضوا فجأة . ومنذ آخر القرن التاسع عشر كان البكوات فيهم هم الذين يحكمون البلاد حقيقة . ومنازعاتهم أتت على الزراعة والتجارة .

وفي أواسط القرن الثامن عشر لم تكن مصر إلا ظلاً لما كانت عليه أيام امرائها . وفي تلك الأثناء نهض علي بك (١٧٦٧) وأعلن نفسه سلطاناً ، ثم أغار على سورية . وعندما هلك لدى رجوعه سنة ١٧٧١ احتفظ بالحكم حفيده ابو الذهب ، ولكن على شرط أن يعترف بالسيادة العثمانية ، واقتسم السلطة بعده كل من مراد بك وابراهيم بك عام ١٧٧٣ وحاولا عبثاً أن يقاوما الجنرال بونابارت عام ١٧٩٨ . وفي مدة ثلاث سنوات شغل الفرنسيون دلتا والوادي حتى أول شلال . وانصرافهم لم يعد بالسلم ، لان الحرب مازالت قئمة على قدم وساق بين البكوات حتى ظهر محمد علي الذي جمعهم في قلعة القاهرة بحجة المباحثة في بعض الشؤون ثم ذبح أكثرهم ، وذلك في ١ مارس ١٨١١ . وبظهور محمد علي ظهر حقيقة تطور جديد في تاريخ مصر ، لان هذا الرجل العظيم شرع في إدخال الاصلاحات كالاستعانة بمعارف الغربيين الصناعية والحربية ، ومن جملة هذه الاصلاحات تأليف جيش وأسطول اخضعا له بلاد العرب والسودان وسورية ، وقهر الأتراك عدة مرات ، وكاد يستلب منهم كرسي الحكم في القسطنطينية لولا معارضة انكلتره وروسيه والنمسه .

وابراهيم باشا (١٨٤٨) وعباس باشا الأول (١٨٤٩ــ١٨٥٤) أدارا بكل حكمة ملكها . أما سعيد باشا (١٨٥٤ ــ ١٨٦٣) فبرغم اكثاره من النفقات استطاع أن ينهض بمصر إلى أعلى ذروة الازدهار . ثم جاء أسماعيل باشا (١٨٦٣) فشرع بإنهاء قنال السويس (١٨٦٩) وبواسطة

عدة « فرمانات » عالية تمكن ان يغير شكل الحكم في البلاد ؛ فأصبح له الحق أن يورّث أبناءه السلطنة . واستطاع أيضا أن يحصل على لقب ودرجة الخديوي أو نائب الملك بدل من لقب باشا الذي حمله من تقدموه (١٨٦٧) وهلم جرا .. وفي الوقت نفسه وفقت بعض البعثات إلى مدّ ظل سلطانه على شواطئ البحر الأحمر والصومال ، والكوردوفان و (دارفور) وبحر الغزال ، حتى منطقة البحيرات الكبرى . ولكن الأوربيين تدخلوا بعدئذ منتحلين بعض الأعذار ، ثم عُزل الخديوي اسماعيل عام ١٨٧٩ وجلس مكانه ولده الخديوي توفيق تحت نظارة فرنسه وانكلترة . وصرف همته إلى تنظيم الشؤون المالية . وفي هذه الأثناء اندلعت الثورة (٨ ايلول ١٨٨١) وأعقبها حالاً عصيان الاسكندرية (١١ حزيران ١٨٨٢) ، فاتخذت انكلترة من ذلك ذريعة لبسط حمايتها ، وبعد وقعة تل الكبير (١٣ ايلول ١٨٨٢) حققت أملها . وكان العهد الأول زاخراً بالمآسي ، فمن ثورة المهدي (١٨٨٢ ـ ١٨٨٣) إلى هزيمة هيك باشا وباكر باشا عام ١٨٨٢ ، إلى أخذ الخرطوم (٢٦ كانون الثاني ١٨٨٥) ثم أخذت البلاد تعود شيئاً فشيئاً إلى الهدوء بواسطة الإدارة الحكيمة التي استلمت مقاليد الأمور . وعندما مات الخديوي توفيق (٧ ك ٢ ١٨٩٢) كانت مصر قد استعادت رخاءها الحقيقي . واعقب عباس الثاني والده ، وبواسطة ثلاث غزوات أدارها كتشنر باشا استرجع بصورة

متابعة دنقله عام ١٨٩٦ ، وبربر عام ١٧٩٦ والخرطوم عام ١٧٩٨ ، وحصل اتفاق مع فرنسه في الأيام الأخيرة من عام ١٨٩٨ اعترفت فيه بحقوق مصر على حوض النيل كله . ثم مهدت السبل لايجاد السلم في السودان ، وهكذا أضحت مصر يحكمها الخديون بحماية تركيا في الظاهر ؛ وهي بحماية الانكليز حقيقة .



مصر الحديثة

مصر ليست كغيرها من البلدان العربية والشرقية، ونهضتها تستحق الإعجاب والقدر، لأنها تسير فيها على سنة النشوء والارتقاء، وهي برغم الحماية المفروضة عليها لم تألُ جهداً في السعي والكدح والتقدم، حتى ليمكن المصنف أن يعدّها في كثير من النواحي، كالعمران والمعارف والتجارة، كأرقى البلدان الغربية. والشيء الذي تمتاز به مصر أنها تحافظ في نهضتها المباركة على القديم وتأخذ بنواحي الجديد، فتقدّمها وسط بين الاثنين، يصيب كلا الحسنيين، وهي لا ترفض الماضي كل الرفض لأنها تعلم بأن للماضي قدسيته وفائدته في الأفكار والأخلاق، وله نوره الذي يضيء شعاب الحاضر، وهي لا تتأبى على الجديد بتقدمه المادي الذي هو سرّ عظمة الغربيين اليوم. فخطتها، كما ترى، هي المثلى والأمينة بايصالها إلى غاياتها. ونظرة إلى الأدب الذي يشتمل على كثير من التغني بامجاد الماضي وبنغمات الفرعونية، وإلى هذه الآثار العديدة التي يحرص عليها المصريون كل الحرص، فلا يفرطون بشيء منها ولو اقتضاه العمران الحاضر، وإلى العادات والاخلاق والاعتقادات والأزياء أيضاً، يبرهن على أن المصري رغم تقدمه في مضمار الحضارة المعاصرة، ما يزال في قلبه وفكره نواح خصبة بروح الماضي.

إن مصر راقية في أكثر نواحي حياتها: ففي الزراعة نرى نهضة

مباركة ترجع إلى زمن محمد علي باشا الذي اهتم بإدخال بعض المزروعات إلى مصر ، ونجحت نجاحاً باهراً . إن لصناعة السكر اليوم عشرات من المعامل ، وكذلك القطن فصناعته تقوم في أملاك الدولة من قبل عدة معامل ، والرز له معامل حوالي دمياط ، وتوليد الدجاج في الصعيد له مئات من الافران التي يخرج كل منها سنوية مايتجاوز عشرة الاف بيضة .

وفي التجارة تجد رؤوس الأموال الكبيرة ، والاتصالات المتفرعة إلى أنحاء المعمور ، والمعاملات منتشرة في كل مكان ، بكل صنف من الأصناف . ومركز مصر الجغرافي يساعدها مساعدة كبرى على أن تكون نقطة الاتصال بين الشرق والغرب ثم إن اتساعها وخصب أراضيها وحكمها ، كل اولئك مساعد على أن يقصدها الرواد من مختلف الاصقاع برؤوس أموالهم وتجاراتهم .

وفي العلوم والفنون نرى المدارس العديدة المختلفة ، مابين خصوصية واميرية واجنبية ، وعلى الأخص الجامعات والكليات في الطب والصيدلة والحقوق والصنائع والزراعة وبقية العلوم ، وعدا ذلك كله فهنالك الازهر الشريف الذي يبلغ رسالته العلمية والدينية . ثم البعثات المختلفة التي ترسل في الغالب إلى انكلترة وفرنسا كل سنة للتخصص بمختلف الفنون والعلوم . وهناك المعاهد المصرية والاجنبية ، والجمعيات الجغرافية ، والمتاحف الأثرية والمكتبات العديدة التي تحتوي على المخطوطات والكتب الثمينة .

ولقد اتصلت مصر بعضها ببعض بواسطة الخطوط الحديدية ، وأول

قطار حديدي اوجد كان في زمن عباس باشا عام ١٨٥٥ من الاسكندرية إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى السويس ، بين الصحراء . ثم توزعت خطوطه تدريجاً حتى أصبحت تتجاوز ثلاثة آلاف كيلو متر ، وهو يستوعب عدا الخطوط الرئيسية من الاسكندرية إلى القاهرة بواسطة دمنهور وطنطا وبنها ، ومن الاسكندرية إلى السويس ، وبواسطة بنها والزقازيق – كثيراً من الخطوط المحلية الموزعة بصورة مختلفة . ومصر العليا ذات خط وحيد من الإسكندرية إلى اسوان ، ويمتد من جهة حتى دنقله ، ومن جهة ثانية حتى الخرطوم إلى أن يدخل السودان .

وتمتاز مصر بدوائرها البرقية والبريدية ، فإن نظامها لا يقل عن نظام أشهر العواصم الغربية . والعمران في مصر بلغ الحدّ الذي تغبط عليه فلا تشعر وانت في مواطنها العامرة الا كأنك في باريز اولندره أوغيرهما من العواصم المشهورة بالحضارة .

وللتمثيل في مصر ، والموسيقى على الاخص ، معاهد عديدة ، ومسارح مختلفة ، تساعدها الحكومة في كل سنة . وقد أقيمت مؤخراً محطة للاذاعة ، على شكل عصري .

ولن نتكلم هنا عن الحركة الفكرية وما يتبعها من أدب وصحف ومطابع ، ولا عن المشاريع الاقتصادية كبنك مصر وغيره ، ولا عن الجيش والطيران . فان ذلك سنفصله في الفصول القادمة . ولكن ذلك كله يدفعنا إلى الاعتراف لمصر بالتقدم والتفوق على غيرها من الأقطار

العربية ، ويحفزنا إلى الاستبشار بمستقبلها اللامع الذي لن يقوم على الطفرة كما كان شأن تركيه وإيران ، إنما يستقل على الرشد والحكمة والأناة .

* * *

وبالإجمال يمكننا القول ان مصر في رقيها الباهر قد جمعت بين القديم والجديد ، وإنها سوف تصل إلى ما تصبو إليه بما يبذله أهلها من همة ونشاط وما يظهرونه من مقدرة وكفاءة . فهنيئاً لمصر ماضيها المجيد ، وحاضرها الباهر ، ومستقبلها الزاهر .

ملوك مصر

أعطينا القارئ ، في فصل مصر القديمة ، صورة عن الحكومات التي تألبت على مصر ، والحكام الذين أداروا دفتها وتولوا سدتها . وها نحن وقد عزمنا على التحدث عن مصر الحديثة لانرى بدأ من ذكر أسماء متولي الملك فيها من الأسرة العلوية رعاية للتاريخ ، واتماماً للبحث ، ثم نفصل ذلك حسبما يستدعي المقام :

الاسم	الولادة	تاريخ الحكم	الوفاة	مدة الحكم
محمد علي باشا	١٧٦٩	من سنة ١٨٠٥ الى سنة ١٨٤٨	١٨٤٨	٤٣ سنة
ابراهيم باشا	١٧٨٩	من يونيه الى نوفمبر ٨٤٨	١٨٤٨	٦ أشهر
عباس باشا الاول	١٨١٣	من سنة ٨٤٨ الى سنة ٨٥٤	١٨٥٤	٦ سنوات
سعيد باشا	١٨٢٢	〃 ١٨٥٤ 〃 ٨٦٣	١٨٦٣	٩ سنوات
اسماعيل باشا	١٨٣٠	〃 ١٨٦٣ 〃 ١٨٧٩	١٨٩٥	١٦ سنة
محمد توفيق باشا	١٨٥٢	〃 ١٨٧٩ 〃 ١٨٩٢	١٨٩٢	١٣ سنة
عباس باشا حلمي الثاني	١٨٧٤	〃 ١٨٩٢ 〃 ١٩١٤	١٨١٤	٢٢ سنة
السلطان حسين كامل	١٨٥٣	〃 ١٩١٤ 〃 ١٩١٧	١٩١٧	٣ سنوات
الملك فؤاد الاول	١٨٦٨	〃 ١٩١٧ 〃 ١٩٣٥	١٩٣٥	١٩ سنة
الملك فاروق	١٩٢٠	〃 ١٩٣٥ وفقه الله وامد في عمره		

محمد علي باشا

ولد سنة ١١٨٢ هـ ، ١٧٦٩ م في مدينة **قوله** الألبانية ، وكان وحيداً لوالده ابراهيم آغا رئيس حرس البلد . مات أبوه فكفله عمه طوسون ثم مات فكفله حاكم المدينة المدعو الشوربجي ، وقد زوجه من إحدى قريباته . واشتغل في تجارة التبغ ثم سافر الى فرنسه ، وقد عينه الشوربجي ضابطاً في الحملة الألبانية المرسلة لمحاربة الفرنسيس عام ١٨٠١ ثم رقي إلى رتبة قائد ، فرتبة رئيس حرس السراي . وفي ٥ صفر ١٢٢٠ الموافق مايو ١٧٠٥ اجتمعت الامة المصرية ونادت بسقوط سلطة العثمانيين وولت محمد علي أريكة الحكم .

وحارب الوهابيين في الحجاز بعد أن صنع داراً للسفن على سواحل بولاق لكي تهيء له الأسطول الذي يمخر به إلى الحجاز . وجرد أيضا حملة لاكتشاف السودان ومنابع النيل . وعاون العثمانيين في حرب اليونان سنة ١٨٢٤ ، وكان ذلك سبباً في تدخل الدول الأجنبية ثم وقع خلاف بين والي مصر وعبد الله باشا والي عكا ، وكان الباب العالي يعاون الثاني ، فأثار ذلك حفيظة محمد علي ، فأرسل حملة على سورية في ١٤ اكتوبر ١٨٣١ بقيادة ابراهيم باشا ، فاحرز انتصارات باهرة امتدت الى كوتاهية . فتدخلت روسيا وبعض الدول وانتهى الأمر بعقد صلح بين تركيه ومحمد علي ووضعت معاهدة كوتاهية . وعادت تركية إلى مناوأة محمد علي ، فأعلن الحرب عليها ثانية ودحرها في واقعة نصيبين (٢٤ يونيه ١٨٣٩)

ثم انحاز الاسطول التركي بعَدده وعُدده إلى محمد علي وكان ذلك ايضا سبباً في تدخل الدول وإظهارها العداء ضد محمد علي خلافرنسه التي انحازت إليه . وفي مؤتمر لندره الذي عقد لهذه الغاية سنة ١٨٤٠ فرضت الدول الشروط التي أملاها عليها الخوف من الرجل الالباني الكبير فاضطر مرغماً أن يخضع لها . وبموجب هذه المعاهدة انسحب محمد علي من البلاد التي احتلها ، وأصبحت مصر دولة خاصة للسيادة التركية .

ابراهيم باشا

أول ولي للعهد في الأسرة العلوية هو المغفور له بطل فتوحات سورية ابراهيم باشا الجد الثاني للملك فاروق ، فقد كان ولي عهد أبيه محمد علي باشا الكبير ، وأكبر أنجاله ، وساعده الأيمن فيما قام به من فتوحات وأعمال عظيمة في الجيش المصري ، والاصلاحات الحكومية والعمرانية . وقد ولد في قولة سنة ١٧٨٩ وحضر إلى مصر سنة ١٨٠٥ أي في السنة التي اختير فيها أبوه والياً على مصر . وقد تولى منصب الدفتردارية وعمره ١٨ سنة ـ وهذا المنصب بمثابة منصب وزير المالية في هذه الأيام ـ وقد قام في هذا المنصب بمساحة أطيان القطر المصري كله ثم ولاه أبوه حكم الصعيد إلى جانب الدفتردارية وهو ما يزال ولياً للعهد فصار أمير الصعيد وحاكمه المنفذ لأوامر والده فيه ، وطارد فيه المماليك وقضى على شوكتهم .

وقد ظهرت كفاءته الحربية أول مرة في الحرب الوهابية ، ثم تجلت في أعلى درجاتها في حروب الشام إذ أدهش العالم بما أظهره من كفاءة حربية ممتازة

ولم تنحصر كفاءته في الشئون الحربية وحسب ، بل بدت في جميع الأعمال الإدارية الأخرى .

عباس باشا الاول

ولما توفي ابراهيم باشا انتقلت ولاية الأريكة المصرية إلى عباس الأول بن الأمير طوسون بن محمد علي ، لان عباس الأول كان على هذا الاعتبار السالف ولي عهد جده ، وكان أكبر أفراد الأسرة العلوية ، ولكنه لم يرث عن جده صفاته العظيمة ، وقد تولى بعض المناصب الادارية في مصر أثناء ولايته للعهد ، فكان مديراً للغربية ، ثم أسند اليه منصب الكتخدائية وهو منصب يشبه رئاسة الوزراء في زماننا ، ولم يكن ذا صفات ممتازة ، بل كان قاسياً عنيفاً في معاملاته للأهالي ، حتى نقم عليه إبراهيم باشا ونفاه إلى الحجاز ، فلم يعد إلا بعد وفاته وقد بقي عباس حاكما على مصر خمس سنوات ونصف سنة تبدأ بنوفمبر سنة ١٨٤٨ ، وتنتهي في سنة ١٨٥٤ ، ومات مقتولا .

ابراهيم الهامي باشا

لم يخلف عباس باشا الاول من الذكور إلا إبراهيم الهامي باشا ، و كان هو ولي العهد في حياة أبيه ، و لكن نظام توارث العرش كان يحول بينه وبين الملك ، إذ يقضي بانتقال العرش إلى أكبر أبناء محمد علي الكبير أو أبناء أبنائه ، و كان محمد سعيد بحكم هذا النظام هو الأحق بالحكم بعد وفاة عباس الأول .

وأراد بعض رجال عباس الأول بزعامة إبراهيم باشا الالفي أن يتولى ابراهيم الهامي باشا الحكم خلفاً لوالده ، وقد كان حين مقتل والده بأوربا فاتفقوا على استدعائه لهذا الغرض ، و كتبوا سراً إلى محافظ الاسكندرية بما اعتزموه ، و كان وقتئذ اسماعيل باشا سليم ، فلم يوافقهم على عزمهم ، وذهب تواً إلى الأمير محمد سعيد ـ وكان مقيما بالاسكندرية بسراية بالقباري ـ وأطلعه على هذه المؤامرة التي يراد بها إبعاده عن الأريكة المصرية ، فشكر له إخلاصه ، وأسرع إلى سراي رأس التين ، وأعلن اعتلاءه العرش ، وأطلقت المدافع ، وأقيمت حفلة الجلوس . ثم سافر إلى القاهرة ، وذهب إلى القلعة حيث كان مقر الحكم ، وتولى زمام الامور فيها .

ولي العهد طوسون

كانت ولاية العهد للامير طوسون بن الامير محمد سعيد

ولكن نظام توارث العرش القديم جعل الحق في ولاية الحكم بعد سعيد باشا للامير أحمد باشا رأفت أكبر أنجال المغفور له ابراهيم باشا ، وقد كاد يتولى الاريكة المصرية لولا كارثة (كفر الزيات) التي حدثت قبل موت سعيد باشا بخمس سنوات ، فقد أقام محمد سعيد باشا حفلة في مايو سنة ١٨٥٨ حضرها جميع امراء البيت المالك ، وفيهم احمد باشا رأفت ، وحليم باشا أصغر أنجال محمد علي باشا . ولما انقضت الحفلة اعتزم الاميران أحمد وحليم العودة إلى مصر ، فركبا قطاراً خاصاً مع حاشيتهما فسقطت عربتهما في النيل عند (كفر الزيات) وكان الامير أحمد باشا ضخماً ، فلم يستطع النجاة ، ومات غرقاً . أما الامير حليم فقد نجا من الغرق . وبهذه الكارثة انتقلت ولاية الحكم الى الخديوي اسماعيل

اسماعيل باشا

هو الخامس من ولاه مصر من سلالة محمد علي باشا . والثاني من أولاد ابراهيم باشا ابن محمد علي .

وُلد سنة ١٨٣٠ وتولى العرش سنة ١٨٦٣ وخلع سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٨٩٥

وقد عني أبوه وجده بتربيته . وأرسل إلى باريس مع بعض الامراء وأولاد الاعيان . فأتقن اللغة الفرنسوية والطبيعيات والرياضيات وشغف بفن تخطيط المدن وتنسيقها . وعاد إلى مصر في عهد عباس باشا الاول . ووقع بين أفراد الاسرة نزاع بشأن ميراثهم . فبقي اسماعيل باشا في الاستانة إلى أن توفي عباس الاول وتولى سعيد باشا . فرجع اسماعيل الى مصر وتولى رئاسة مجلس الاحكام .

ولما أفضت اليه ولاية مصر بوفاة سعيد باشا سعى سعياً حثيثاً في الاستانة حتى نال رتبة الخديوية ولقب خديوياً وأصبحت ولاية مصر ارثاً صريحاً لنسله ينتقل منه إلى أكبر أولاده .

ويضيق المقام عما قام به الخديوي اسماعيل باشا من الأعمال الجليلة لترقية شؤون البلاد . وأهم هذه الأعمال: الاحتفال بافتتاح قنال السويس، تنظيم مدينة القاهرة، وإنشاء الأوبرا، والمتحف المصري، والمكتبة الخديوية، والجمعية الجغرافية، وجرّ الماء بالأنابيب إلى بيوت العاصمة وتقسيم القطر إلى ١٤ مديرية، وتأسيس مجلس النواب، والمحاكم المختلطة ومصلحة البريد، ومدّ كثير من خطوط السكك الحديدية والبرقية، وأقامة مرصد العباسية، وسور حديقة الازبكية، وتمهيد الطريق إلى اهرام الجيزة الخ ...

وكان الانفاق على هذه المنشآت سبباً في إثقال كاهل مصر بالدين واتفاق الدول على عزل الخديوي اسماعيل، فخرج من مصر سنة ١٨٧٩ وأقام زمناً في إيطاليا . ثم سافر إلى الاستانة وقضى فيها بقية أيام حياته .

وقد انتهى حكم اسماعيل بجملة أشياء لا يسع المنصف إلا أن يذكر السيء منها والحسن وهي :

١ ـ أدى إسرافه إلى فقر عظيم في البلاد ، حتى بات الفلاح يعاني الفاقة ، ولا يطيق الضرائب . ووقعت الدولة في الدّين الذي لم تتخلص منه للآن .

٢ ـ أدى حبه للحضارة الاوربية إلى وجود طائفة قليلة العدد من المصريين تهذبت بالثقافة الغربية وصارت تتعود العوائد الاوربية وتتحدث عن الحرية والعدل والمساواة .

٣ـ لما ساءت علاقته بالمراقبين الاوربيين الذين عينتهم الدول أوصياء على مالية الدولة ، أخذ إسماعيل يحرك الوطنيين لمقاومتهم فخلق بذلك الحركة الوطنية التي كان عرابي بطلها بعد ذلك .

٤ ـ وكذلك أدى حبه للحضارة الاوربية أنه أوجد نظاماً حديثاً للحكومة المصرية هو أساس نظامها الراهن .

ولما توفي سنة ١٨٩٥ نقلت جثته إلى مصر . واحتفل بتشييعها احتفالاً عظيما سار فيها حفيده الخديوي عباس والامراء والوزراء .

محمد توفيق باشا

كان الامير محمد توفيق أكبر أنجال والده اسماعيل ، وقد استطاع الخديوي إسماعيل أن يحصل على نظام جديد لتوارث العرش يقضي بأن

يؤول الحكم بعد وفاة الوالي إلى أكبر أنجاله ، بعد ما كان النظام القديم ينص على أن الحكم ينتقل بعد وفاة الوالي إلى أكبر أنجال محمد علي من الذكور ، ولكن النظام الجديد الذي حصل عليه إسماعيل قضى على هذا النص وأصبح الحكم محصوراً في أبناء الوالي ، وبذلك صار الأمير توفيق ولي العهد في حياة والده . وقد تولى رئاسة الوزارة في ١٠ مارس سنة ٨٧٩ ، ولكنها لم تؤلف إلا في ٢٣ مارس . وكانت هذه الوزارة حرة في قراراتها لا دخل للخديوي فيها ، بيد أنه لم يمض أسبوع على تأليفها حتى وقع النزاع بينها وبين الخديوي ، ثم بين أعضائها وبين رئيسها ولي العهد توفيق ، وأدى هذا النزاع إلى أن قدّم ولي العهد استقالة وزارته بعد تأليفها بأسبوعين .

عباس باشا حلمي الثاني

رزق توفيق باشا من الذكور نجلين ، عباس حلمي ، ومحمد علي . وكان عباس أكبر النجلين ، فكان بناءً على النظام الجديد لتوارث العرش وليّ العهد الشرعي للاريكة المصرية ، وقد عني والده بتربيته وتربية شقيقه عناية فائقة ، وأنشأ لهما مدرسة خاصة سميت « مدرسة الأعيان » كان يتعلم فيها ولي العهد وسمو الأمير شقيقه وأبناء الأسرة العلوية وأبناء بعض كبار الأعيان المصريين . ولم يطل عهده بلقب « ولي العهد » إذ توفي والده وهو حديث السن ، فتولى الاريكة المصرية سنة ١٨٩٢

عبد المنعم

ولما كان الخديوي عباس الثاني متربعاً على عرش مصر، كان ولي عهده الأمير عبد المنعم الذي يقيم الآن في مصر، ولكن الظروف السياسية قضت بخروج الخديوي من مصر، وتولية السلطان حسين مكانه ثم صدر مرسوم سنة ١٩٢٢ بحرمان الخديوي السابق من دخول مصر وتصفية أملاكه.
وفي سنة ١٩٣٠ تم الاتفاق على تنازله عن حقوقه في عرش مصر.

كمال الدين حسين

كان الامير كمال الدين حسين هو ولي العهد الشرعي في حياة والده السلطان حسين كامل، ولكنه أبى أن يتولى العرش بعد وفاة أبيه، وفضل أن يعيش بعيداً عن الاضطلاع بهذه المهمة الكبرى، فتنازل عن السلطنة لسمو عمه الامير أحمد فؤاد «جلالة الملك فؤاد الأول» فاضطلع جلالته بشؤون الملك خير اضطلاع منذ سنة ١٩١٧. وقد أقر الله عينيه بولي عهده الأمير فاروق الذي وهب من الذكاء والنبوغ والصفات الخلقية والجسمية ما جعله في الصف الأول بين أولياء العهود في العالم، وما حبب فيه الشعب المصري وجعله فخراً لمصر والمصريين.

الملك فؤاد الاول

لو رجعنا إلى التاريخ نستقرئه حياة الملوك والأمراء، أخلاقهم وأعمالهم وثقافتهم، لوجدنا معظمهم أنانيين، أخذتهم العزة، واستخفهم السلطان، وغرهم الملك، فعاشوا لنفوسهم لا لغيرهم، وكانوا كلما تعارضت منفعتهم ومنافع أممهم فضلوا الأولى ولو كان في ذلك الويل والذل لأممهم.

وقليل هم الملوك الذين عرفوا واجباتهم حق العرفان، وأدّوا الخدمات التي تستحق التنويه والاطراء، وسهروا على راحة شعوبهم.

ولا نغالي إذا جعلنا المغفور له الملك فؤاد الأول بين هذا الرعيل الذي أرضى الله والضمير والناس. فقد كان رحمه الله وبلل ثراه، كريم الأخلاق، نبيل الصفات، ذكي الخاطر، عذب الحديث، بعيد النظر، فهو على ثقافة عالية جمعت بين الدين والعلم، والسياسة والكياسة، لذلك كان مثالا عالياً للمحافظة على التقاليد والأخذ بالنافع من الجديد ولم يكن أرستقراطياً، متعجرفاً؛ وكان أكره شيء اليه اليأس، فلا تثنيه صروف الحدثان مهما تجرْ. وتزحزح عن مواصلة السعي لما فيه مجد أمته ونجاح وطنه. ومن كلماته المأثورة التي تدل على ما طبع عليه من الديمقراطية وحب الانسانية قوله: «ليس شيئاً كثيراً أن يصير الإنسان أميراً، إنما المهم أن يكون نافعاً» وكأنه في هذه الكلمة يعطي أكبر درس في الأخلاق والفلسفة. فهو يلفت الأنظار إلى أن أساس عظمة

الإنسان، وسرّ حياته الأكبر، وخلاصة الدين كله، أن يكون المرء نافعاً لنفسه ومن حوله، وبنسبة هذه الغيرية يكون نصيبه من الكمال. وهو في كلمته كأنه يقول لنا ما كان يقوله تولستوي: «إن الأخلاق ليست وقفاً على الملوك والامراء والمتعلمين. إنها توجد في الطبقات البسيطة الساذجة. ولقد رأيت في إحدى القرى حلاقاً كان على مثال من النبل والكرم وتيقظ القلب يغبط عليه» أَو كأنما أراد - رحمه الله - أن يعطي درساً للأمراء والزعماء والحكام أن ليس في وظائفهم



المغفور له فؤاد الاول في صباه



المغفور له فؤاد الاول

ومراكزهم ما يستحق أن يباهوا ويفخروا أو يدلوا به على الشعب ، إنما الذي يمكنهم أن يسعدوا به هو ما يقدمونه بين أيديهم من الخدمة المجردة والأيادي المشكورة ، والمساعي المبرورة ، والحسنات والقدوات .

وليس هذا كل ما يمكننا أن نعدّده من مناقب جلالة فؤاد الاول وهو الذي عاش حياته يغذي العلوم والفنون ، وينشط الصناعات والتجارات وخيرات البلاد ، ويقدر الإخلاص والجدّ والتضحية . ويبذل في سبيل ذلك ما استطاع إليه سبيلا . إن حياته صفحة مجيدة من الغيرة التي لا نجدها إلا في الأب نحو أولاده ، والمحبة التي يخفق بها قلب الوالدة على وحيدها ، والوفاء الذي يظهر في أعمال وأقوال الصديق الصدوق ، والتضحية التي يقدمها الاستاذ إلى طلابه . لقد خدم فؤاد الأول أمته خدمات تظهر للعالم كثيرة ، ولكنها في نظر التاريخ قليلة ، ذلك لأنه كان يود أن لا يفارق الدنيا قبل أن يحقق الأماني التي امتزجت بروحه ، ولكن الظروف كانت لا تساعده على تحقيقها . وإذا كان المرء يقاس بمطامعه ومطمحه ، فإن المليك الراحل كان فيما يرجوه لامته ويستسنح الفرص لإبرازه لحيز الحقيقة ، اكبر منه في أعماله التي نحفظها له ، وهي النور الذي هدانا إلى ما يكنه ، واللسان الذي ترجم لنا عن طويته .

وحسبه أنه كان يشعر بكل ما يشعر به المصري خصوصاً ، والعربي عموماً . وحسبه أنه ساهم في كل عمل خيري ؛ وحسبه فخراً تلك العبرات التي كان يسيلها بينه وبين نفسه كلما ألمّ بوطنه ضيق ، أو دارت به دائرة .

لقد كان فؤاد الاول أباً غيوراً في شعبه ، خدمه بكل ما استطاع ولم يترك الحياة إلا والألسن رطبة بذكره ، والقلوب خافقة بحبه ، والخيال معجب بحياته .

* * *

وهو أحمد فؤاد الأول بن اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا مؤسس السلالة الملكية

ولد المغفور له في قصر الجيزة يوم الخميس ٢٦ مارس ١٨٦٨ الموافق ٢ ذى الحجة ١٢٤٨ . وتبوأ العرش يوم الثلاثاء ٩ اكتوبر ١٩١٧ الموافق ٢٣ ذي الحجة ١٣٣٤ . وله من الانجال صاحب الجلالة الملك فاروق أيد الله عرشه ، ومن الكريمات صاحبات السمو الملكي الاميرات : فوقيه وفوزيه ، وفائزة ، وفائقة . وانتخاب جلالته هذه الأسماء التي تبتدئ بحرف الفاء كاسمه ينم ولا شك عن الذوق .

ولقد قام في ٢٤ يونيه ١٩٢٧ برحلة إلى اوربه بدعوة من ملوكها . فزار البلاد الانكليزية والبلجيكية والايطالية والفرنسية ، محكماً الروابط بين هذه الامم وامته وكانت الصحف جميعاً تلهج بالثناء عليه وبالاعجاب به ، وتعقد الفصول الضافية عن حياته وأعماله وتمسكه بشرقيته ودينه واجماع امته على محبته .

وأول ما فكر به هو استنهاض الهمم لانشاء الجامعة المصرية . وقد صادفت دعوته قبولا في النفوس ، وكان ذلك سنة ١٩٠٦ فلم يمض سوى عامين حتى بلغت الاكتتابات لهذه الغاية الجليلة عشرين الف جنيه ، فأنشئت الجامعة سنة ١٩١٣ وانتخب رئيساً لها .



المغفور له الملك فؤاد الاول مع فخامة رئيس الوزراء يحيي عبد الفتاح باشا

وقبل أن يتولى العرش بعشرين سنة كان يرى ضرورة جعل التعليم إجبارياً في مصر . ولقد سعى حتى تمت له أُمنيته ، فحبه للعلم قد امتزج بروحه وقلبه منذ القديم . ويرجع إليه الفضل الاكبر في إنعاش الجمعية الجغرافية التي أنشأها المغفور له والده اسماعيل .

ومن مشاريعه إنشاؤه معهد الاحياء المائية لدراسة الحيوانات والنباتات الموجودة في المياه الملحة في الشواطئ المصرية ومياه النيل .

وكذلك مدّه يد المساعدة لتجديد المسجد الأقصى في القدس الشريف والمسجد النبوي في المدينة المنورة .

وتخصيصه الجوائز المادية لارباب العلوم والفنون .

وإنشاؤه مجمع اللغة الملكي الذي يهتم بإيجاد موسوعة عربية على النمط الغربي ، إحياءً للغة وإطلاقها من عقال الجمود والركود .

وجميع ماتقدم غيض من فيض . وقد توفي في ٢٨ نيسان سنة ١٩٣٥ أجزل الله ثوابه ، وألهم ملوك العرب الاقتداء به والتطريز على منواله ، ليستطيع الشرق أن ينهض بهم ويعيد مجده وسؤدده .

ولا يسعني أخيراً إلا أن أذكر أني حظيت بالمثول بين يديه مرتين ، لما كنت في مصر ، فشاهدت فيه شخصية جذابة محترمة ، وسمعت من فمه العطف على البلاد العربية ، وتمثلت أمامي الديمقراطية الراقية التي تختلف كثيراً عن مثلها في غيره من ملوك العرب ؟

صاحب الجلالة فاروق الاول

وُلد جلالته في ٢١ جمادى الاولى ١٣٣٨ الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ وكانت الثورة الوطنية في إبانها ، وأنظار المحبين لمصر والحريصين على صلاح مستقبلها تتجه إلى رجاء الفصل في قضيتها ، والتفريق بين مالها من حقوق شرعية وما لغيرها من مصالح دولية . فاختير اسم الفاروق في ذلك الوقت لسببين : الاول تيمناً بهذا الاسم الذي كان يلقب به عمر ابن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ، والذي فتحت في عهده مصر وأصبحت قطراً إسلامياً . وقد منحه النبي (ص) هذا اللقب تفاؤلاً بإسلامه .

والسبب الثاني أن المغفور له والده يميل إلى أن يسمي أصحاب السمو أبناءه بالأسماء التي تبدأ بحرف « الفاء » وهو الحرف الذي يبتدئ به اسم « فؤاد » وقد سمى بذلك أولى بناته « الأميرة فوقية » زوجة صاحب السعادة محمود فخري باشا وزير مصر المفوض بباريس ، ثم سمى صاحب الجلالة فاروق ، وسمى صاحبات السمو شقيقاته على هذه الطريقة « فوزية . فائزة . فائقة . فتحية »

وقد لوحظ في اسم « فاروق » الظرف الذي كان يحيط به ، وهو ظرف الحركة الوطنية ، فأراد المغفور له أن يسميه بهذا الاسم تفاؤلاً بأن يكون عهد ولادته عهد فصل في النزاع القائم بين المصريين والانجليز .



جلالة الملك فاروق الأول



صاحب الجلالة الملك فاروق الاول

ألقابه

ولقب جلالة الملك فاروق بلقب صاحب السمو الملكي ، وكل أميرة من شقيقاته تلقب بلقب صاحبة السمو الملكي - أي بإضافة لفظ « الملكي » كما ينص عليه المرسوم الخاص بألقاب الأمراء والنبلاء والحائزين للرتب الرفيعة ، أما بقية أمراء البيت المالك فيلقبون بلقب (صاحب السمو) فقط - عدا أنجال المغفور له السلطان حسين ، فيضاف لفظ السلطاني إلى لقب صاحب أو صاحبة السمو .

ولما صدر الأمر الكريم بنظام وراثة العرش في أبريل سنة ١٩٢٢ جاء فيه :

« فولاية الملك من بعدنا لولدنا المحبوب الامير فاروق » . وبذلك صار لقب الامير (ولي الملك) بعد إعلان استقلال مصر .

ولكن الجمهور درج على أن يلقب سموه بلقب (ولي العهد) لشهرته ولكثرة التعود عليه منذ زمن طويل .

أمير الصعيد

ولقب أيضاً (أمير الصعيد) . والسبب في منحه هذا اللقب هو أنه اشترى أخيراً أراض واسعة من الاراضي الزراعية بناحية المطاعنة بالوجه القبلي ، وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة آلاف فدان - وروئي أن أكثر أملاك الفاروق بالصعيد ، فصدر نطق كريم بتلقيب الأمير بلقب (أمير

الصعيد) ليشعر أهالي الصعيد بأن ولي الملك أميرهم ومنهم ، فيزدادوا تعلقاً به .

* * *

وقد درج الخطباء والكتاب في كثير من المناسبات على أن يلقبوا جلالته بلقب (الأمير المحبوب) . وقد جاء هذا اللقب ضمناً في نظام الوراثة إذ ورد فيه قول جلالة الملك (ولدنا المحبوب)

الكشاف الأعظم

أما لقب (الكشاف الأعظم) فهو اللقب الذي أطلق على جلالته منذ الاحتفال بتنصيبه كشافاً أعظم لجمعيات الكشافة بالقطر المصري . وقد صار به إماماً للشباب الجديد

وأطلق عليه من بعده لقب آخر هو (أمير الشباب)

ولما زار جلالة ملك إيطاليا مصر أهدى إلى جلالته قلادة الانسياد في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وهي أرقى قلادة في ايطاليا ، وقد أهديت إلى جلالة والده في بعض المناسبات الماضية .

* * *

وتعلم مبادئ اللغة الانجليزيـة من جلالة والدته ومربية خاصة . وبدئ بتعليمه ركوب الخيل عندما بلغ الثانية عشرة . وهو يتقن اللغتين العربية والانجليزية . وبدئ بتعليمه الفرنسية إلى جانب هاتين اللغتين حتى أجادها . ويحفظ جلالته إلى جانب علومه الكثيرة كثيراً من القرآن

الكريم ويحيط بفلسفة الدين الإسلامي إحاطة حسنة .

وقد وصل جلالته من لندن بعد وفاة والده في ٦ مايو . ثم نودي به ملكاً على مصر ، وهو سادس وحيد لابويه في امراء أسرة محمد علي باشا وهم : الامراء كمال الدين حسين ، يوسف كمال الهامي باشا ، حيدر فاضل باشا ، عباس الاول وهو سادس جالس على عرش مصر . وهو من ذرية البطل الخالد إبراهيم باشا واجتمع في عهده سادس برلمان منذ استقلت مصر حتى الآن . وهكذا اقترن اسمه بالعدد ٦ ، وهو عدد ميمون .

مصطفى كامل

تاريخ مصطفى كامل هو تاريخ الوطنية المصرية أكثر من ١٥ عاماً كان الحزب الوطني فيها هو محور الحركة الوطنية في مصر . فانه بعد سقوط عرابي ونفيه هو وصحبه إلى سيلان حدث في النفوس ارتكاس



المجاهد الشاب مصطفى كامل باشا

أعقب الفشل في صفوف الوطنيين حتى بات كل مصري يحسب أن الوطنية ضرب من الهوى ، لا يجلب على البلاد إلا الدمار . وان الرضى بما

هو كائن خير من التسخط الدائم والثورات المنقطعة وكان كل منهم ينظر الى الإنكليز وتفشيهم في الادارة المصرية واتفاقهم مع الخديوي توفيق فيعزو ذلك إلى طيشه وطيش رفاقه ·

وبقي هذا الارتكاس مدة ثم نبغ شاب أخذ في الخطابة يخطب الجماهير وينبه في صدورهم ما خمد من عواطف الوطنية · وكان لا يزال يتكلم بلهجة الطالب · ثم سافر إلى فرنسا سنة ١٨٩٣ حيث التحق بإحدى كليات الحقوق ، وقد رفع في ٤ يونية ١٨٩٥ إلى مجلس النواب الفرنسي رسماً كبيراً يمثل مصر والاحتلال الانكليزي معبراً عن توسل المصريين الى فرنسا بأن تساعدهم كما ساعدت الامم الضعيفة · وعاد إلى وطنه خطيبا ناضجاً ووطنيا مخلصاً لبلاده · وكان هذا الشاب مصطفى كامل ؛ جاء مصر ، فأسس جريدة (اللواء) و (الاجبشيان استندر) الانكليزية و (الايتندار اجبسيان) الفرنسية وأسس الحزب الوطني : ولم يجد في البيئة التي حوله ماينصره النصر الواجب أمام الانكليز · فعمد إلى الاستانة واستعان بها في مناهضة المحتلين · فكان السلطان عبد الحميد يغذوه بالمال والجاه ، حتى لقد أنعم عليه برتبة الباشوية ، وكان سمو الخديوي السابق يدفعه بماله وجاهه أيضاً إلى مقاومة الانكليز · فلم تمض إلا سنوات حتى كان مصطفى كامل رمزاً للوطنية في مصر · وكان (لواؤه) يحمل إلى القرى النائية فيجتمع حوله القرويون ويتلو عليهم قارئ منهم آخر ما جادت به قريحة الزعيم المجاهد ·

ومن حسناته تأسيس المدرسة التي أسماها باسمه وخصص لها من ماله ما يضمن حياتها

ويعتبر مصطفى كامل حلقة الاتصال بين الوطنية القديمة وطنية عرابي وعبد الله نديم وبين الوطنية الحديثة وطنية لطفي السيد والجريدة التي ازدهرت اخيراً ، فكانت زهرتها أو بالاحرى ثمرتها الناضجة رجال الوفد ٠

وكان جريئاً مقداماً صبوراً ، شديد الثقة بنفسه شأن الرجال العظماء ، واسع الآمال والاماني ٠ طموحاً إلى النجدة المعالي ، قوي الارادة ، حر الافكار يحب الصراحة ولا يخاف في الحق لومة لائم ٠

وقد مات في ريعان شبابه في فبراير سنة ١٩٠٧ فسار في مشهده أكثر من ٥٠ الف مصري ٠

سعد زغلول

ولد سعد زغلول في بلدة (ابيانه) مركز فوه غربية سنة ١٨٦٠ م .

وتلقى القراءة والكتابة في مكتب البلدة ثم أرسل إلى دسوق حيث أجاد القرآن . وجاء بعد ذلك إلى القاهرة ودخل الأزهر الشريف فمكث فيه خمس سنوات ، وكان بين أساتذته في ذلك العهد ، العالم الكبير السيد جمال الدين الافغاني



المغفور له سعد زغلول باشا

وعين سعد محرراً بالوقائع المصرية عام ١٨٨١ ، وكان رئيس تحريرها إذ ذاك المرحوم الشيخ محمد عبده

وفي سنة ١٨٨٣ ، عين معاوناً في الداخلية فناظراً لقلم قضايا الجيزة .

وعلى أثر ذلك قامت الثورة العرابية الشهيرة ، فاشترك فيها ، واتهم بأنه من أتباع الشيخ محمد عبده ففصل من وظيفته

واشتغل بالمحاماة عام ١٨٨٤ ثم عين قاضياً ، فكان أول محام عين في هذا المنصب ، ووقع عليه الاختيار عام ١٨٩٢ مستشاراً لمحكمة الاستئناف وظل في القضاء إلى أن عين وزيراً للمعارف عام ١٩ ٧

وتولى بعد ذلك وزارة الحقانية ، وترك فيها أثراً لا يقل شأناً عن الاثر الحميد الذي تركه في وزارة المعارف

وفي عام ١٩١٣ ، سقطت وزارة محمد سعيد باشا ، فاعتزل سعد الحكومة ، ولكنه انتخب وكيلا للجمعية التشريعية عن الامة ، وكان ذلك بدء حياته النيابية

وتعطلت الجمعية التشريعية على أثر نشوب الحرب العظمى ، وأعلنت الاحكام العرفية في البلاد

وأخيراً وضعت الحرب أوزارها ، وأعلنت شروط ولسن المشهورة التي جاء فيها : (إن لكل شعب حق تقرير مصيره) فأسرع سعد إلى دار الحماية البريطانية في ١٣ نوفمبر عام ١٩١٨ وبرفقته علي باشا شعراوي وعبد العزيز باشا فهمي ، فأبلغوا المعتمد البريطاني أماني الشعب المصري وطلبوا السفر إلى أوربا فرفضت الحكومة الانجليزية السماح لهم بالسفر وكانت حوادث عام ١٩١٩ المشهورة

وكان أن نفي سعد وصحبه إلى مالطه في يوم ٨ مارس عام ١٩١٩ فهبت مصر ثائرة احتجاجاً على هذا النفي ، واشتدت التظاهرات ، وعمت الثورة أرجاء البلاد

وفي ٧ ابريل عام ١٩١٩ أفرج عن سعد ورفاقه ، فسافروا إلى باريز باسم الوفد المصري للعمل على تخليص مصر من يد الانجليز

ومضى الوفد يبث الدعوة في أوربا وأمريكا ، وانزعجت انجلترا فدعت سعداً إلى لندن للاتفاق معه.

ثم انقطعت المفاوضات

وتشكلت الوزارة العدلية . وعاد سعد إلى مصر واستقبل استقبالاً فخماً ، ومضى يجاهد ويكافح ، فأصدر الانكليز أمرهم ثانية بنفيه إلى عدن ثم إلى جزر سيشل مع صحبه ثم كان الافراج عن المنفيين ثانية وعودتهم إلى الديار ومواصلتهم الكفاح

واستمر سعد يكافح ويناضل إلى أن أعلن الدستور فألفت وزارته الاولى في عام ١٩٢٤ وكان على أثر ذلك ما تعرفه الامة جمعاء من وقوع حادث السردار ، واستقالة وزارته، وما كان من جهاده بعد ذلك في إعادة الحياة النيابية بعد تعطيلها وفي تأييد دولة ثروت باشا لاتمام الاتفاق مع انجلترا

وكانت وفاته في ٢٣ اغسطس عام ١٩٢٧

لقد كان سعد عظيماً في كل حياته . عظيما في خصومته . عظيما في وفائه . اعظيما في كل شيء حتى في وفاته .

الاوصياء الثلاثة

الامير محمد علي

ولد سموه سنة ١٢٩٢ هـ وتعلم في مدرسة (الانجال) بعابدين ثم برح مصر فدخل كلية « هكسوس » في سويسرا . وكان في مدة دراسته يغتنم الفرص للسياحة في أوربا ، وبقي هكذا حتى زار معظم أقطار العالم : كأميركا وآسيا . وله كتب طلية عن البلقان والاقطار الاميركية وغيرها . وعاد الامير بعد دراسته إلى مصر فكان على الدوام مقصد العلماء والاعيان لا تتألف جمعية خيرية إلا عاضدها وناصرها



وللامير قصر فخم بجزيرة الروضة وبه حديقة غناء من أبدع حدائق العالم مساحتها نحو خمسة

وثلاثين فداناً ، خط في وسطها متنزه بديع يحوي الازهار بأنواعها ، وهي التي أحضرها خصيصاً من جميع أنحاء العالم . ولا غرو فسموه مغرم بالأزهار وتربيتها . وقد أمر فترجم كتاب الزهور الذي يقع في نيف ومئتين وخمسين صفحة من القطع الكبير على ورق مصقول .

وقد قام برحلة ميمونة في جنوب افريقية باحثاً مدققاً عن النباتات التي يصح نقلها وتربيتها بالديار المصرية ، و كتب هذه الرحلة في ٩٦ ص حوت حالة تلك البلاد وأخلاق وعادات أهلها وتربة أرضها وجوها الخ . وعند مدخل سراي سمو الأمير نجد الداخل ديواناً خاصاً لمكتب سموه من الجهة اليمنى ، و كذا مكتباً خاصاً لسكرتيره الخاص والكتبة وقد كتب بأعلى مكتب سموه هذه الآية الشريفة « إن الله على كل شيء قدير » . و كذلك توجد آيات قرآنية شريفة عديدة بأعلى الابواب والحوائط والشبابيك ، حتى يخيل للرائي أنه في متحف أثري مصري . ويوجد أيضاً بجميع الاسقف نقوش بألوان براقة جميلة محلاة بماء الذهب الوهاج ، وقد أنفق عليها سموه أموالاً طائلة . أما سراي سموه الخصوصية الواقعة في وسط الحديقة فمما يبهر العقول إذ أن جميع الاسقفة والابواب والشبابيك بل و كل الأثاثات منقوشة بالآثار العربية العظيمة الفنية ، وذلك يكاد يكون من جملة غرامه . ولسموه ولع أيضاً باقتناء جياد الخيل العربية ولديه منها عدد وافر في اصطبلاته .

وبالنظر لكفاءته وإخلاصه وقع عليه الاختيار ليكون في مجلس الوصاية على العرش .

معالى

شريف صبري باشا



علم من أعلام مصر الكبار ، قد اجتمعت فيه شرائط العظمة والنبل ويعدّ في طليعة الزعماء الذين ملكوا القلوب بالمحبة والإعجاب . وهو خال صاحب الجلالة الملك فاروق .

معالى

عزيز عزت باشا



هو تمثال للوطنية الحقة الصادقة ومن خيرة الرجال العاملين الذين يشار إليهم بالبنان . وعلاقته بالاسرة المالكة ومواقفه الشريفة التي يحمد عليها ، كل اولئك جعله جديراً بالاختيار في مجلس الوصاية على العرش .

أفذاذ مصر

إذا ألقينا نظرة على الاقطار العربية وعلى رجالاتها ومشاهيرها ، وجدنا مصر في طليعتها بما حوته من كبار وعظام في مختلف فروع الحياة . ولا نشك في أن العامل الأول في ذلك راجع إلى الظروف التي اكتنفت تاريخها، والمناسبات التي وقعت فيها، ومركزها الطبيعي ايضاً . فان وجودها بعيدة عن مقر الخلافة العثمانية ، ومميزاتها الطبيعية كالنيل وقنال السويس وطمع الدول بها ، ذلك وغيره قد طبعها بطابع خاص في الحكم وأفاض عليها الخيرات . وقد كان عدم دخولها في الحرب الكبرى من جملة الأسباب في رخائها وتكاثر ثروتها . ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل كثير من الملوك الذين تناوبوا على أريكة عرشها، وكانوا يبذلون ويضحون باخلاص في سبيل اسعادها وترقية أبنائها ، وكأن مصر وهذه حالها أشبه بنيلها ، هذا يفيض بالخير العميم على الوادي ، فتزدهر البلاد ، وتكثر الخيرات ، وهذه تنبت الرجال العاملين النابغين، فيقتطف الشعب من ثمار نضوجهم ما يساعده على ارتقاء انجاد المعالي وطلوع ذرى التقدم . . وها نحن إذ نحاول تعداد افذاذها اليوم نرى المجال يضيق بنا ، والقلم يكاد يكبو ، فهم كثير ، وكل منهم برز في ناحية أو جملة نواح . لذلك نقتصر على ذكر من يأتي ، راجين المعذرة ممن سهونا عن ذكرهم واعدين بتدارك ذلك في الطبعة الثانية إن شاء الله .

صاحب السمو

الامير عمر طوسون باشا



ليس في العالم العربي من يجهل هذا الامير المحبوب الذي أجمعت القلوب على محبته ، ولهجت الألسن بذكره فهو وايم الحق من زعماء مصر الذين يحفظ لهم التاريخ صفحات مجيدة طافحة بالغيرة والتفاني والتضحية ، والعلم الواسع والأخلاق الفاضلة . أكثر الله من أمثاله العاملين لرفع شأن الأوطان وخدمة الإنسانية .

دولة مصطفى النحاس باشا

صاحب المقام الرفيع والزعيم الجليل

خليفة سعد في شهرته وإخلاصه وتضحيته وايمانه وسياسته . فكأن العناية الإلهية خلقتهما على مثال واحد في الأخلاق ، وكأن التربية وجهتهما وجهة واحدة . فكانا كالتوأم . أحبه الشعب إن لم نقل عبده ، وزاد هذا الحب وهذه العبادة موت سعد ، فتضاعف شأنه ، وعظم خطره خصوصاً بين الطبقتين المتوسطة وما تحتها . إن جميع شرائط الزعامة قد توفرت في النحاس باشا . فهو مخلص وذكي ، وهو جريء مقدام ، وخطيب مصقع ، وهو ممن أوتوا المقدرة على التأثير ، ففي نظراته وكلماته روح تكاد تكون غير بشرية ، يسلب بها العقول ، ويفتن الأنظار ، ويحرك القلوب وبذلك كان الزعيم الجليل ، وبذلك اشتهر بأنه أحد أبطال مصر ورمز فخرها ، وبذلك نال المقام الرفيع بين خمسة عشر المليون التي تعدها مصر . ودولته ترأس على الوزارة مرتين ، وتقلد منصب الوزارة مرتين وكان رئيس مجلس النواب بعد سعد قتل القضية الوطنية درساً ، وسافر إلى لندره في وزارة رمزي مكدونالد سنة ١٩٢٤ ثم سنة ١٩٣٠ . وأخيراً كان على يده توقيع معاهدة التحالف بينه وبين المستر هندرسن . وقد أتاحت لي الظروف زيارة دولته في بيت الأمة مرتين فنلت العطف والإكرام .



الزعيم الجليل مصطفى النحاس باشا



معالي مكرم باشا عبيد

أحد الأحجار الثمينة في هيكل الوطنية المصرية ، وزعيم الشباب المفدّى ، ويد سعد في حياته ، والحركة الدائمة بعده . كان منذ لمع نجم شهرته مثال الاخلاص والجهاد والذكاء . وهو ممن إذا خطبوا هزوا الجمهور ببليغ كلامهم ، وممن إذا كتبوا أفادوا وأجادوا . فثقافته ثقافة عالية تستحق القدر . رافق سعداً في سفره إلى لندن عام ١٩٢٤ واشترك في مفاوضات النحاس باشا « هندرسن » سنة ١٩٣٠ إذ كان وزيراً للمالية وسكرتيراً عاماً للوفد المصري . وله في الحركات السياسية آراء صائبة ، تقلد الوزارة مرتين ، في المواصلات والمالية وادّى فيهما خدمات تذكر فتشكر

دولة محمد محمود باشا

سنحت لي الفرصة بزيارة دولته مرتين احداهما سنة ٩٣٠ في
دار الحكومة والثانية سنة ٩٣٤ في دار حزب الأحرار الدستوريين ،



صاحب الدولة محمد محمود باشا

وكان معه الاستاذ الكبير الدكتور محمد حسين هيكل • ودولته ارستقراطي المنبت ديمقراطي الطباع، تخرج من جامعة اكسفورد ، وتقلب مناصب إدارية شتى ، واشترك في الوزارة النحاسية الاولى ثم استقال على أثر خلاف نشأ بين الوفديين والدستوريين ، ولكنه شكل على الأثر وزارة برئاسته وتولى مفاوضة الانكليز عام ١٩٢٩ وكانت وزارته مؤلفة على الشكل الآتي :

محمد محمود باشا	رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية
جعفر ولي باشا	وزير الحربية والبحرية والاوقاف بالنيابة
علي ماهر باشا	وزير المالية
أحمد محمد خشبه باشا	وزير الحقانية
نخله المطيعي باشا	وزير الزراعة
عبد الحميد سليمان باشا	وزير المواصلات
ابراهيم فهمي بك	وزير الأشغال العامة
حافظ عفيفي بك	وزير الخارجية
احمد لطفي السيد بك	وزير المعارف

وقد أفضت مفاوضته مع المستر هندرسن إلى نتائج لم ترض عنها الأغلبية رغم أن هذه النتائج خففت من غلواء الانكليز وتشددهم • ودولته يمثل الأحزاب المعتدلة أصدق تمثيل • وكان له في الأيام الأخيرة مواقف وطنية يحمد عليها كل الحمد • وإلى القارئ الحديث الذي التقطته لدن زيارة دولته في مطلع عام ١٩٣٤ :

قصدت دار حزب الأحرار الدستوريين يصحبني الاستاذ عزت افندي المطار سكرتير لجنة الشبيبة السورية بالجامعة الأزهرية والمراسل الخاص لجريدة الشورى وفي حين دخولنا الدار استُقبلنا من قبل أهلها المشهورين بالوطنية الصادقة بكل احترام وقدمنا الاستاذ الكبير الدكتور هيكل بك لدولة الزعيم الاكبر ، فاستقبلنا دولته بما فطر عليه من بشاشة الوجه ، وبما عرف عنه من رحابة الصدر ، والروح الدمقراطية الحرة

ولم يكد يستقر بنا الجلوس حتى بدأنا دولته بقوله : ماذا تريدون مني ؟

— نريد من دولتكم حديثاً عن الحالة السياسية والاقتصادية في مصر خاصة والشرق عامة ، ليستنير بها الرأي العام العربي . فتفضل وقال : سل ما تريد فإنني محدثك بصراحة لا أتحدث بها مع صحفي أجنبي، ولكنكم من إخواننا الذين تهمهم قضيتنا كما تهمنا قضيتكم . فشكرت لدولته هذا العطف السامي وقلت :

س — ما رأي دولتكم في الوضع السياسي الحاضر في مصر خاصة والشرق عامة؟

ج — ان الشعوب الشرقية تعاني ما تعانيه من فقدان الحرية والاستقلال ، وهي تجاهد في سبيل الحصول عليهما بكل ما أوتيت من قوة ، ولابد بفضل جهادها أن تصل إلى حد تتوق اليه نفوس أهليها من الحرية والاستقلال .

« أما الحالة السياسية في مصر فقد مر عليها أربعة أعوام ، وهي في كل عام من سيء إلى أسوأ . لقد عدلت الحكومة السابقة دستور الأمة وأفقدته مزاياه الكبيرة ، وأنشأت برلماناً من نواب أتت بهم إلى المجلس بالرغم عن ارادة الامة مما أضر بحقوقها وأوصلها إلى هذا العهد الشاذ . أما الحكومة الحاضرة فهي ضعيفة وضعيفة جداً ، وأقل برهان على ضعفها تنصلها مما جاء في الخطبة التي ألقاها عبد العزيز فهمي باشا في يوبيل المحاكم الأهلية خاصاً بالمحاكم المختلطة والامتيازات الاجنبية حينما احتج عليها وزير فرنسا المفوض . وقول رئيس الوزارة لجنابه إن سعادة الخطيب يعبر عن رأيه الخاص فقط ، مع أن الخطب التي تلقى في هذه الحفلات

لا تلقى إلا بعد اطلاع الحكومة عليها وبموافقتها . فلو كانت الحكومة قوية ولديها شيء من الشجاعة ، لقالت لوزير فرنسا المفوض : ان الخطيب يعبر عن رأي الحكومة والشعب المصري . ولا غرابة بعد هذا الضعف أن توعز الحكومة إلى مراسل جريدة الديبا الفرنسية بتكذيب رواية نشرها في جريدته ، وأن ينسبها إلى أن مصدرها الصحف المصرية .

س ـ هل تعيش مصر بدون السودان ؟

ج ـ ليس السودان جزءاً متمماً لمصر ، بل السودان هو مديرية كبقية المديريات المصرية يجب أن يعامل أهله كما يعامل أهل المديريات المصرية من تعليم وتثقيف ، واسناد الوظائف الحكومية للمقتدرين منهم كما هي الحال في مصر . وليس في وسع مصر أن تعيش بدون السودان ، كما أن السودان ليس في وسعه أن يعيش بدون مصر .

س ـ هل تظنون دولتكم بقرب وقوع حرب عالمية ؟

ج ـ أستبعد وقوع حرب عالمية لأن المصائب التي حلت بالشعوب من جراء الحرب السابقة والأهوال التي قاستها الدول التي دخلت في الحرب ، والتي لم يزل شبحها ماثلاً تجاه أعين ساستها ، ناهيك عن الأزمة الاقتصادية الضاربة أطنابها في جميع بلدان العالم ، كل هذه الاعتبارات وغيرها من العوامل مانعة لوقوع حرب عالمية في القريب العاجل .

س ـ ما رأي دولتكم في الأزمة الاقتصادية الحاضرة . وما هي الطرق المؤدية إلى تحسينها ؟

ج ـ الازمة الاقتصادية في بلادنا شديدة ، وطرق علاجها هو أن يبدأ الرئيس لا المرؤوس بالاقتصاد ، وأن يبث الرؤساء بين كافة طبقات الشعب أصول طرق الاقتصاد ، وأن يجعلوا أنفسهم قدوة لأفراد الشعب ـ ثم إن حالة المزارع سيئة جداً ، فلا يصح إبداء الرأي عن طرق معالجتها إلا إذا وجدت أمام الإنسان

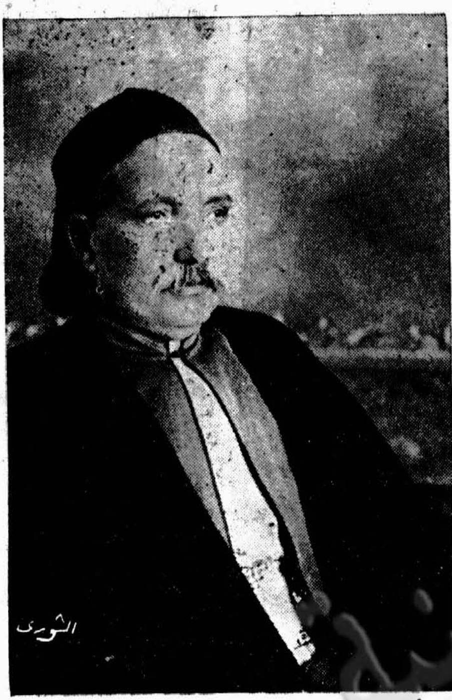
الدفاتر والأرقام الخاصة بالشئون المالية ، فهناك إذا ما قبض على تلك الأرقام صار من السهل عليه إيجاد العلاج اللازم لتخفيف وطأتها وانقاذ المزارع من هوته السحيقة .

س — ما رأي دولتكم في الخلاف القائم بين جلالتي الإمام يحيي والملك ابن السعود ؟

ج — لقد علمنا ، والحمد لله ، أن الخلاف سُوي بينهما ، ولم يبق ثمة ما يشعر بوقوع الحرب بينهما وانني أدعو الله أن يوفق ملوك العرب الى ما فيه خيرهم .

وهنا استأذنا دولته بالانصراف ، فأذن لنا ، فخرجنا شاكرين لدولته عطفه السامي .





حمد باشا الباسل

اذا كانت الأسماء تصدق على مسمياتها ، فان سعادة حمد باشا الباسل أصدق مثال على ذلك ، فانه والحق يقال يتمتع بروح ملؤها البسالة ، ويتجلى ذلك في حديثه وارادته وأعماله . إنه أحد مفاخر مصر فيما قدمه لامته من جهد وجهاد ، وما تحمله في سبيل ذلك من عنت وعذاب . ومحال أن يذكر افذاذ مصر الا ذكر الباسل ، لانه ضحى كما ضحوا في سبيل امته وبلاده .



توفيق نسيم باشا



علي ماهر باشا



يحيي عبد الفتاح باشا



زيور باشا



اسماعيل صدقي باشا



حافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطني



معالي علي زكي العرابي باشا وزير المعارف

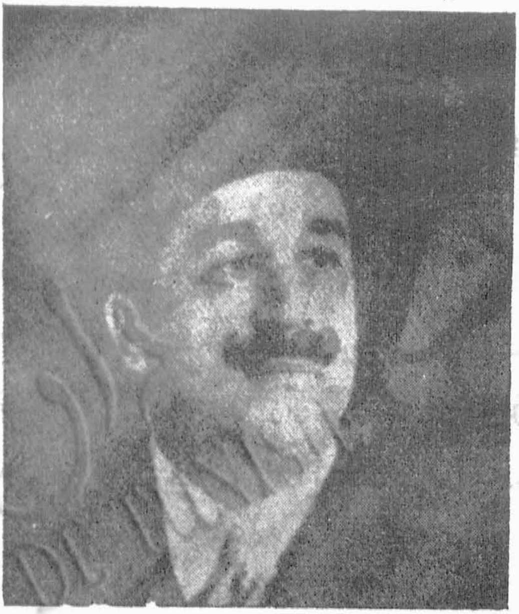
معالى على زكى العرابى باشا

حصل على إجازة الحقوق من مدرسة الحقوق المصرية في سنة ١٩٠٣ ثم انتقل للمحاماة لغاية سنة ١٩٠٩ . ثم عين وكيلا للنائب العمومي . ثم انتقل إلى التدريس بمدرسة الحقوق في سنة ١٩٢٠

وفي سنة ١٩٢٤ عين رئيسا للنيابة العمومية بنيابة الاستئناف وظل في النيابة والقضاء الى ان عين مستشاراً بمحكمة الاستئناف في عام ١٩٢٩ وفي مايو عام ١٩٣٦ عين وزيراً للمعارف بوزارة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا .



الدكتور أحمد ماهر



عثمان محرم باشا





محمد علي باشا علوبة

علي شمسي باشا



نجيب بك الهلالي



حلمي عيسى باشا

وإليك أسماء من لم نتمكن من الحصول على رسومهم مرتبة على الحروف الابجدية:

أحمد حلمي باشا ، أحمد ذو الفقار باشا ، احمد زكي ابو السعود ، احمد علي باشا ، اسماعيل سري باشا ، توفيق دوس باشا ، حسن حافظ باشا ، حسن حبيب باشا ، عبد العزيز فهمي باشا ، عدلي يكن باشا ، محمد ابراهيم باشا ، محمد توفيق رفعت باشا ، محمد السيد أبو علي باشا ، محمد فتح الله بركات باشا ، محمد صادق يحيي باشا ، محمد صفوت باشا ، محمد محب باشا ، محمد نجيب الغرابلي باشا ، محمود شكري باشا ، محمود فخري باشا ، محمود عزمي باشا ، مرقص حنا باشا ، موسى فؤاد باشا ، واصف بطرس غالي باشا ، يوسف اصلان قطاوي باشا ، يحيي ابراهيم باشا ، يوسف سلمان باشا ، يوسف وهبه باشا حسين درويش باشا ، عبد الرحيم صبري باشا ، عبد الفتاح يحيي باشا ، محمد شفيق باشا ، مصطفى فتحي باشا ، مصطفى ماهر باشا ، نجيب غالي باشا .



محمود صدقي باشا محافظ الاسكندرية سابقا



محمود شاهين باشا
وكيل وزارة الداخلية بشؤون الصحة



احمد بك كامل
مدير أمن القاهرة سابقا



حسين صبري باشا محافظ الاسكندرية

رجال القصر


سعيد ذو الفقار باشا

كبير الأمناء، ومعاليه اقدم رجال السراي الحاليين عهداً بخدمتها، فقد دخلها موظفاً صغيراً في عهد اسماعيل باشا، فخدم في عهده ثم خدم في عهود توفيق باشا وعباس حلمي وحسين كامل ٠ ولما ارتقى العرش المغفور له فؤاد الأول استبقاه كبيراً لامنائه وقد خدم المومأ إليه مدة ثلاثين سنة متوالية بدون أن ينفك عن وظيفته بتاتاً ٠ ثم ان معاليه مثال الاستقامة والنزاهة والسيرة الحميدة ٠

سعادة احمد محمد باشا حسنين

الامين الاول

استحصل على شهادته الثانوية ثم التحق بمدرسة الحقوق فمكث ثلاث سنوات ثم سافر إلى انكلترا ١٩٠٩ والتحق بجامعة اكسفورد سنة ١٩١٠ وعاد إلى الوطن سنة ١٩١٤ ثم استخدم في وظائف الحكومة ٠

وفي سنة ١٩١٦ انتخب عضواً في اللجنة الحكومية التي ذهبت لمفاوضة جماعة السنوسي في الحدود العربية . وقد نجحت هذه اللجنة في مهمتها وأخيراً تعين مفتشا في الداخلية . وفي سنة ٩٢٢ قام بأول رحلاته الجغرافية التي اكتشفت (واحة الكفرة) وفي سنة ٢٣ و ٢٤ قام برحلة طويلة قطع فيها صحراء ليبيا من الشمال عند ساحل البحر الأبيض المتوسط الى الجنوب (دارفور) . وقد تقلد وظيفة سكرتير أول مفوضية واشنطن وعاد إلى مصر سنة ١٩٢٥ ورقي إلى سكرتير مفوضية لندن وفي الوقت نفسه تعين لوظيفة بالسراي الملكية ، وبعد سنة عينه جلالة المغفور له فؤاد الأول أميناً اول . وسعادته مثال الخلق الكامل والعلم الوافر والاحترام الشامل ، ويعترف له بذلك جميع من عرف سعادته .



احمد محمد حسنين باشا

محمود شوقي باشا



السكرتير الخاص لجلالة المغفور له فؤاد الأول ، والذي يقوم في الوقت الحاضر باعباء الديوان العالي . يتشرف بمقابلة جلالة الملك الشاب في كل يوم ، ليعرض عليه ما يتعلق بإدارة أعمال السكرتيرية .

مراد محسن باشا



تقلد سعادته حديثاً منصب نظارة الملكية الخاصة وقد كان قبل ذلك وكيلاً للديوان العالي . وكان يشغل منصب محافظ بور سعيد . فجاء هذا دليلاً على مقدرته وثقافته .

وسعادته من كبار رجال السراي الذين يتشرفون بمقابلة جلالة الملك كل يوم تقريباً بحكم وظيفته .

محمد حسنين بك



من الأمناء الذين يعرفهم جلالة الملك الشاب صاحب العزة محمد حسنين بك الأمين الثاني . وقد كان المومأ اليه قبل التحاقه برجال السراي من موظفي وزارة الداخلية . ولما سافر جلالة المغفور له فؤاد الاول إلى اوربا في سنة ١٩٢٩ استصحبه معه وكان يومئذ برتبة قائمقام . ثم عين في ديوان الأمناء ورقي الى أمين ثان .

* * *

أحمد إحسان بك الأصيل الأمين الثالث

اسماعيل بك تيمور الأمين الرابع .

أما المرجبون (التشريفياتية) فهم : سمير بك ذو الفقار ، فائق يكن بك ، محمود السيوفي بك ، علي رشيد بك .

الماسونية في مصر

لا يقتصر حب الاطلاع على خفايا الماسونية ومغيباتها وحوادثها على الذين لم يتح لهم الدخول فيها والانضواء تحت لوائها ، فإن الماسونيين أنفسهم يجهلون كثيراً من تاريخها ، ولا يستطيعون تأويل طائفة كبيرة من رموزها ، ويحارون في توضيح بعض مبادئها التي يخالونها مخالفة للاديان ، وما هي من ذلك في شيء إذا بحثت على ضوء المعرفة الصحيحة . وليس منشأ ذلك في الغالب سوى الجهل الناتج عن التكتم المسيطر على تاريخها ، وقلة المستندات التي تلقي شعاعاً على خفاياها - وهذا التكتم إذا أضفنا اليه المناهضة التي كان يلقاها البناؤون الأحرار ، ثم الوحشية التي كانت نتيجة الحكم الاستبدادي في العصور المتقدمة، رأينا ذلك وغيره هي الاسباب الجوهرية في غموض الماسونية . ومن هنا نشأ التبلبل في تاريخ البناية الحرة ، فراح كلٌّ يرجعها إلى عصر يختلف عن غيره ، وينسبها إلى شعب دون سواه ، وأضحك ما في هذا الباب أن بعضهم يزعم أنها نشأت في الجنة ، وأن أول ماسوني كان سيدنا آدم عليه السلام ولا ندري إذا كانت حواء أيضاً شاركته في العمل ، فكانت إلى جانبه في المحفل في الرياض السماوية . فان كان كذلك فجبريل أيضاً له ضلع في القضية . ونقف هنا احتراماً . وأنت لو رجعت إلى أقوال هؤلاء المؤرخين الذين يهرفون ويشتطون في المزاعم والتأويل لوجدت حججهم واهية أوهى من خيوط العنكبوت ، لان من ينسب الماسونية إلى الصين مثلا لا يستطيع أن يقدم لك برهاناً سوى أن الصين كانت مهد مدنية واسعة ، فلا شك أنها عرفت الماسونية ، ومثله من ينسبها إلى رومه فهو يدلل على أن الكنائس العامرة إنما

هي من صنع البنائين فلا شك أنهم هم الذين أنشأوها ، وبما أن تاريخ رومه قديم فالماسونية قديمة ترجع إلى عهدها . وكذلك قل عمن يجعل الماسونية هندية الأصل أو مصرية أو يهودية او إسلامية أيضاً . أما الحقيقة التي يثبتها الاستقراء والتاريخ نفسه والبحث الحديث القائم على التحليل والشواهد — فهي ان الماسونية نتيجة الأديان المصرية واليهودية والمسيحية ، فرموزها جميعها تكاد تكون طبق الأصل للرموز المصرية واليهودية ، وكذلك فإن كثيراً من التعابير والاصطلاحات الواردة في أعمال تكريسها موجود في التوراة ، وربما كان مأخوذاً بالحرف الواحد ، وإذا نظرت بعد ذلك إلى الروح التي تشملها كالمحبة والاخاء والمساواة ، وهي روح لينة سهلة اشتهرت بها النصرانية لم تشك أبداً في أنها تأثرت إلى حد بعيد بالدين المسيحي . ولو كان المجال أوسع لأسهبنا في الشرح والتدليل . ولكن حسبنا الإشارة وفيها للذكي الإنارة .

ولا شك أن الذين نظموا صفوفها ، وهيأوا أسبابها ، ورتبوا مبادئها على الوجه الذي نراه اليوم ، أي الوجه النظري ، بعد أن كانت الماسونية عملية بحتة في القديم ، إنما كانوا أشرافاً ، حكماء ، ومن لب الشعب . وليس ببعيد أن يكون أكثرهم من المتشرعين الفقهاء الذين كانوا يحملون سمت الدين والعلم . أما أن يكون بينهم حكام وملوك فذلك ما لا يستطيع أن يتصوره العقل ، نقول ذلك لأننا إذا رجعنا إلى العوامل التي يمكن أن تكون الباعث على وجودها ، وإلى الجو الذي كان يكتنف الحياة القديمة وهو جو مفعم بظلم الفقير واضطهاد الضعيف واحتقار الطبقة الدنيا ، رأينا الألم والخوف والفلسفة والعاطفة والتاريخ ، جميع هذه العوامل قد اشتركت في خلق الماسونية وبعثها روحاً جديدة للاصلاح والارشاد والاحترام . ان الألم — وكم له من حسنات — هو الذي أثار النفس الشريفة ففكرت بالمذهب

الحر ، والفلسفة التي لا تعرف معنى للجمود هي التي ساعدت على ترتيبها وتنظيمها ، والعاطفة الراقية هي التي أوحت على تجميلها وتهذيبها ، ثم جاء التاريخ فألبسها رداء مزركشاً نسجته العصور على منوال الظروف والمناسبات ؛ وأخيراً كان الخوف فأخفى كل ما يتعلق بها عن الأنظار .

الماسونية دولة عظيمة ، لها جيوشها ، ولها عتادها وقوانينها وخططها . ولكنها ليست دولة كهذه الدول التي تنادي بالسلم وهي تهيئ الحروب ، ليست دولة تسيطر عليها الأفكار المظلمة السوداء ، ليست دولة تجري الدماء أنهاراً وتزهق الارواح وتتعدى على الحقوق والحريات ، باسم نصرة الضعيف . إنما هي دولة محبة وإخاء وعدل ومساواة ، هي دولة جعلت الإنسانية الدين الشامل الذي يدعو إلى الرحمة والمؤاساة ، وبعبارة أوضح الى تخفيف آلام البشر ؛ وليس هذا كل ما ترمي اليه ، فهي تنزع إلى تحرير الفكر من الاعتقادات السخيفة التي نسجها الماضي وزوّرها وبرقشها حتى غدت ذات مسحة قدسية كاذبة . ولهذا كانت محافلها هياكل عبادات فكرية وارشاد وسلام . وليست هي وهماً من الاوهام أو جمعية تلد صباحاً لتقضي مساء تبعاً لغاية موقتة او برنامج تافه . فهي شريعة ابدية استوعبت فلسفة الاديان كلها ، ورسالتها طبيعية مقتطعة من لب الحياة تماشي سائر الازمان . ولذلك عاشت وتعيش أبد الآبدين .

* * *

ومصر يحق ان تفتخر بأن لها شأناً خطيراً في تاريخ الماسونية ، ومن يدري والماسونية كما أثبتنا نتيجة كثيرمن الديانات ، أن تكون قد تأثرت بادئ الرأي بالديانة المصرية . فكانت الحجر الاساسي في بنيانها ، وكانت الحضارة المصرية التي قدمت الخير والجمال والثقافة للحضارات التي تلتها ، هي التي انبثت في تربتها النواة الاولى للفكرة الماسونية التي عمت العالم فيما بعد . ونحن إذ

نرجع إلى الماسونية قديماً نرى من الشواهد والأدلة ما يثبت إلى حد بعيد ازدهارها على شواطئ النيل . فقد كان الفراعنة يتكرسون قبل تبوئهم العرش ، حتى إذا لم يفعلوا أخذوا بنظرة الغاصبين ، ويحال للحال بينهم وبين كل قوة . وكان كهنة ايزيس ، يبتلون الاغراب بعذابات العناصر الطبيعية الاربعة . كما أن (طيبة) و (مامفيس) و (بوباسث) و (كارناك) و (الاسكندرية) كانت مراكز كبرى للتكريس ، وصالة (كارناك) القائمة على العمد الضخمة والتي كانت كل دعامة فيها على نسبة علو عمود (فاندوم) - كانت تستقبل أشياع الاسرار . وكان الغرباء عن الماسونية يسقطون في أيديهم أمام عظمة تلك الهياكل العظمى . وكانت العذابات جد هائلة . فالويل لمن لا يستطيع أن يتسلط على ضعفه وأهوائه فيغدو عندئذ عبداً للهيكل ! والفوز لمن يغدو تلميذ (ايزيس) ولا بد له من الثبات لغشيان نور « اوزيريس » كي يغدو فيما بعد كاهناً .

وشريعة ايزيس هذه قد تعدت سريعاً تخوم مصر القديمة منتشرة في بلاد اليونان وايتاليه والغول . وليس دين كهنة الغول الذي أخطئ في تفهمه الا نتيجة تلك الشريعة

* * *

واذا كان النور الماسوني قد شع في مصر الى غيرها في القديم البعيد ، فهو أيضاً قد عاد مرة ثانية فأرسل بضيائه الى العالم العربي منذ امد ليس ببعيد فكانت مصر حملة مشعل الماسونية في التاريخ الحديث فاستضاء بـه معظم الأقطار الناطقة بالضاد .

لقد انبعثت الماسونية في مصر عام ١٧٩٨ م . عندما احتلها نابليون بونابرت ، فانه اسس بالاتفاق مع كبار ضباطه (محفل ايزيس) بالقاهرة وانضم اليه فيما بعد نفر من كبار المصريين واذ كيائهم ، ولبث المحفل حياً الى

ان نزح الفرنسيون عن مصر ؛ وكانت تسمى طريقة هذا المحفل (الطريقة الممفيسية) . وفي سنة ١٨٣٠ م انشأت طائفة من الاخوان الايطاليين محفلا في الاسكندرية . وفي سنة ١٨٤٥ م انشئ في الاسكندرية (محفل الاهرام) تحت رعاية الشرق الأعظم الافرنسي . والتحق به عدد عظيم من كبار العظماء ورجال البلاد الممتازين على اختلاف مهنهم ومناصبهم . وكان بين أعضائه البرنس حليم ، والأمير عبد القادر الجزائري ، وحسين فخري باشا والاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وغيرهم من ذوي الشخصيات الجهيرة . ثم تعددت المحافل وتنوعت ، ولكنها أخيراً توحدت في ١٥ ايلول ١٨٧٢ م . ونالت اهتمام الخديوي اسماعيل ومؤازرته الصادقة في سنة ١٨٧٣ ثم سار على سنته خلفاؤه من أمراء البلاد وحكامها . وقد انشئ المحفل الاكبر الوطني المصري ، على الطريقة الاسكتلندية ، وكان تكريسه في ٨ تشرين الاول ١٨٧٦ م بحضور ممثلي المحافل الأجنبية العظمى . ثم انتقل المحفل الى عاصمة القطر في ٥ أيار ١٨٧٨ . وكان المغفور له الخديوي توفيق باشا رئيساً أعظم له ، وكانت له عناية عملية كبرى بالمحفل وبالماسونية عامة ، ثم تخلى عن الرئاسة بسبب شواغله وانتخب بدل سموه الرئيس الاعظم عطوفة ادريس بك راغب في جلسة ٩ كانون الثاني ١٨٩١ م

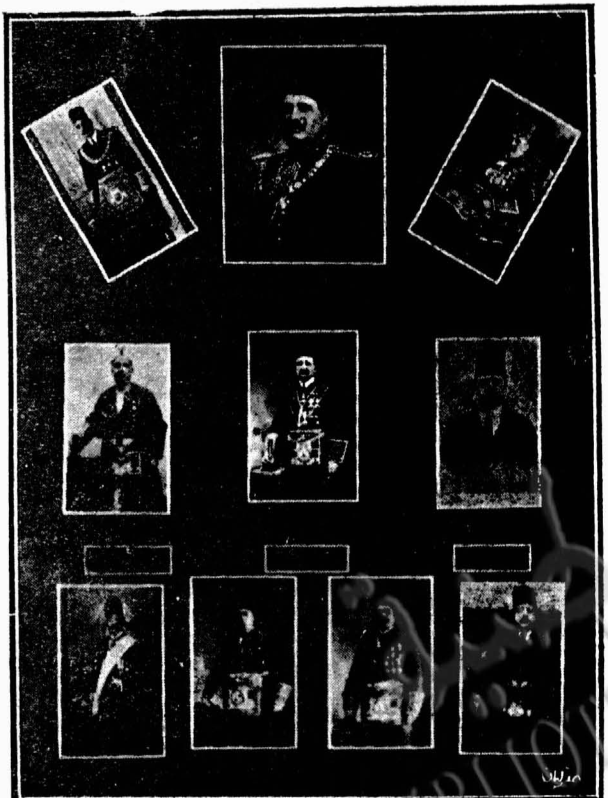
على أن الماسونية ارتطمت في عام ١٩٢١ ببعض الاختلافات التي نشأت بين الاخوان بسبب السياسة — قاتلها الله — فكان قيل وقال ، ونزاع وجدال ولكن ذلك لم يدم إلا قليلا ، حتى عادت المياه الى مجاريها ، وحل الصفاء بدل الجفاء ، والوفاق بدل الشقاق ، وراح الجميع يسعون لخير مصر وخير الانسانية معاً .

وان أنس لا أنس ما لقيته من عطف ورعاية خلال وجودي في مصر من إخواني الأحرار ، فقد كانوا لي خير معوان على تحقيق رغباتي العلمية ، ومطامحي الصحفية .

ولقد تشرفت مع وفد من حضراتهم بالمثول بين أيدي المغفور له صاحب الجلالة فؤاد الأول في قصر عابدين . وكان ذلك أول مرة في ٢٤ شباط ٩٢٩ ، ثم في ١٩ أيار من السنة نفسها . فلقينا جميعاً من جلالته حسن الاستقبال والرعاية .



المغفور له فؤاد الاول في لباسه الماسوني



«محفل فؤاد الأول» وأقطابه

ويرى القارى الكريم : جلالة المغفور له فؤاد الاول . المغفور له السيد علي باشا الاستاذ الأعظم . امين بك منصور . محمد محفوظ باشا . طلعت بك . رشوان باشا . محمد رفعت بك . محمد فهمي باشا . اللواء علي شوقي باشا . اللواء محمد فاضل باشا



صاحب الكتاب (٦) مع الوفد المامـوني الذي تشرف بالمثول بين أيدي المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول في قصر عابدين ·
ويرى القارىء المغفور له السيد علي باشا الاستاذ الاعظم (١) والاستاذ محمد رفعت بك (٢) والاستاذ محمد محفوظ باشا (٣)
والاستاذ ميرزا مهدي بك مشكي (٤) والاستاذ رياض بك الجمل (١٢) رمزي باشا (١٣)



المغفور له السيد علي باشا الاستاذ الأعظم



محمد بك رفعت كاتم السر الاعظم



امين بك منصور أحد أقطاب الماسونية في مصر

ولما كان الشكر قيد النعم ، وواجب المروءة ، فاني أخص بشكري حضرة الاخ الجزيل الاحترام محمد رفعت بك السكرتير الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري لانه غمرني بعواطفه النبيلة ، وكان الاتصال بيني وبين كبار الشخصيات من أعضاء الماسونية ، أمثال المرحوم الطيب الذكر السيد علي باشا وكيل وزارة الحربية ، ورشوان باشا ومحفوظ باشا ومحمد طلعت بك أمين الخزينة الاعظم ، ومحمد فاضل باشا رئيس محفل المروءة ، وأمين بك منصور مساعد النائب الاعظم .

أما حضرة الأخ الجزيل الاحترام عبد المجيد بك يونس السكرتير الاعظم



عبد المجيد بك يونس السكرتير الاعظم للمحفل الوطني الاكبر

للمحفل الوطني الاكبر ، وأحد أعلام الماسونية في مصر ، فإنني لا أجد في البيان ما يترجم عن احترامي له ، فقد كان والحق يقال مثال المثل الأعلى للماسونية . ولقد عرفني حضرته على سعادة الاخ الكلي الاحترام محمود فهمي قطري باشا الاستاذ الاعظم وبعض الشخصيات البارزة من الاخوان .

ولقد تكرم الاخوان فقدروا في شخصي الضعيف مواهبهم العالية وأخلاقهم السامية ، فمنحوني درجة (الفارس الحكيم) ووفقني واخواني للقيام بمفترضاتها على الوجه الصحيح .



محمود فهمي قطري باشا الاستاذ الاعظم



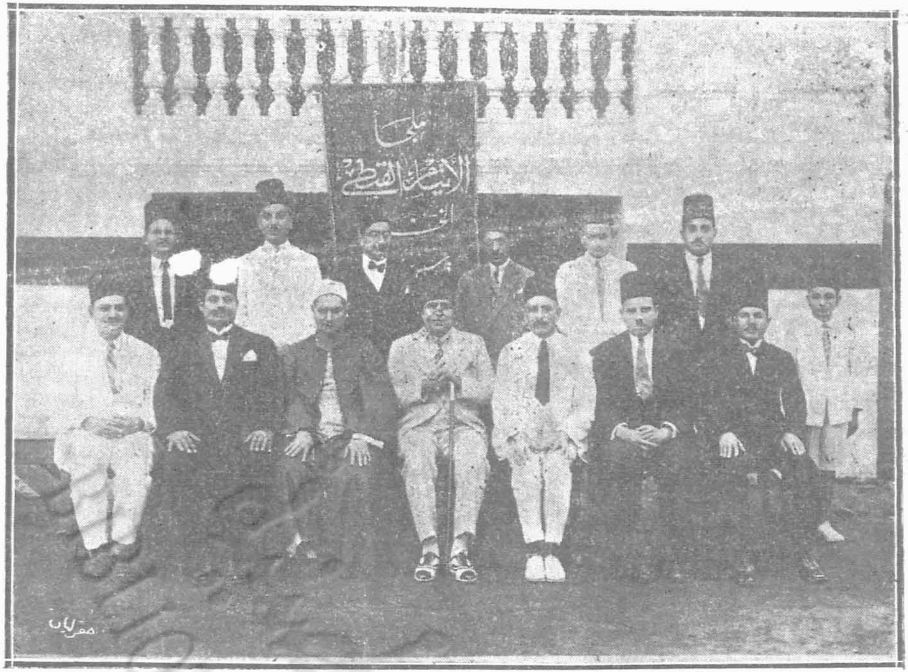
مرزا مهدي رفيع بك مشكي أحد الاحرار الغيُر



يوسف بك الرزوق   أحد أقطاب الماسونية



محمود بك ابراهيم أحد أقطاب الماسونية في الاسكندرية



صاحب الكتاب مع أعضاء ملجأ الاقباط في مصر



المحامي الأستاذ نجيب بك هواويني خطاط جلالة الملك
وأحد إخواننا الغيير



اخوان بورسعيد يقيمون حفلة تكريمية لصاحب الكتاب

واليك الآن أسماء المحافل في القطر المصري حسبما دونتها وهي :

المحفل الاكبر الوطني المصري . ومن أعضائه اللامعين السيد علي باشا ، امين علي منصور بك ، علي شوقي باشا ، محمد محفوظ باشا ، محمد رفعت بك .

محفل مراتون	١٩	ش القاهرة
حياة مصر	٢٢	〃
الثبات	٢٥	〃
ثمرة الوفاء	١١٢	〃
حياة المحلة	١٢١	بالمحلة
نور الحكمة	١٢٥	القاهرة
سليمان	١٤٢	اسكندرية
سقراط	١٣٢	القاهرة
مناعة	١٥٤	〃
العزيز	١٦٦	اسكندرية
اطلس	١٨٤	〃
بنو ممفيس	١٨٦	القاهرة
الاخلاص	١٨٧	اسكندرية
المجد	١٩٥	القاهرة
طريق الهدى	٢٠٠	〃
خلاصة ثمرة العدل السعيد	٢٠١	القاهرة
المروءة	٢٠٣	القاهرة
النظام	٢١٦	〃
صدق الوفاء	٣٠٤	〃
الاخلاص	٢٠٥	〃
اهل السماح	٢٠٦	〃
هيلاس	٢١٠	اسكندرية
اسكندر الاعظم	٢١٣	القاهرة
توسيبان	٢١٤	الاسكندرية
فؤاد الاول	٢٢٠	القاهرة
فيكتور هوجو	٢٢٠	〃
اكسمون	٢٣١	〃
اثينا	٢٤٢	اسكندرية
شيزاريانستي	٢٤٦	〃
لاسوليد ارتيه	٢٤٧	〃
نيو اورليانس	٢٥٢	〃
اسماعيل	٢٥٣	القاهرة
احتبو	٢٥٤	〃
السلام	٢٥١	اسكندرية
الفوز	٢٥٩	القاهرة
الصدق	٢٦٥	〃
السمير	٢٦٣	〃
الفاروق	٢٦٥	اسكندرية
بلاتون	٢٦٦	〃
قارون	٢٨٠	الفيوم
الاصلاح	٢٧٢	اسكندرية
مصر	٢٧٣	القاهرة
الكمال	٢٧٤	اسكندرية
روضة البحرين	٢٧٥	المحلة
الواجب	٢٧٦	اسكندرية
منصور	٢٧٨	〃

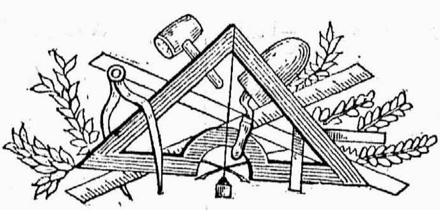
المعارف	٢٧٩	القاهرة
جارسيابدي	٢٨٢	〃
سيزوترنس	٢٨٣	القاهرة
ارث لونش	٢٨٤	〃
ايزس	٢٨٥	بورسعيد
جوزيف مازيني	٢٨٦	اسكندرية
اسفنكس	٢٨٧	القاهرة
المنصورة	٢٨٩	المنصورة
بطليموس	٢٩٠	اسنا
البدر المنير	٢٩٣	بورسعيد
بدراسيوط	٢٩٤	اسيوط
الفسطاط	٢٩٥	القاهرة
فؤاد الاول	٢٩٦	بورسعيد
فؤاد الاول	٢٩٧	طنطا
النجوم الثلاث	٢٩٨	اسكندرية
الحياة	٣٠١	مصر
اراكس	٣٠٢	اسكندرية
برومتيه	٣٠٣	اسكندرية
دلسبس	٣٠٤	الاسماعيلية
نارج	٣٠٦	〃
منصور	٣٠٧	〃
ترساروما	٢٣٨	اسكندرية
النهضة	٣٠٩	〃
النجم	٣١٠	القاهرة
التاج	٣١١	〃
استريا	٣١٢	اسكندرية
الحرية	٣١٣	كوم امبو
زغلول	٣١٤	اسكندرية
النجاح	٣١٥	القاهرة
النصر	٣١٦	الفيوم
مسريس	٣١٦	اسكندرية

* * *

ومن المحافل التابعة للمحفل الاكبر الوطني المصري لرئيسه الكلي الاحترام لامير محمد علي :

محفل اللطائف ، راغب ، فرندشب ، رايزنج سن ، حياة اسكندرية ، نور الحكمة ، الاهرام ، قسطنطين الاكبر ، سليمان ، البحيرة ، رفاعه ، فيثاغور ، سولون ، اطاس ، الاخلاص ، زهرة النيل ، نصرت ، السنبلة ، المجيد ، العلوي ،

دنر السلام ، طريق الهدى ، المروءة ، صدق الوفاء ، اهل السماح ، الجمال ، هيلاس ، الشيوخ ، اسكندر الاعظم ، سيتبان ، صلاح الدين ، طيبه ، فوءاد ، رشيد ، بيروت ، ليكورجوس ، ماجن دافيد ، دفنا ، الزوراء ، بربــدا ، الارز ، فينيقيا ، النهضة ، زهرة سوهاج ، الاتحاد ، العروة الوثقى ، انيبا ، النيل ، الثبات ، الميناء الامين ، كفر الزيات ، الفتيريا ، جيروزاليم ، الميثاق ، اومانيثيه ، الهلال ، اسعد ، الرجاء ، ممفيس ، صدق الوفاء ، اورشليم ، الدجى ، اومونيا ، زاهر ، حرمون ، الامل .



آثار مصر

كما أن جمال المرأة يعود عليها بالخير تارة وبالشر أخرى ، كذلك حظ البلدان في التاريخ ، فلا تجد بلداً خصباً ، أو ذا موقع ممتاز ، إلا كان مطمح الانظار ، ومهوى الافئدة ، ومطلب القوي . وهكذا كانت مصر ، فان نيلها الفياض الذي يدرّ عليها الخيرات ، زد على ذلك موقعها الجغرافي في افريقية ، وفي البحرين الابيض والأحمر ، وتربتها الشهيرة — قد استهوى الملوك والدول القوية إلى قصدها وافتتاحها . فرأت مصر في حياتها كثيراً من الاجانب ، من مختلف الملل والنحل ، كانوا ينزلون فيها ، فإما هدّموا وخربوا ، أو عمروا وأصلحوا ؛ وفي جميع الاحوال كان ظلهم لا يفارقها إلا بعد أن يطبعوا بعض أثرهم في أرضها وأهلها . فنشأ عن ذلك وعن حضارة مصر الشهيرة أيضاً أن امتلأت رحاب مصر بالآثار المختلفة كالاهرامات والمساجد والكنائس والمدارس والحمامات والمكاتب والمباني المختلفة والمتاحف المتعددة . ولا نغالي إذا قلنا إن هنالك كثيراً من الآثار سيكشف عنها المستقبل بعد أن علمنا كيف كانت مصر زاخرة بالاعمال والتطورات . ويجب أن لا ننسى أن في مصر مصالح ودوائر خاصة للآثار تقدم الايضاحات والمصورات اللازمة كما تقدم بطاقات ذات أسعار خاصة لمحبي الاطلاع . وبكلمة مختصرة يمكن أن نعدّ مصر من

أغنى بلاد العالم آثاراً . ولهذا ترى السائحين يقصدونها من مختلف الامصار للاطلاع على كنوزها وعادياتها .

الازهر

الازهر والفاطميون

بنى الأزهر القائد جوهر عند فتحه مصر في منتصف القرن الرابع للهجرة ، وهو يدعى (جوهر الصقلي) نسبة إلى صقلية الجزيرة التي تقع في جنوب ايطالية ، والتي ملكها المسلمون حقبة من الزمن . وكان الذي دعاه إلى بنائه أنه وجد الدولة الفاتحة هي دولة شيعية تنكر الخلافة العباسية وتلعن العباسيين والامويين ، بل منها ما كان يغالي فيلعن الخلفاء الراشدين باستثناء علي بن أبي طالب . وكانت هذه الدولة الفاتحة تدعى الدولة الفاطمية . وبعض المؤرخين على أنها ليست خالصة النسب إلى السيدة فاطمة وإنما هي مآرب سياسية توسلت اليها بهذه الدعوى . فكان تأسيس الأزهر مبدأ برنامج يراد به فصل مصر عن الولاء للعباسيين وقصر ولائها على الفاطميين . وهؤلاء الفاطميون أنفسهم هم الذين أسسوا (دار الحكمة) لأغراض دينية .

وقد وجد الفاطميون في مصر تربة ملائمة لدعواهم . فقد كان المذهب الشائع عند العباسيين هو مذهب أبي حنيفة ، ولكن مذهب المصريين كان المذهب الشافعي نسبة للامام الشافعي المدفون بمصر . فانتهز الفاطميون

هذا الاختلاف وبذروا فيه بذرة التشيع ، وسخت نفس المعز بالاموال لتأليف الأحزاب فنجح . وكان للأزهر مكانة كبيرة في أيام الفاطميين لأنه كان يعلم الناس مذهبهم بخلاف الجوامع الأخرى التي بقيت حرة في تعليمها ، لأن الفاطميين لم يستطيعوا صدم الرأي العام بالقهر والعنف وإنما كانوا يقنعون بما كانوا يرفعونه من شأن علماء الأزهر بالأموال والخلع ، وكانوا أحياناً يزفوهم في القاهرة وهم على الجياد إكباراً لشأنهم في أعين العامة . وكان جوهر عند ما بناه جلب له ٧٦ أسطوانة . ولكن الجامع أخذ يتسع حتى بلغت اساطينه الآن ٣٧٥ وبلغت ابوابه تسعة .

الأزهر والأيوبيون

بقي الأزهر طول مدة الفاطميين أي نحو ٢٠٠ سنة وهو مهد الشيعة منه تخرج التعاليم الهادمة للعباسيين حتى احتاج نظام الملك إلى تأسيس (المدرسة النظامية) في بغداد لمكافحته ومكافحة (دار الحكمة) ولتعليم الناس الإسلام على مبادئ السنة مع الولاء للخلافة العباسية .

فلما تغلب صلاح الدين الأيوبي على الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ عمد إلى الأزهر فأحاله من مدرسة شيعية إلى مدرسة سنية تعلم المذاهب الأربعة ، وأمر أئمة الجوامع بالدعاء للخليفة العباسي . وكان الأزهر قبل صلاح الدين يعمل للدعاية الدينية الشيعية ، ولكن بعد صلاح الدين سقطت عنه هذه المهمة ، فأدخلت فيه جملة علوم مدة الأيوبيين مثل الرياضيات والنجوم وازداد شأنه عندئذ حتى صار الطلبة يحجون اليه من أقاصي الأقطار

ويمكن أن يقال بوجه الاجمال إن العصر الذهبي للأزهر هو ذلك الزمن الذي قضاه في رعاية الدولة الفاطمية ، وفي درس العلوم في عصر الدولة الأيوبية .

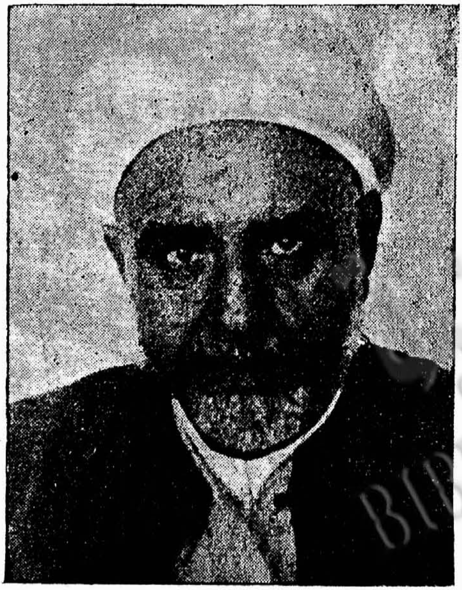
تغلب الاتراك

وبعد زوال الدولة الأيوبية دخلت مصر في حكم المماليك ثم في حكم الأتراك سنة ١٥١٧ م . فانحط شأن اللغة العربية وصارت وسيلة للتقرب من الأتراك . فمازالت العربية كذلك حتى بلغت أبعد حضيضها في القرن الثامن عشر ، وكتاب الجبرتي وهو عالم من علماء الازهر عاش إلى أول حكم محمد علي يدل على مقدار هذا التدهور الذي لم يكن له من سبب سوى تغلب اللغة التركية على اللغة العربية ، واعتبار الأولى أهم سلم للترقي في الحكومة . ومسلك العلماء في مدة الحملة الفرنسية يدل ايضاً على مقدار السذاجة والجهل في ذلك العصر . وما ذكره (لين) الانكليزي عن اعتقاد العلماء بالعفاريت يدل ايضاً على ذلك .

ولكن مع ذلك كان للأزهر فضل كبير في حفظ بعض الكتب العربية من الضياع وفي تعليم الناس ، ولعله لولا الازهر لتعرضت حياة اللغة العربية للخطر .

وبقى الأزهر يجري على طرقه القديمة التي كانت متبعة في أيام الايوبيين إلى اكثر من ثلاثين سنة مضت حين رأت الحكومة أن تدخل فيه شيئاً من النظم الحديثة والعلوم الجديدة ، فاستفتت في ذلك الشيخ

محمد الانبالي شيخ الجامع والشيخ محمد البنا المفتي ، وكان أهم ما جاء في الاستفتاء قول الحكومة : « هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الأجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف ؟ » فأجاب الشيخ الانبالي سنة ١٣٠٥ هـ بفتوى خلاصتها جواز تعليم هذه العلوم وصدق لفتواه الشيخ البنا . واحتياج الحكومة لمثل هذه الفتوى يدل على حالة الأزهر في ذلك الوقت .



فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ مصطفى المراغي
شيخ الجامع الازهر
وهو من اكبر المصلحين والمجددين بين علماء الاسلام
وله اياد بيضاء في ترقية الجامع الازهر

النهضة الحديثة

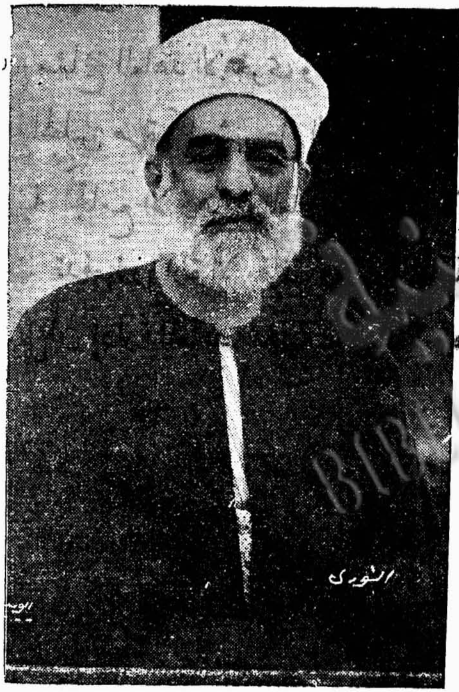
أبلى الشيخ محمد عبده بلاءً عظيماً في إصلاح الأزهر، ولكنه لم يحقق عشر ما رغب . وربما كانت مقاومة الخديوي وبعض علماء جامدين له وعداوتهم لكل ما يعمله الشيخ محمد عبده أكبر ما سبب الفشل لمشاريعه . فمات هذا الامام الكبير وهو على ما يرونه البعض يتمثل باشعار تعرب عن أسفه لمقاومة المشايخ للاصلاح . وكانت علوم الأزهر قديماً تقسم إلى وسائل ومقاصد فأما الوسائل فهي : النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق ومصطلح الحديث والجبر والعروض والقافية وأما المقاصد فهي : علم الكلام والتوحيد وعلم الأخلاق الدينية وعلم الفقه على المذاهب الأربعة وأصول الفقه وتفسير القرآن والحديث . فبعد استفتاء الحكومة للشيخين الآتي الذكر بعد بلاء الشيخ محمد عبده أمكن إضافة هذه العلوم الآتية إلى الأزهر : صناعة الانشاء واللغة متناً وادبا ومبادئ الهندسة والجبر والكيمياء والطبيعة والجغرافية والتاريخ والعلوم العقلية والخط . ولكن الكتب المقررة لدرس هذه العلوم قديمة الترتيب والوضع بحيث يضيع مجهود الطالب في إدراك أبسط المعارف منها .

الترتيب الجديد

مضى على الأزهر الآن تسعة قرون ونصف ، فقد يكون لذلك أقدم جامعة في العالم . وبه من الأساتذة ٦٨٦ ومن الطلبة ٥٦١١ طالباً ويرجع ترتيبه الحاضر الى سنة ١٩٢٣ حين جعل التعليم فيه ابتدائياً وثانوياً وعالياً . ويحتاج كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة إلى أربع سنوات

ينال الطالب في نهايتها الشهادة العالية ، فتكون مدة الدراسة كلها للطالب النجيب الذي لا يرسب ١٢ سنة . وأنشئ أيضاً سنة ١٩٢٣ قسم للتخصيص ، لا يدخله إلا الحاصلون على الشهادة العالية ، وهم يتخصصون فيما يأتي :

١ ـ الفقه مع حكم التشريع وأصول الفقه ٢ ـ التفسير ٣ ـ الحديث ومصطلح الحديث ٤ ـ التوحيد والمنطق ٥ ـ النحو والوضع والصرف ٦ ـ علوم البلاغة وآداب اللغة ٧ ـ التاريخ الإسلامي



فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ احمد الظواهري

شيخ الجامع الازهر سابقاً

والأخلاق الدينية وطرق الوعظ ٨ ـ القضاء الشرعي .

وفي القطر المصري معاهد دينية على نمط الأزهر وتابعة له ، ولكن الأزهر يختص دون سائر المعاهد بالتعليم العالي وبالتخصيص . والازهر جامعة مستقلة لها « مجلس أعلى » يؤلف من ١٢ عضواً ، وينظر هذا المجلس في :

١ ـ وضع الميزانية العمومية للأزهر والمعاهد الأخرى

٢ ـ إنشاء المعاهد الدينية الجديدة

٣ ـ وضع النظامات العامة للتدريس والامتحانات

٤ ـ ترشيح مشايخ المعاهد الأخرى ونقلهم وترقيتهم

وينعقد هذا المجلس مرة كل شهر على الأقل

وتبلغ ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية الإسلامية مئات ألوف من الجنيهات تدفعها وزارة الأوقاف ووزارة المالية . وقد نص في الدستور المصري على أن إدارة المعاهد الدينية بما فيها الأزهر يعينها البرلمان ويضع حدودها .

متحف بونابارت

أنشأه جلياردو بك العالم الفرنسي الجليل وهو يسكن في نفس المكان الذي يوجد فيه المتحف ، أي منزل الأمير ابراهيم كتخدا السناري المملوك ٠

وكان بين العلماء والفنانين الذي أقاموا في قصر السناري ، رسام يدعى ريجو ، وهو شهير في عالم الفن الفرنسي ٠ وقد رسم هذا الرجل بريشته جميع أعضاء الديوان الذي القى اليه بونابارت في عهد حكمه مقاليد الإدارة في البلاد ٠ وهذه الصورة الاصلية موجودة في متحف فرسايل وقد أرسل فخري باشا سفير مصر بباريس نسخاً منها إلى جلياردو بك ، فحفظت تلك النسخ في متحف بونابارت ، ويوجد في المتحف أيضاً نسخ من مجموعة أخرى رسمها الرسام « دوترتر » وهي تمثل أعضاء البعثة العلمية الفرنسية الذين أقاموا في قصر السناري ٠

وهناك أيضاً مجموعة صور ثالثة تمثل قيام الحملة الفرنسية بقيادة بونابارت من ثغر طولون بفرنسا ، وسفرها براً ، ونزولها إلى البحر ، وسيرها إلى القاهرة ، والمعارك التي وقعت لها مع المماليك ، إلى غير ذلك ، وهي مجموعة فريدة في نوعها ، تمثل للناظر تاريخ الحملة الفرنسية والاحتلال الفرنسي من أول عهده إلى انقضائه تمثيلا واضحاً ٠

وقد حصل جلياردو بك على مجموعة من الكتب المطبوعة والخطية تتعلق كلها بتاريخ مصر في عهد الاحتلال الفرنسي ، وهي مجموعة ثمينة

جداً لا تقدر . وفيها بعض كتب طبعت بواسطة البعثة العلمية الفرنسية نفسها . وهذه البعثة حملت معها إلى مصر أول مطبعة بالاحرف العربية دخلت هذه البلاد . ويقال انها أول مطبعة دخلت الشرق . لكن هناك من يقول ان أول مطبعة عربية وجدت في لبنان قبل ذلك التاريخ جاء بها بعض الرهبان من روما .

وبلغ مجموع الكتب في مكتبة جليار دو بك عشرة آلاف مجلد وربما أكثر فقد ظل خمسين سنة يجمع الكتب المتعلقة بمصر وسورية .

وهناك ملفات كثيرة وضع فيها جليار دو بك جميع ما حصل عليه من الوثائق التاريخية أثناء أبحاثه الكثيرة ، فهناك عدد كبير من الرسائل الخطية والمقالات والكتابات الخاصة ، وكلها يتعلق بتاريخ مصر . وبينها مجموعة خاصة لبعض الأشخاص التاريخيين كسليمان باشا الفرنسي وغيره .

وكان الدكتور جليار دو ـ والد جليار دو بك ـ طبيباً في الجيش المصري ورافق ابراهيم باشا وسليمان باشا الافرنسي في حملتهما على البلاد السورية .

وهناك أيضاً غدارتان عثر عليهما جليار دو في مصر الجديدة وهما من الغدارات التي كان يستعملها المماليك ، ولاشك في أنهما سقطتا في ساحة الحرب ، في واقعة هليوبولسي بين الفرنسيين والمماليك .

الآثار الشهيرة

في مصر ، وعلى الأخص القاهرة ، آثار كثيرة ، كما قدمنا ، وأكثرها جوامع و كنائس ومشاهد ، وانا لنأتي على المشهور منها فيما يلي :

جامع عمرو بن العاص ، جامع أحمد بن طولون ، الجامع الازهر ، الجامع الحاكمي ، الجامع الاقمر ، مشهد السيدة رقية والسيدة زينب ، القلعة ، بقايا المدرسة الظاهرية (بيبرس) ، جامع الظاهر بيبرس ، جامع قلاوون ، المدرسة الناصرية ، قبة الخلفاء العباسيين . قصر وحمام بشتاك ، خانقاه وتربة الظاهر برقوق ، جامع وبيمارستان المؤيدي ، آثار السلطان قايتباي ، أبواب خان الخليلي ، جامع سليمان باشا ، التكية السليمانية ، مسجد الملكة صفية ، بيت ابراهيم كتخدا السناري ، سقاره ، متحف اسوان ، آثار أبو سميل ، آثار عمدا ، آثار وادي السبوع .

ومن الآثار التي تستحق الذكر تلك البنايات الخصوصية القديمة الموجودة في (رشيد) والجامع العمري بقوص السيدة منيرة وأكثرها من القرنين الحادي عشر والثاني عشر هجري . وكذلك القباب العربية المنتشرة في السهول الممتدة بين أسوان والشلال .

وهنالك آثار قبطية عديدة جلها أديرة و كنائس ، منها ما رممته لجنة حفظ الآثار العربية ومنها ما لا يزال على حاله .

المتحف المصري

التاريخ مشحون بالاخطاء والمغالطات ، تلك نظرية أصبحت حقيقة راهنة بعد أن رأينا الحادثة الواحدة ، تصطبغ بكثير من الألوان وتروى على عدة أشكال ، ويجتمع فيها في آن واحد الاسود والابيض ، فلا يخرج منها الفكر بغير التبلبل المريع ، والسقم الفظيع ، والغموض الشامل . وطبيعي أن يكون التاريخ كذلك في معظم ما يسرده علينا ، مادامت القضية التي تحدث بيننا اليوم يراها عشرة أشخاص ، ويرويها كل منهم بأسلوب خاص وعلى شكل مختلف ، ويأخذ منها طرفاً لا يأخذه الآخر . إن المؤرخين لا يستطيعون أن يتجردوا عن أهوائهم ، وتؤثر فيهم غالباً السياسة او الدين أو العنصر فيفسرون ويسردون حسبما يوحي إليهم مزاجهم . ومنهم أناس يتعمدون الافتراء والكذب ويكونون من الخبث والذكاء على حد عظيم ، فيسترون مغالطاتهم ، ويزوّرون في الانظار ما يحورون . ثم يأتي بعدهم مقلدون فيأخذون ما ذكروه على علاته ، أو يضيفون أو ينقصون ، وهكذا حتى يصل إلينا التاريخ مجموعة أهواء ومزاعم وتفاسير اشتبك بعضها ببعض ، فلا سبيل إلى النفاذ إلى كنهها الحقيقي ولبها الأصلي .

وليس في التلاعب الذي يسلكه المؤرخون كبير مشقة ، لانهم يعلمون كيف يعملون ، ويكون بُعد الحوادث عن عصورهم من أكبر

الأسباب التي يعتمدون عليها في ستر فضائحهم ، ويستعينون ببعض الاقوال والاحوال التي يعثرون عليها وهي مما يوافق مشاربهم ، مهملين في الوقت نفسه ما عليهم ، أو طاعنين فيه من وجهة ضعيفة لا يمكن أن ينتبه اليها الجمهور الذي لم يعتد التفكير العميق . وأكثر ما يدفعهم إلى ذلك هي العاطفة التي تتأثر بالسياسة أو التعصب أو المال أو غير ذلك من أحوال الحياة اليومية .

ولعمري ماذا يستطيع الفكر أن يعمل أمام حالات تشله عن الملاحظة والاستقراء لابداء الرأي على الوجه الصحيح ؟ وعلامَ يعتمد في تقرير الحقائق وهو أمام جبال من التناقض بعضها فوق بعض ، والحقيقة مخفية في تضاعيفها ؟ انه يطلب شيئاً ملموساً ، يطلب دواءً ناجعاً ، يطلب نوراً وضاءً يفل غرب السواد المتراكم . ولن يجد ذلك في غير الآثار التي لا يأتيها التضليل من جهة ، وتترجم عن الحقيقة بصدق وأمانة . ومن هنا نشأ انقطاع كثيرين للبحث عنها مقاسين في سبيل ذلك من المتاعب لا يعلمه إلا الله ، ومن هنا أخذت الحكومات تنفق بسعة على المصالح المخصصة للآثار ، استكشافها وحفظها .

والحق أننا لولا الآثار التي يُكشف عنها بين الفينة والفينة لبقيت معارفنا متأخرة عما هي عليه الآن ، ولكنا نجهل كثيراً مما نعلمه اليوم ونعتقده ، فالآثار كتاب تغنينا كل صورة فيه عن مجلدات عديدة ، وهي ذات فضل عميم مادامت تقطع جهيزة كل خطيب فيما تقدمه لانظارنا

وتقرره أمام أفكارنا. وكأنها في ذلك تحمل الماضي الينا وضاحاً أو تحملنا اليه فنعيش فيه في شمس مشرقة .

والآثار المصرية التي أميط اللثام عنها في العهد الأخير ، زادت العالم ايماناً بعظمة الحضارة المصرية القديمة ، وألقت شعاعاً على كثير مما كان يخفى على المؤرخين فهمه وتعليله ، ونمّت على أن فراعنة مصر كانوا في بلهنية من العيش ، وكانوا أصحاب عروش عظيمة .

زرت متحف مصر ، للاطلاع على كنوز توت عنخ أمون المكتشفة في الأقصر وغيرها . وكان أول ما وقع عليه نظري تلك الدار الفسيحة المشتملة على كنوز الملوك الفراعنة وآثارهم . وفي الطابق السفلي شاهدت ألوفاً من التماثيل الحجرية الدقيقة في صنعها ، العجيبة في فنها ، فكنت أتساءل كيف تم للاقدمين أن يتموها وليس لديهم من الآلات والادوات ما يوجد اليوم مع أننا لا قبل لنا على محاكاتها . ولبثت مدة طويلة انتقل في الملاحظة والتفكير بين الهياكل والمعابد والتماثيل ، وأنا أشعر كأني بين أموات ناطقة ، وكأني أنشد بينها حياة جديدة .

ثم دخلت الحجرة التي استقرت فيها آثار الملك الشاب توت عنخ أمون ، فنظرت إلى أربعة تماثيل صغيرة نحتت من الذهب صوراً عن الملك وكلها على شكل واحد كأنها خرجت من آلة واحدة . . ثم شاهدت العصا التي كان يحملها الملك ، وهي من العاج ، مرصعة بأحجار كريمة . ثم انتقلت إلى البنى التي كان يغشاها ، فالى السرير الذي يضطجع فيه ، وهو آية من آيات الفن ، رُصّع بالذهب أيضاً . فالى عملة الملك الذهبية

فالى غير ذلك مما يعجز القلم عن وصفه ٠

وفي الحجرة الثانية التي تعدّ أثمن الحجر في المتحف ، ترى تابوت الملك الذي يضم جثته المحنطة ، وهو كغيره ذهب وهاج يبهر الانظار ، ويقال إن وزن الذهب الذي فيه ٣٦٠ كيلو ؛ أما الاحجار الثمينة التي رصع فيها فمما لا يقع عليه ثمن ٠ وتضم هذه الحجرة أيضاً ملابس الملك وزينته المؤلفة من العقود والخواتم ٠

ومما استرعى نظري في بقية حجرات المتحف بضعة أرغفة من الخبز الذي كان غذاء المصريين الاقدمين ٠ واعجب لهذا الخبز كيف كُوّر وكيف بقي ، دون أن يطرأ عليه فساد ٠

لقد خرجت من هذا المتحف ، ومن المتحف البكتريولوجي المصري الذي لا يقلّ شأناً وخطورة من الوجهة التاريخية والعلمية عن المتحف الاول ، وأنا تتنازعني الأفكار والأحلام ٠ ولن أخفي على القارئ أني كنت أشعر بتضاؤل الحضارة العصرية عن الحضارات القديمة ، وأردد في سرّي : ليس عجباً ان يختلف السائحون من مختلف الاقطار إلى مصر وهذه آثارها أروع الآثار في العالم ٠

الغنى والسعادة

حقاً ان السعادة البشرية ناقصة ولكنها موجودة ، ويمكن الانسان بالتربية الراقية والعلم الصحيح ، أو بعبارة أوجز بواسطة الفكر الناضج أن يحيل ذلك النقص إلى تمام ، ويخلق من الشقاء هناءه ونعيمه .

الغني مطلب أكثر الناس ، لانهم يرون فيه السعادة كلها ، فهو عندهم ينبوع المسرات وأساس الهناء والمجد وفرح الحياة . وربما كان في ذلك حقيقة ، ولكن يجب أن نثق بأن الغنى لا يفرق عن الفقر في شيء مما يتعلق بالسعادة ، فالغني قد يكون شراً أو خيراً ، وكذلك الفقر . والعبرة بالنفس الانسانية التي يمكنها كما أسلفنا أن تجعل من المناظر القاتمة أرواحاً جميلة محببة هي فتنة للناظرين .

هو ذا غني تراه متألماً ، محزوناً ، مغموراً ، فما السر ؟ كل شيء متوفر لديه ، وبين متناول يديه . الشمس تحييه في الرياض الواسعة التي يملكها تحية الجنود لمليكها ، وهي ذي البنى العالية التي يتصرف بها ترفع رأسه عالياً زهواً وافتخاراً ، وهي ذي الحور ثم الخدم والاتباع يتنقلون في قصره المنيف منتظرين شفته تتحرك ليلبوا الدعوة وينهضوا بالواجب ولو كان فيه أعظم العناء . بل هي ذي الدنيا كلها تهش له ، فالاصدقاء من حوله كثيرون ، والصحف تطنطن باسمه ، والانظار ترمقه

في الحل والترحال والذهاب والاياب ، والمسرات على اختلافها ترقص له فلماذا نراه إذاً تعساً ، قد ارتسمت على وجهه امارات الهم والغم ، وصحته فاسدة حتى أنه ربما استحال عليه الاكل ولماذا يسلقه الناس في السر بألسنة من حداد ويتغامز عليه عارفوه ولا يتورعون في طلب انقضاء أجله كأنه عالة على غيره ؟

ألمجرد كونه غنياً يملك من النشب والذهب مالا يملكه غيره فيحسدونه على ذلك بحكم الأنانية ودافع غريزة الطمع ؟

أم لانه لم يتعب ولم يهلك في استحصال ثروته الضخمة بل وجدها غنيمة باردة انتقلت اليه من أبيه وسينقلها هو بدوره لبنيه ؟

أم لان الثروات نفسها تكون دوماً عرضة للتنقص والحسد والاحتقار ولان المال رب ثان يتطلع اليه الخلق على الدوام ؟

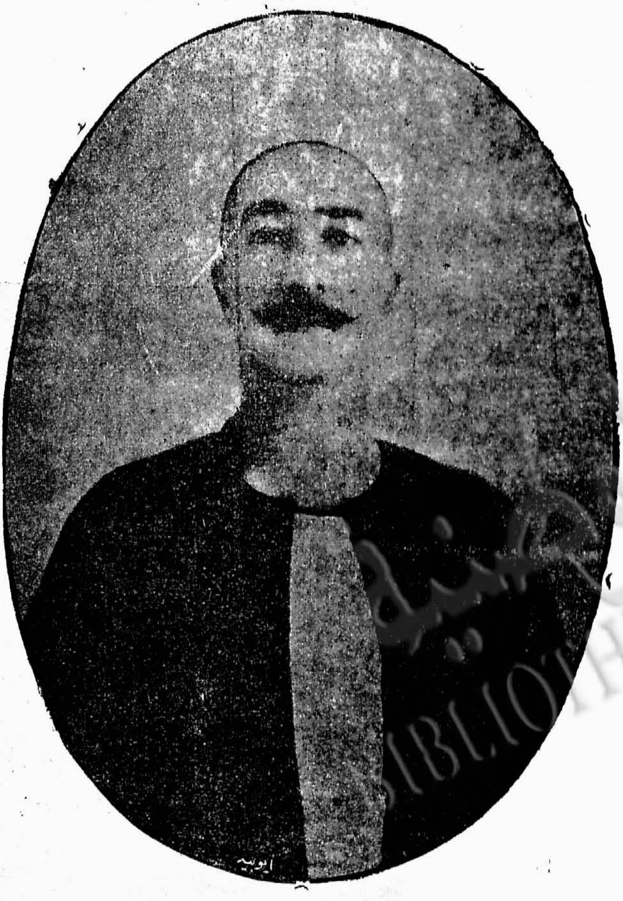
الحقيقة ان المال بدون فضيلة الخير لا يساوي شيئاً ، والغني البخيل لا يفرق عن الحيوان الذي يزينه صاحبه بالذهب والفضة ، ولعمري ما الفرق بين الغني والفقير المعدم إذا كان الأول لا ينفع البشرية بحياته وبذل أمواله في سبيل البؤساء وضحايا الأقدار . وأي سعادة يمكنه أن يشعر بها إذا كان هو ممتلئ البطن ، قرير العين في اهله ووطنه ، ولكن جاره او سكان بلده يقاسون آلام الفقر واوصاب الاوجاع والجهل ؟

يقول أحد كتبة الفرنجة : ان الإنسان يلقى جزاءه إن خيراً وإن شراً في هذه الحياة نفسها . ولما سئل ان كثيرين يموتون قبل ان ينالوا

جزاءهم ، أجاب : إذا لم ينل الانسان سوى راحة ضميره إذا فعل خيراً ، أو شقاء هذا الضمير إذا ارتكب جرماً ، لكفى ذلك دليلاً على أن نتائج الأعمال تتبع الإنسان كالظل ما تفلته بوجه من الوجوه .

***

نكتب هذا كله بمناسبة العمل الإنساني الذي قام به السيد مصطفى عمرو باشا أحد أغنياء مصر ، منذ ثلاثة أعوام تقريباً ، فقد تبرع بعشرة آلاف جنيه مصري و ٥٠٠ فدان لإنشاء ملجأ للفقراء والأيتام يتعلمون به . ويا حبذا لو أن الأغنياء الذين أسبغ الله عليهم من نعمه يقتفون أثر هذا الرجل الإنساني ، ويعطفون على الإنسانية البائسة المعذبة في هذه الحياة . إذن لكان لهم مثل ذكره ومثل فخره ؟



المحسن الكبير السيد احمد مصطفى عمرو باشا .

الشيخ رحيم علي منسي البطران

عمدة عربان النجمة

نبذة مقتصرة من ترجمة حياة حضرة شيخ العرب رحيم بن المرحوم شيخ علي منسى بن المرحوم الشيخ عبد الرحمن البطران وهو ينتهي نسبه لعدنان .



وحضرة الشيخ رحيم أمير قبائل العربان وعمدة قبيلة عموم عربان النجمة ، تعين بدل المرحوم والده بتقرير من نظارة الداخلية وقّع عليه من محمد سعيد باشا ناظر الداخلية بتاريخ ١٥ ابريل سنة ١٩٠٩

وقد انتخب عضواً بلجنة المحلية للنظر في مسائل العربان بمديرية

الجيزة ، ثم انتخب أيضاً عضواً بلجنة العربان المحلية بمديرية المنوفية بدل سعد شديد عمدة قبيلة الحويطات بتاريخ ٢٥ شوال سنة ١٣٣٦ هجري و٣ اغسطس سنة ١٩١٨

وعين ايضاً عضواً بلجنة العربان المحلية بمحافظة مصر بتاريخ ٦ مايس سنة ٩٢٤ . وقد أضيف إلى وظائفه الإشراف على خمس نواحي عربان قبيلة المفروزين بمرسوم من وزارة الداخلية .

ونظراً لخدماته الجليلة منح الوسام المجيدي من المغفور له السلطان عبد الحميد خان فى رجب سنة ١٣٠٥ وأهدى إليه فخامة اللورد تشرشل وزير المستعمرات الانكليزية ساعة الوداد ، كما اهدى اليه جلالة ملك الانكليز حال تشريفه باهرام الجيزة إذ كان ولي عهد المملكة البريطانية العظمى الى عهد المغفور له بخاتم مرصع تذكاراً لاستقباله الفخم

ويوجد لديه فرمانات وتقارير له ولابنائه وأجداده من عصور قديمة منذ محمد علي باشا وما بعده يؤيد نسبه الشريف

وحضرته يمثل الشجاعة والعروبة ومكارم الأخلاق .



كيلاني بك علي عمر المصري

عمدة قبيلة عربان الحوازي البيض بمديرية المينا في الوجه القبلي
ننشر رسمه بمناسبة خدماته للانسانية

العلوم والفنون في مصر

تساءلت وأنا في مصر، وأتساءل الآن أيضا وأنا أخطّ هذا الفصل: تُرى لو أتيح لقطر غير القطر المصري أن يرى ما رأته مصر في تاريخها من التطورات والانقلابات، وأن يكون له من المناسبات والظروف ما أتي عليها، ألم يكن - كما هي اليوم - زعيم النهضة الحديثة في العلوم والفنون وغيرها في بقية البلدان العربية؟ والذي لا يمكن المنصف إلا الاعتراف به هو أن المصري بطبيعته وبمفرده ليس أرقى من غيره، بل ربما فاقه ابن العراق مثلاً في الذكاء، وابن سورية في النشاط، ولكن الأَحوال التي لابسته، والمقادير التي جرت على بلاده، جعلته بطبيعة الحال سيد الموقف، ينظر إليه بقية الناطقين بالضاد كما ينظر الاخ الصغير إلى أخيه البكر.

كانت مصر، منذ فجر النهضة الحديثة، مركزاً للدعاية والعمل. فلا تقوم حركة سياسية أو أدبية إلا ساهمت فيها، وكُتب لها نصيب من تاريخها. والسبب أن مفكري العرب كانوا يقصدونها، هاربين مضطهدين، أو مختارين بعد أن أدركوا أن تربتها تثمر إذا حرثوا فيها واشتغلوا. فكانت مساعيهم تجتمع فيها ثم تتفرع إلى بقية أنحاء البلاد العربية. ولا يمكن أن ننسى ان الشعب المصري كان يفتح صدره للوفود التي تقصده والجماعات التي تحل بين ظهرانيه، كما أن اولي الامر كانوا يشجعون

و يبذلون من ذات نفوسهم وأموالهم . والوضع السياسي أيضا كان من جملة العوامل في أن مصر كانت تعج دوماً بالوافدين من جيرانها ، وكلٌّ ينشد أملاً ، ويطلب عملاً . وماهي إلا فترة من الزمن حتى أصبحت مصر كعبة الأنظار والافكار ، ينظر إليها العرب كما كانوا ينظرون إلى دمشق في عهد الامويين ، أو بغداد أيام العباسيين .

وطبيعي ، بعد هذا ، أن يكون لمصر الفضل في النهضة العربية في سائر فروعها . ولكن هذا الفضل لا تستطيع احتجانه كله والاستئثار به ما دام كل قطر من الأقطار العربية قد ساهم فيه ، ووضع بعض اللبنات في بنائه . وليس أدلّ على ذلك من أن تجرد النهضة التي أداها غير المصريين سواء في العلوم أو الفنون أو الصناعات أو غيرها ، فتجد النقص ظاهراً وكبيراً .

وإذا نظرنا اليوم إلى الحياة في مصر ، رأيناها زاخرة بالحركة والنشاط في مختلف النواحي والجهات . والناس يقتبسون ويبتكرون ويحاولون بكل ما أوتوا من قوة أن ينهضوا و يتقدموا . ولكن الظاهرة البارزة في أعمالهم هي عدم الاتزان ، وفقدان الاتجاه الخاص . تجد ذلك في الأدب كما تجده في غيره من الفنون والعلوم . والحمد لله ان المفكرين أدركوا ذلك ، وشرعوا يدرسون طرق العمل على الوجه الاصح الذي يعود بالخير والفائدة .

والذي يمكن تقريره بعد ما تقدم هو أن مصر لها فضلها وأثرها في نهضة الاقطار العربية ، وهي زعيمتها ما من شك أو شبهة ، ولكن فضلها

مشترك ، فلا يحسن أن يجحده أحد ، وإذا كانت الرسالة التي أدتها حتى الآن تستحق القدر والإعجاب، فنأمل أن يكون لها في المستقبل القريب بعد أن تتزن الخطوات ، وتتوحد الغايات ، وتنتظم المساعي ، شأن أكبر وأثر أعظم .

* * *

ونتحدث بعد هذه المقدمة عن الادب على شواطئ النيل ، لأن الأدب صورة الامة الصادقة ومقياس حياتها الحقيقي . وليست مصر ذات أدب خاص ندرسه لوحده ، بل إن الأدب فيها يمثل الحياة العربية كافة وهذا ما يزيد البحث خطورة واتساعاً .

إننا إذا رجعنا إلى ما فاضت به القرائح تحت جو مصر من منثور ومنظوم ، لم نجد فيه لوناً خاصا يختلف عن غيره من الألوان في بقية الاقطار الناطقة بالضاد . فمنذ بدأ الأدب العربي يفتح عينيه للنور ، وينفض عنه غبار الجمود والخمول متحفزاً للنهوض ، أخذ يسمعنا ألحاناً وأنغاماً متشابهة لا تكاد ترى فيها فرقاً ، وكلها يترجم عن حياة واحدة ، ومشاعر متآلفة وبواعث ونوازع متقاربة ولا غرابة في ذلك ما دام التاريخ العربي واحداً يستمد منه المصري كما يستمد العراقي والشامي والمغربي، وكذلك الحاضر ، فهو في جميع الأقطار العربية متشابه متقارب في حياته ومراميه ، ومثلها المستقبل الذي يبدو على شكل واحد للعموم . وماهو الأدب دون الحياة ؟ وماهي الحياة بدون أدب ؟ أليسا توأمين متلاصقين ، يترجم كلاهما عن الآخر . والادب العربي انتعش وسما عندما كانت الامة العربية حية

سامية المجد ؛ ثم ركد وهمد عندما دار الزمن دورته ، فسقطت بعد عزها وأخلدت إلى السكون والدعة والمذلة . ثم نهض الأدب العربي و كانت نهضته على شواطئ النيل عندما استيقظت الخواطر ، وتفتحت الابصار . و كان في يقظته ضعيفاً ، خائراً ، يشبه المريض الذي أبلّ بعد طول الزمن ولقد ظهرت آثار ذلك فيما خطه أدباؤنا قبل نصف قرن ، فكان أدبهم مشوّه الصورة ، ضعيف المادة ، بعيداً عن التعمق والجدة ، متصلاً بأسباب كثيرة من التقليد والاحتذاء ، لا يترجم عن العاطفة والحياة . ولبث هذا الأدب اللفظي مدة يسيطر على الأفكار والعواطف ، ولبث أصحابه أسياداً وزعماء حتى أتاحت الظر. ف ظهور مدرسة جديدة قام زعماؤها فأبلوا البلاء الحسن في تفهيم الجمهور مقاييس الأدب على الوجه الصحيح ، وكانوا في تأدية رسالتهم جريئين ، وفي حربهم أبطالاً ، استخدموا النقد المرّ اللاذع ، وحملوا معاول هدموا بها كثيراً من الأصنام الادبية ؛ ثم تطور الزمن وتقدمت مصر تقدماً محسوساً بواسطة مدارسها و البعثات التي كانت توفد إلى ديار الغرب ، فنشأ جيل جديد من الشباب المثقف كان له أثر يذكر في تحوير الادب العربي ، وتغيير كثير من معالمه .

أما ما لا نستطيع إغفاله فهو أن زعماء الادب في مصر اليوم يعوزهم التعاون وتوحيد المساعي واختطاط وجهة معينة يسيرون عليها في توجيه الافكار وتهذيب العواطف . وبعبارة أوضح نقول إن منهم من تأثر بالثقافات الغربية فهو لا يتحرك حركة إلا مقلداً ، ومنهم من سيطرت عليه الثقافة العربية القديمة دون أن يكون له حظ من الثقافة العصرية ،

فبقي جامداً ، ومنهم من استوفى نصيبه من الآداب والعلوم العصرية ، ولكنه ما زال عبداً للالفاظ يفادي في سبيلها بكل فكرة . والنتيجة ان الأدب العربي ، في مصر ، كما هو في غيرها ، يعوزه اتجاه جديد ، ولابد لهذا الاتجاه من مقياس يتمشى عليه ، وهو مقياس يجب ان يرمي إلى إنماء الشعور بالحياة والحرية في النفس على الشكل الذي تتطلبه حياتنا اليوم . وأول مانحتاجه اليوم من الأدب أن يبتعد عن هذه الاقتباسات الغربية التي لا تفيد الا ملء الورق . فان الحياة الغربية غير حياتنا ، وما ينزع اليه الغربي غير ماننزع اليه . بل إن تربيته وجميع أحواله تختلف جداً عنا . إذن فما نقتبسه عنه اذا اقتصر على ما يناسبنا كان فيه الفائدة والعكس بالعكس . ثم ان لنا روحية شرقية تمتاز على اختها الغربية ، وهذه الروح نحتاج الى المحافظة عليها من الطغيان العالمي ، ونحتاج الى انمائهـا لتبقى فخراً لنا .

وبعد ففي مصر أدباء راقون امتازوا بالعبقرية والثقافة الراقية ، كما أن هنالك كثيراً من الجمعيات الأدبية والمجامع ومكاتب النشر والمجلات . ومن الأدباء الممتازين الدكتور طه حسين ، الاستاذ عباس محمود العقاد الدكتور محمد حسين هيكل ، الاستاذ عبد القادر المازني ، الاستاذ حسن الزيات ، الاستاذ أحمد أمين ، الاستاذ مصطفى الرافعي ، الاستاذ محمد عبد الله عنان ، الدكتور أحمد زكي ، الدكتور عبد الوهاب عزام ، الاستاذ سلامة موسى ، والمحامي الأستاذ لطفي جمعه وغيرهم ممن يضيق المجال بذكرهم .

ومن الجمعيات الادبية جمعية الرابطة القلمية ، ومن المجامع المجمع اللغوي الملكي ، ومن مكاتب النشر ، لجنة التأليف والترجمة . ومن المجلات : المقتطف ، الهلال و كل شيء والمصور ، والرسالة ، والاثنين ، والسياسة ، وروز اليوسف ، واللطائف وغيرها ..

وننتقل الى التحدث عن الصحافة في مصر . وهي ، كما يراها القارئ ، أصبحت ذات شأن عظيم ، اذ تقدمت تقدماً لا يقل عن تقدم الصحف الغربية الراقية . فكثير من الصحف اليومية كالاهرام والمقطم مثلا أُصبح يطلع يومياً على القراء بعشرات الالوف ، ويصدر في أوقات معينة ، ويحمل الى المشتركين على متون الطيارات ، ويقدم الى القارئ أحدث الاخبار وأوسع المواضيع في شتى مشاكل العالم .

ولم تكن الصحافة المصرية على هذه الحال الى زمن قريب لايتجاوز بضع سنوات . فقد كانت الصحف قليلة العدد ، ضعيفة الكمية ، صغيرة الحجم ، قليلة المورد ، يعيش أكثرها عيش الفقير المستجدي . ثم عطفت عليها الحكومة ، وقدرها الجمهور بعد ما عرف أثرها وخطرها في المجتمع فاذا هي تطبع الألوف المؤلفة ، وتقتني أحدث آلات الطباعة ، ولها دوائر لا تقل عن دوائر الحكومة مجهزة بأساليب النشر والدعاية الحديثة ، وتعتمد في معظم العواصم والحواضر على مراسلين خصوصيين يوافونها بآخر الانباء وتصدر في عدة صفحات كالصحف الغربية مبوبة تبويباً جامعاً .

وبعض الصحف تغذيها الأحزاب ، وبعضها يخدم مصالح خاصة ، وبعضها لا يتقيد الا بمصلحته . الا أن جميع الصحف تخدم القضية وتغار

عليها . وكم هو الفرق عظيم بين صحيفة مصرية تصدر اليوم وبين اخرى صدرت قبل عشرين سنة ، ان البون لشاسع ، والتقدم الظاهر ينم عن التطور الذي دخل على مصر .

والى القارئ بعض الصحف المصرية المشهورة مع لمحة من تاريخها :

الوقائع المصرية : انشئت سنة ١٨٤٧ موضوعها : رسمية للمراسيم الملكية والادارة تصدرها الحكومة المصرية ، مركزها مراقبة مطبوعات الحكومة بوزارة المالية .



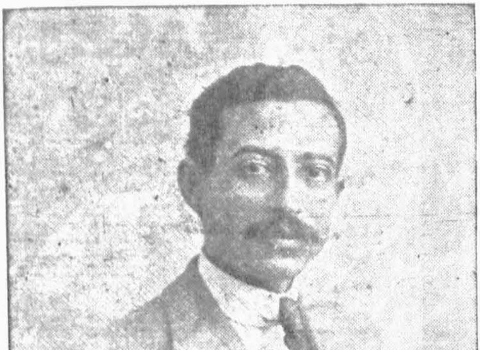
جبرائيل تقلا باشا صاحب جريدة الاهرام

الاهرام : انشئت سنة ١٨٧٥ مركزها شارع مظلوم باشا وهي أقدم الصحف المصرية اليومية ، وأكبرها حجماً وهي أول صحيفة يومية مصورة وأول من عني بنقل الانباء بالبرق ، واسعة الانتشار ، تطبع تقريباً ٦٠ الف نسخة ، صاحبها صاحب السعادة جبرائيل تقلا باشا وترأس على تحريرها الاستاذ داود بك بركات شيخ الصحافيين والمتوفي ترأس على تحريرها الأستاذ الكبير أنطون بك الجميّل .

المقطم : انشئت سنة ١٨٨٨ مركزها شارع القاصد بباب اللوق



الاستاذ فريد وجدي



الاستاذ عبد القادر المازني



حفني بك شقيق دولة محمد محمود باشا



خليل بك مطران شاعر القطرين



المرحوم جرجي زيدان

نبذة مقتضبة عن ترجمة الاستاذ الكبير المحامي لطفي جمعه

لقد تكرم فأرسل حضرة الصديق الاستاذ الكبير المحامي لطفي جمعة نبذة عن ترجمة حياته وهي كما يلي :

ولد حضرته في الاسكندرية في ١٨ يناير سنة ١٨٨٦ فتعلم مبادئ القراءة والكتابة . ثم دخل مدرسة الاقباط فتعلم اللغة الانكليزية والقبطية وبعض العلوم . ثم سافر الى طنطا فدخل في مدرستها الابتدائية ونال شهادتها . وفي سنة ١٩٠٨ انتقل الى القاهرة فدخل المدرسة الثانوية ونال شهادتها . ثم دخل مدرسة الحقوق وقد طرد قبل اتمام دروسه لاسباب سياسية . وبعدئذ سافر الى فرنسا ودخل جامعة ليون ونال شهادة الدكتوراه في القانون . ودرس الآداب في كلية الآداب ، واختص بالفلسفة والتاريخ . ولما رجع الى مصر اشتغل بالمحاماة والتأليف وقد ألف أكثر من ثلاثين كتاباً في الادب والتاريخ والقانون وفي علم الاقتصاد وقانون العقوبات . وأخيراً كرس حياته لخدمة العروبة والانسانية .



الدكتور طه حسين



الأستاذ عباس محمود العقاد



الدكتور حسين هيكل

أصحاب امتيازها الدكاترة صروف ونمر ومكاريوس . وهي من الصحف المعدودة في رواية الاخبار ، ولها مكانة في الدوائر العليا .



الدكتور فارس نمر صاحب المقطم



الاستاذ خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم

مصر : انشئت سنة ١٨٩٤ صاحبها تادرس شنوده المنقبادي بك مركزها شارع نوبار باشا . وهي من أقدم الصحف المصرية وتعد بوجه الاجمال لسان حال الاقباط .

الاخبار : أسسها الشيخ يوسف الخازن وأعاد نشرها المغفور له أمين بك الرافعي ، وكانت لسان حال الحزب الوطني . وتعد الصحيفة الاولى للمعارضة البرلمانية . ثم تخلى عنها الحزب الوطني وأصبحت مستقلة لنفسها

لا تمثل حزباً . وهي قاسية في النقد ، ويتولى تحريرها الاستاذ محمد افندي علي حسن يعاونه جماعة من خيرة الكتاب المصريين .

البلاغ : أُنشئت سنة ١٩٣٣ مركزها شارع الدواوين ، وهي صحيفة الوفد المصري ولسان حاله الاول ، تبحث السياسة والاجتماع والادب . يصدرها الصحفي الكبير الاستاذ عبد القادر بك حمزه ويحرر فيها الاستاذ العقاد و لاستاذ حامد المليحي وفريق من كبار الكتاب المصريين .



الاستاذ عبد القادر حمزة

الجهاد المصرية : لصاحبها الاستاذ الكبير والكاتب الجريء توفيق بك دياب وحضرته منذ لمع نجم شهرته مثال الإخلاص والذكاء وهو

ولمناسبة تحدثنا عن الأدب والصحافة نرى الواجب يدفعنا إلى تخصيص كلمة عن الطباعة :

يذهب بعض المؤرخين إلى أن أول مطبعة عربية دخلت البلاد العربية كانت تلك المطبعة التي حملها نابليون بونابارت إلى القاهرة في حملته . ويؤكد غيرهم أن أول مطبعة انما نقلت من روما إلى لبنان . والأقوال في ذلك متضاربة ، شأن كل شيء في التاريخ . على أن الشيء الذي يهم هو أن الطباعة العربية في مصر بدأت منذ احتلال نابليون لها ، ثم أخذت في التدرج حسب سنة النشوء والارتقاء . وأنت لو سألت أياً كان من المثقفين الذين لهم إلمام بشؤون الطبع ، لما تأخر عن الحكم لمصر بالتفوق أيضاً في فن الطباعة . وانا رغم موافقتنا على هذا الحكم من بعض الوجوه تجدنا نخالفه كل المخالفة من وجوه أخرى . ونريد بذلك ان مصر ما تزال متأخرة في الطباعة . وليس أدل على ذلك من أن تنحي جانباً دور الطباعة المخصصة بالصحف والمجلات الكبرى ، ثم تنظر بعد ذلك ، فتجد مطابع كثيرة وعديدة ، ولكنها متأخرة ؛ ومن مظاهر تأخرها أن الكهرباء لم تدخلها ، والمرتب ما زال يحمل مصفات خشبية ، وينزل السطر بعد تنضيده مفرداً بخلاف القاعدة التي تتمشى عليها المطابع العامة ؛ والعامل يتناول مشاهرة بين جنيه وجنيهين في مثل هذه المطابع . والاجور منخفضة بخلاف مايتصوره الكثيرون ، فان الملزمة المؤلفة من ست عشرة صفحة يمكن طبعها ساعة صدور هذا الكتاب بثلاثين أو أربعين قرشاً مصريا ، وهي قيمة لا تقبل بها أحقر المطابع في سورية والعراق وفلسطين .

كل ذلك يؤكد لنا أن التقدم لم يشمل من الطباعة في بر النيل إلا قسماً من المطابع دون القسم الآخر ، وهو الاوفر عدداً ·

وقد استطعت أن أحصي في القاهرة والاسكندرية ودمياط مئة وخمسين مطبعة ، ثلاثين مسبكاً ، وهنالك ولا شك كثير من المطابع والمسابك لم يصل الي خبرها ·

وفن الروتوكرافور الحديث موجود في دار الهلال وفي مطبعة اللطائف ·

ومطابع اللينوتيب تعمل بها الاهرام وبعض الصحف الاخرى ·

* * *

ومن الفنون التي اشتهرت بها مصر خاصة فن التمثيل ، فهنالك أجواق عديدة ، ومسارح منظمة على الطرق الحديثة ، كما أن هنالك صالات خاصة للرقص والموسيقى · أما التمثيل بصورة خاصة فان الحكومة تعطف عليه ، وتمنح أربابه المخصصات المالية · والروايات التي تمثل مختلفة أكثرها مترجم ، مما لا يوافق الروح العربية الشرقية وبعضها يلقى باللغة العامية تبعاً لرأي الأستاذ انطون يزبك " وقد فطن لذلك كثير من الغير على الفنون ، فراحوا يؤلفون للمسرح المصري ما يوائمه جامعين بين التراجيدي والدرام والكوميك والاوبره كوميك · وفي المدة الأخيرة بدأت حركة إخراج الروايات السينمائية ، وساعد بعضها بنك مصر · وهي على النقص الموجود فيها تبشر بالنجاح القريب · و كان من أكبر ما شجع فن التمثيل دخول طائفة من الفتيات المصريات الى المسرح بعد



الأستاذ أميل زيدان احد صاحبي دار الهلال

الكشكول : انشئت سنة ١٩٢١ مركزها شارع الصنافيري . صاحبها ومديرها الاستاذ سليمان فوزي . اسبوعية سياسية هزلية انتقادية مصورة .

المقتطف : انشئت سنة ١٨٧٦ لاصحابها صروف ومكاريوس وهي اكبر مجلة شهرية علمية تتناول كل علم وفن وأدب وفلسفة واجتماع وتاريخ

ذات أبحاث قيمة وهي تعد دائرة معارف علمية .

الرسالة : انشئت عام ١٩٣١ مركزها بشارع عبد العزيز بالقاهرة أصدرها الاستاذ أحمد حسن الزيات . وهي بلا نزاع أرقى المجلات الادبية الاسبوعية يحررها نخبة من كتاب الاقطار العربية .

السياسة الاسبوعية	لرئيس تحريرها الاستاذ حسين هيكل
البلاغ الاسبوعي	لصاحبها الاستاذ عبد القادر حمزه
مصر الحديثة	〃 〃 توفيق اليازجي
المرأة المصرية	لصاحبتها السيدة بلسم عبد الملك
السيدات والرجال	〃 روزة الحداد
الصباح	لصاحبها مصطفى اسماعيل
روز اليوسف	لصاحبتها السيدة روز اليوسف
اسرائيل	لصاحبها الدكتور البرت موصيري
الصاعقة	〃 احمد أفندي فؤاد
السلوى	〃 نسيب الشعلاني
القضاء الشرعي	〃 الاستاذ محمد ابراهيم الجزيري
الدليل	〃 المرحوم نقولا سابا

* * *

ممن اذا كتبوا افادوا وأجادوا . وكان قد أصدر بضعة جرائد وعطلت لأسباب سياسية . أما جريدته فهي من امهات الصحف الكبرى الشهيرة في القطر المصري ويشترك في تحريرها نخبة من خيرة الادباء الكبار أمثال الاستاذ العقاد واضرابه .

السياسة : انشئت سنة ١٩٢٦ مركزها شارع المبتديان . وهي لسان حال حزب الاحرار الدستوريين ، معروفة بغزارة مادتها وروعة أسلوبها ودقة أبحاثها ، ويقوم على تحريرها الاستاذ محمد حسين هيكل يعاونه الاستاذ عبد القادر المازني وصفوة كتاب العصر .



الاستاذ أحمد بك حافظ عوض

كوكب الشرق : انشئت سنة ١١٢٤ مركزها شارع المدابغ ، وهي اللسان الثاني للوفد المصري يصدرها ويحررها الاستاذ احمد بك حافظ عوض وتمتاز بأبحاثها الطلية المختلفة وباب النقد السياسي الفكاهي .

الاتحاد : انشئت سنة ١٩٢٥ مركزها شارع المغربي ، وهي لسان حال حزب الاتحاد ، معروفة بقوة اقلامها ومتانة اسلوبها وتنوع اعمالها ، ويشرف على تحريرها الاستاذ سعد افندي اللبان

دار اللطائف : مركزها باب اللوق لصاحبها اسكندر مكاريوس تُصدر : اللطائف المصورة (١٩١٥) وهي أول مجلة اسبوعية مصورة صدرت في مصر حافلة بالصور الحديثة والهزلية والمواضيع الفكاهية والقصص .

وتُصدر مجلة العروسة (١٩٢٥) التي انشئت خصيصاً للشؤون النسوية تنشر كل ما يهم السيدات وأحدث المودات والأزياء .

وتُصدر مجلة الأولاد (١٩٢١) باللغة العامية وبصورة فكهة لذيذة ، تتضمن حوادث ووقائع غريبة تهم الأولاد .

دار الهلال : لصاحبيها أميل وشكري زيدان . مركزها شارع الامير قدادار (شارع كوبري قصر النيل)

تصدر مجلة الهلال (١٨٩٢) وهي شهرية مصورة أنشأها المرحوم الأستاذ جرجي زيدان وهي من أكبر المجلات العلمية الادبية الجامعة .

وتصدر مجلة المصور (١٩٢٤) وهي اسبوعية مصورة تطبع بالروتوغراف متنوعة المواضيع جامعة بين الادب الرائع والفكاهة اللذيذة

وتصدر مجلة كل شيء والفكاهة (١٩٢٥) وقد كانتا منفصلتين ثم ادغمتا معاً . تحتوي كل شيء من علم وأدب وفن وفكاهة .

أن كان أثر ذلك مفقوداً . ثم انتخاب الروايات الحديثة ، ونفض اليدمن الروايات القديمة .

ومن الممثلين والممثلات المشهورين في مصر الاساتذة : يوسف وهبه ، عزيز عيد ، جورج أبيض ، فؤادسليم ، نجيب الريحاني ، امين عطا الله ، زكي رستم ، عزيز فهمي ، عبد الرحمن رشدي ، زكريا أحمد ، علي الكسار ، بشاره واكيم ، أحمد جلال ، حامد مرسي ، عبد القدوس ، سليمان نجيب . ومن السيدات السيدة فاطمه رشدي ، منيره المهدية ، امينه رزق ، بهيجه حافظ ، زينب صدقي ، امينه محمد .

***

أما العلوم في مصر ، فقد تقدمت تقدماً باهراً وأصبحت المدارس كثيرة ، بين اميرية واهلية واجنبية ، كل ذلك نظراً لسهر الحكومة على المعارف ، وحسن انتخابها للاكفاء . ثم هنالك الجامعة المصرية ، المؤلفة من كلية ، العلوم وكلية الطب ، وكلية الحقوق . ويقوم بالتدريس فيهـا طائفة من أرقى رجال التربية والتعليم . ويتبع الجامعة دار الكتب المصرية الشهيرة . وها نحن نفصل ما امكن هذه الدوائر العلمية خدمة للتاريخ .

اسست الجامعة المصرية بادئ الرأي في سنة ١٩٠٨ واستمرت تتقبل الطلاب الى سنة ١٩٢٣ إذ تضاءل عدد الطلاب فيها ، فاتفق القائمون عليها على التنازل عنها لوزارة المعارف العامة ، وكان ذلك في كانون الأول ١٩٢٣ شرط ان تندمج فيها كليتا الطب والحقوق . ونشأ

فيها كلية للعلوم . وهكذا كان . وفي ١١ آذار ٩٢٥ صدر المرسوم الملكي بإنشاء الجامعة المصرية مؤلفة من اربع كليات هي : كلية الآداب كلية العلوم ، كلية الحقوق ، كلية الطب .

وكلية الآداب تمنح درجات (الليسانس)و(الماجستير)و(الدكتوراه) في الآداب . وأقسام التخصص فيها هي : قسم اللغات العربية والشرقية وآدابها ، قسم الفلسفة ، قسم اللغات الاوربية وآدابها ، قسم التاريخ ، قسم الجغرافية . وفي الكلية معهد خاص لدراسة الآثار . وشروط القبول أن يكون الطالب حاز الشهادة الدراسية الثانوية ، أو شهادة أخرى تعادلها ، وشروط الالتحاق بالمعهد الخاص بدراسة الآثار أن يكون الطالب من الحاصلين على الليسانس أو البكالوريوس من إحدى كليات الجامعة المصرية أو لقب أو شهادة يقرها مجلس الجامعة بناء على اقتراح مجلس الكلية ، معادلة لليسانس أو انها تسمح بتلقي الدروس في المعهد . وفي هذه الحالة لا يسمح للطالب أن يتقدم لامتحانات الدرجات الجامعية دون أن يستوفي الشروط التي تنص عليها اللائحة ، وأن يرضى المعهد علمه بلغتين من اللغات الانكليزية والفرنسوية والالمانية ، وعن حظه من ثقافة تاريخية كافية .

وكلية العلوم تمنح درجات بكالوريوس عالية في العلوم ، واخرى خاصة في العلوم ، ودرجة ماجستير ودكتوراه في العلوم . وهي تدرس : الكيمياء والطبيعة وعلم النبات وعلم الحيوان والرياضة البحتة والرياضة التطبيقية والجيولوجيا . وفي الكلية قسم لاعداد الطلاب لكلية الطب .

وشروط القبول أن يملك الطالب شهادة الدراسة الثانوية المصرية من القسم الثاني العلمي او شهادة تعادلها و يعتبرها مجلس الجامعة ٠

وكلية الحقوق ذات اربعة أقسام : القسم الاعدادي ، وقسم الليسانس،وقسم الدكتوراه،وقسم الدراسات الجنائية والادارية والمالية ٠

وكلية الطب تمنح درجات بكالوريس في الطب والجراحة والصيدلية وطب الاسنان ، ودرجة دكتور في الطب وماجستير في الجراحة وماجستير في الصيدلية وماجستير في طب الاسنان ٠ وتمنح دبلومات في طب المناطق الحارة وقانون الصحة العامة وصحة المناطق الحارة ، ودبلوماً في الطب الشرعي ودبلوماً في الأشعة وفي الرمد والتمريض والتوليد والتدليك والكهرباء الطبية

اما دار الكتب فقد اسست سنة ١٢٨٦ هـ ـ ١٨٦٩ م ونقلت الى البناء الضخم الكائن بميدان الخلق في اول مايو ١٩٠٤م ولها اوقاف حبست عليها تبلغ نحو ١٦٠٠ فدان ، وميزانيتها مستقلة عن الحكومة ٠ ويشرف على ادارتها مجلس اعلى تحت رئاسة صاحب المعالي وزير المعارف

ومقر الجامعة بسراي شيكوريل بالجيزة ـ وكلية العلوم بسراي الزعفران ، اما كلية الطب ففي قصر العيني ، وكليتا الطب والحقوق والمكتبة العامة ففي الاورمان بالجيزة ٠

وارباحها من تشغيل النقود،وواردات اموالها المنقولة والثابتة والرسوم الدراسية ، ورسوم الامتحانات والمكتبة والايرادات المتنوعة وإعانة الحكومة المصرية ٠

المرأة المصرية

يزعم الغربيون من أعداء الحقيقة بأن الدين الإسلامي يمنع المرأة المسلمة من العمل ، وينسبون تقهقر المسلمين الى تقهقر المرأة عندهم . ولا يودون في حال ان يعلموا بان الدين الاسلامي دين الانسانية والاجتماع والاخلاق ، دين يتمشى مع روح الابداع والتقدم . وأنه منح المراة المسلمة ما لم تمنحه القوانين المدنية لنفس المرأة الغربية . ويتناسون ماذكره التاريخ من الصفحات المجيدة للأعمال ألتي قامت بهـا المراة المسلمة ، والنواحي العديدة التي برزت فيها .

لاننكر التأخر الذي منيت به المرأة بعد انحطاط العرب وذهاب ملكهم واضطرارهم للخضوع الى الأجانب . ولكنها منذ فجر النهضة وهي تسعى للتقدم للحاق بأختها الغربية . ولقد استطاعت حتى الآن ان تخطو خطوات واسعة في سبيل النهوض والحرية . واصبحت تشارك الرجل في حياته العامة في كثير من الاقطار .

وإذا نظرنا الى المرأة المصرية خاصة نجدها قد استوفت حظا كبيراً من الثقافة واستعادت كثيراً من الحرية التي افقدها اياها الجهل الماضي ، ومن ينسى جهادها في الحركات الوطنية ، ومساهمتها في ألتطور الأدبي والاجتماعي وتضحيتها التي دلت على أخلاقها الراقية وعواطفها النبيلة . والمرأة المصرية بوجه الإجمال مثال الأنوثة ألطيفة ، والمرح العذب ، والهمة والنشاط

والذكاء. ومما سيحفظه لها التاريخ أنها برهنت بتمسكها بآدابها الدينية والقومية على أن المرأة المسلمة تتمكن من الوقوف بجانب الرجل للعمل مشتركين في كل فرع من فروع الحياة. بخلاف المرأة في تركيه وايران اللتين خلعتا عذار الحشمة الشرقية، وقلدتا المرأة الغربية في كل شيء، ولم تحترما التقاليد المقدسة.

وكثير هي الجمعيات التي انشئت أخيراً في مصر لخدمة الوطن برفع مقام المرأة وتسهيل مهماتها والعناية بابنائها: تديرها زعيمات النهضة النسائية بمصر وغايتها:

١ـ ان تهتم بالامور الصحية

٢ـ تقويم الاخلاق بالقاء المحاضرات ونشر الكتب الاخلاقية المفيدة

٣ـ لجنة التعليم

٤ـ لجنة المطالبة بحق المرأة أي تحسين أحوال الزواج والطلاق وكل ما يتعلق بالمرأة وشؤونها الحيوية كفتاة اولا وكزوجة وام.

٥ـ محاربة الخمور والمخدرات

٦ـ رعاية الأطفال وإنشاء المستوصفات للمرضى.

وإنا لنضع كمثال للنهضة النسوية في مصر رسوم ثلاث زعيمات اشتهرن في الاوساط الشرقية عموماً، وكان لهن أياد بيضاء في خدمة الوطن.

السيدة صفية زغلول ام المصريين



هي حرم الرئيس الجليل المغفور له سعد باشا ·

ولها مآثر في الوطنية ومما يذكر الناس قولها يوم نفي سعد الى سيشل : « إن كل مصرى في البلاد سعد زغلول »

وكانت في كل ادوار الحركة الوطنية خير معوان الرئيس الجليل ، وقد ذكر دولته فضلها كثيراً في خطبه وأحاديثه

والسيدة صفية هي ابنة المرحوم مصطفى فهمي باشا الذي كان رئيس الوزراء مدة طويلة في عهد الخديوي السابق عباس الثاني

وقد كانت المرحومة الاميرة نازلي وهي الاميرة الديمقراطية المشهورة صاحبة الفضل في عقد الزواج بين الرئيس الجليل وبين السيدة صفية · فقد رأت من ذكاء سعد باشا في حفلات السمر التي كانت تعقدها في قصرها ومن نشاطه ووطنيته ما جعلها تقترح زواجه بأبنة الوزير العظيم لما كانت تعرفه فيها من الخلق السامي والتربية العالية ·

ولها أياد مبرورة في فعل الخير ·



الزعيمة الجليلة السيدة هدى شعراوي



الكاتبة المجيدة الآنسة سهير قلماوي

النهضة الاقتصادية

كيف تنجح الأوطان ، وكيف ترتقي الأمم ؟ ذلك ما كنت ألهج به وأفكر في الإجابة عليه ، وأنا أنظر الى عمران مصر ، وازدهار تجارتها وصناعتها ، وفلاح زراعتها . رجعت بالفكر الى مايقوله المفكرون في هذا الشأن ، فوجدت بعضهم يجعل كل نهضة تبعاً للنهضة الخلقية في البلاد ، فمتى حسنت الأخلاق وطابت وزكت ، فالأمة ما من شك ناجحة متقدمة ناهضة . ذلك قول الأخلاقيين على الدوام . ويقول غيرهم إن الأمة لا يمكن أن تخطو الى الأمام ، وتقف في مصاف الأمم الراقية إلا إذا هبت فيها ثورة فكرية مبعثها الأدب والفن . واولئك هم الادباء والفنانون الذين لا يحيدون عن هذا الرأي . وزعم فريق آخر ، وهم رجال الدين ، أن الصلاح والفلاح لا يتمان الا بالدين ، فالامة التي تحافظ على دينها ، وتحارب الهرطقة والكفر ، وتحاسب نفسها على مثال كتابها المقدس ، تأمر بما يأمر ، وتنهى عما ينهى ، فهي الامة السعيدة التي يكتب لها الفوز والفلج على غيرها . وهناك من يقول بأن النهضة الاقتصادية أساس كل النهضات ، ولا يمكن أن تتم نهضة ما إذا لم تتقدمها نهضة في تجارتها وصناعتها وزراعتها . أقوال متضاربة يغني فيها كلٌّ على ليلاه . ويحوم حول الحقيقة بعيداً أو قريباً . أما ما كنت أراه ومازلت حتى اليوم أعتقده صواباً في هذا الباب فهو أن الأمة لابد لها للنهوض

والحياة من أن يهب أفرادها عموماً للعمل ، كل لما خلق له وما وُفق اليه: فالصانع في صناعته ، والتاجر في تجارته ، والزارع في زراعته ، ثم الاديب في أدبه ، والفنان في أي فن كان في فنه ، والموظف في وظيفته ، والعالم في علمه ، وهكذا ، كي يكونوا جميعا ، كما تكون الأعضاء المختلفة في الجسم الواحد ، لاصلاح له ولافائدة منه إلا إذا اشتركت سائر أعضائه في القيام بوظائفها الطبيعية حتى اذا قصَّر عضو سنده الآخر فلا يكون هنالك نقص . ويزيدني استمساكاً بهذا الرأي أني أنظر الى الأمة الراقية الناجحة ، وأدرس سر تقدمها ، فلا أستطيع أن أقفه على ناحية واحدة . فالانكليز مثلا لم ينجحوا ويسيطروا على معظم أنحاء الكون ، ويبسطوا نفوذهم التجاري في العالم أجمع ، لأنهم عنوا بالاقتصاد فحسب او لأنهم مستمسكون بالتقاليد والدين ، وكذلك الفرنسيون ، فليس نجاحهم وقفا على عنايتهم بالفنون ، والألمان ليست عظمتهم لأنهم وجهوا هممهم للحياة الحربية . انك لتجد تفاوتا ظاهراً بين مثل هذه الأمم في بعض دوافع الحياة ونوازعها ، ولكنك محال أن تجد احداً منها أهمل جانباً من الجوانب التي تقتضيها النهضة الدائمة . ثم لنفرض ان الأمة اليابانية ، وهي آخر أمة استطاعت أن تنهض بعد كبوتها ، وتفيق بعد غفلتها ، وجهت عنايتها الى العلوم والفنون فحسب دون غيرها ، افلا تسوقها هذه العناية نفسها الى الاهتمام ببقية مرافق حياتها الاقتصادية ، او لنفرض انها لم تهتم بغير الاقتصاد ، فهل يتم لها ذلك الا مع الاهتمام بالعلم ؟ فالقضية اذن قضية اشتراك في مطالب الحياة كافة دون تخصيص ، قضية تعاون على

مثال الطبيعة التي لا تعرف عناصرها التفاخر والمباهاة، احدها على الآخر. ومتى ادركت الامة هذه النقطة الخطيرة في حياتها، وايقنت أن ليس لها باب واحد تلجه إلى اللحاق بغيرها ممن سبقها، بل ابواب عدة لا بدّ لها من طرقها بنظام وترتيب من حيث تختص كل طائفة منها بناحية - متى علمت ذلك وقامت به، هان عليها ما كان صعبا، وأنبتت تربتها ذهبا، وعاشت هانئة حرة قوية.

وكأني بمصر العزيزة قد طرزت على هذا المنوال، فحققت الآمال. فان أفرادها قد توزعوا العمل، وسعى كل في إتقانه وتجويده، فكان من مجموع مساعيهم المتفرقة، ما ابدع هذه الصورة الرائعة التي نرى فيها نهضة مصر الجبارة قائمة على الاجتهاد والثبات والابداع.

والذي يثلج الصدر في نهضة مصر الاقتصادية خاصة ان القوم عرفوا فائدة التضامن في العمل، وادركوا ان اوربه لم تنهض إلا بتأليف الشركات، وتشكيل رؤوس الاموال، فقاموا حتى الآن بعدة مشاريع مشتركة يغبطون عليها، لانها درت عليهم الخير، بعدما فتحت امامهم عدة سبل لم يكونوا من قبل يفكرون بالسير فيها. ولعل ابرز ظاهرة لذلك تلك المؤسسة الوطنية التي شيدت برؤوس اموال أهلية، واعني بها بنك مصر الاهلي الذي حفظ ثروة البلاد من العدم، واستثمر الاموال الراكدة، واوجد الاعمال للالوف المؤلفة، واوصد ابوابا عديدة في وجه الاجنبي المستثمر. فكان والحق يقال حجراً قويا في نهضة مصر العامة، ومفخرة يرفع بها المصري رأسه عاليا. وهذا البنك الاهلي الذي نحن

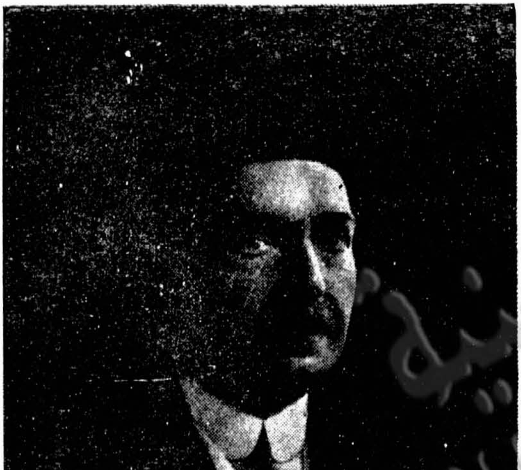
بصدده أسس عام ١٨٩٨ بأمر عال في ٢٥ يونيو . وله الحق باصدار الاوراق المالية التي تدفع لحاملها عند الاطلاع ، مركزه الاساسي بمدينة القاهرة ، وله فروع عديدة في مصر واكثر البلدان العربية . ولم يقف عمله على العمل «البنكي» الخاص ، بل تعداه الى إنشاء عدة شركات ، كشركة الطيران ، وشركة الملاحة ، وشركة السينما ، واوجد عدة معامل كمعمل الطرابيش ، ومعمل السكر . وهو لا يألو جهداً في توسيع اعماله بين يوم وآخر ، كي يبقى دوما في تقدم وازدهار ، ومن يطلع على حاله لدن تأسيسه ثم يقارن ذلك بحاله اليوم لما تردد عن التمثل بقول الشاعر : قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد



الاقتصادي الكبير سعادة احمد طلعت باشا حرب مفخرة مصر والشرق
عميد بنك مصر الاهلي وصاحب الايادي البيضاء فيه

ويوجد في مصر ، عدا البنك الاهلي المصري ، كثير من المصارف كبنك اللويدز وبنك بار كليز، والبنك الاهلي الباريزي، وبنك الكريدي ليونيه ، والبنك العثماني ، وبنك الرهونات المصري ٠

كما أن هنالك كثيراً من الشركات كشركة الطوب الابيض المصرية ، والشركة المساهمة المصرية لموبيليات كريجر ، وشركة حباسات البلاح ، وشركة اسمنت بورتلاندطره ، وشركة الاوكسجين ، وشركة



سعادة احمد مدحت يكن باشا
وهو من اكبر العاملين في النهضة الاقتصادية بمصر

مياه القاهرة ، وشركة التبريدات المصرية ، وغيرها مما لا يكاد يحصى .

أما التجارة بوجه عام فان نظرة واحدة يلقيها المرء على أسماء المشتركين في غرفة مصر التجارية ، وبحث بسيط عن رؤوس أموالهم ، وفروع أعمالهم ، تنبيه بما لا تنبيه عشرات الصحف تخط عن ازدهارها ونجاحها .

وما يقال عن التجارة يقال عن الصناعة التي تقدمت في العهد الاخير تقدماً محسوسا من حيث أصبح المصري يستطيع أن يستغني عن كثير مما كان يستورده من البلاد الخارجية . وحسب المصريين صناعة السكر التي لها عشرات المصانع ، وكذلك صناعة القطن التي تقوم في أملاك الدولة ، ومثلها الرز الذي يشتغل به العمال في مصر السفلى وعلى الاخص في دمياط . وتوليد الدجاج في الصعيد ، حيث تجد مئات من الافران التي يخرج كل منها في السنة فوق العشرين الف بيضة .

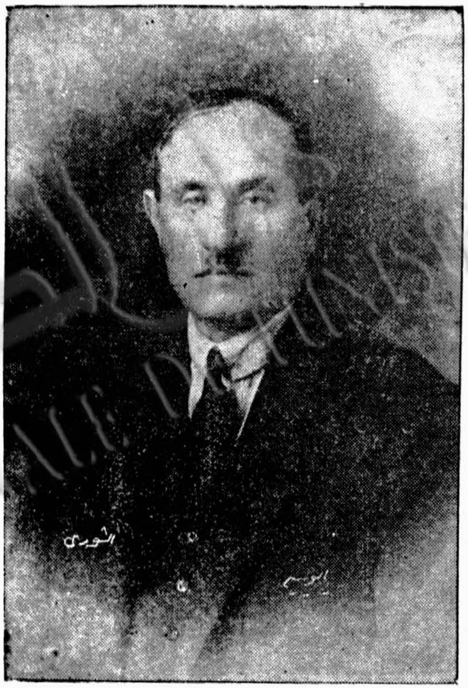
ومصر بوجه الاجمال زراعية ، يفيض عليها النيل بالارباح الطائلة بواسطة فيضاناته التي تسمح لمصر بأن يكون لها من المحاصيل الشيء الوافر . ومن هذه المحاصيل الحبوب التي تنبت بكثرة ولكنها ذات أجناس متوسطة ، وبعض الخضر والنباتات السكرية والزيتية ، والكرمة والبلح والاكاسية والزيتون والرمان والموز والبرتقال والليمون .

والكلمة الأخيرة التي نحب أن لا نغفلها ونحن نبحث النهضة الاقتصادية في القطر الشقيق هي أن انفصال مصر عن الدولة العثمانية

قبل غيرها من الأقطار العربية . ثم عدم اشتراكها فعلياً بالحرب العامة . وروح الانتداب الانكليزي الذي يختلف عن غيره . كل اولئك كان من أكبر العوامل في ازدهارها وغناها . واذا كنا نغبطها على تقدمها ، فاننا نرجو أن تزداد على الايام رخاء ، ويزداد شعبها هناء في ظل الحرية والمجد .



السوريون في مصر



زعيم سوريا الاكبر

المحبوب

الدكتور

عبد الرحمن الشهبندر

إذا نظرت الى الجاليات المختلفة التي تفد الى مصر ، وتحل فيها للعمل والسعي،وجدت السوري أعظمها شأناً ، وأخطرها أثراً،وأكثرها نشاطاً . ففي عالم الآداب والعلوم كان له يد لا تنكر ، حتى أن كثيراً من المطلعين يرجعون اليه الفضل الأول في تهيئة كثير من أسباب النهضة الحاضرة . وتلك هي الحقيقة بعينها التي نستطيع أن نلمسها الآن أيضاً ، فهذه الصحف الراقية مثلاً كالهلال والمقطم والمقتطف والاهرام

فإن مؤسسيها من السوريين . وهذا فن التمثيل فان المرحوم الشيخ خليل القباني هو الذي زرع نواته ، وأسس كيانه ، ومثله المرحوم سلامه حجازي ، وأثره في فن الغناء أشهر من أن يذكر . وهكذا نستطيع أن نقول في الصناعة والتجارة ، فان السوريين أظهروا نشاطاً عظيماً ، وجداً متواصلا في بر النيل ، ويعترف لهم بذلك سائر العارفين .

والحق أن السوري كان ومازال يحب مصر ويحنّ اليها ، ويعدها وطناً ثانياً ، وملجأً قريباً يفزع اليه كلما ألمت به شدة . وكثيرون مضوا الى مصر ولم يعودوا الى بلادهم ، وقد أسسوا محلات وأعمالا ، وشكلوا عائلات ، وأصبحوا في مظاهرهم ولهجتهم وعاداتهم لا يفرقون في شيء عن أهالي مصر الصميمين .

وانت اذا رحت تبحث السر في هذا الميل الشديد إلى مصر في قلوب أهالي سورية ، والسبب في ايثارهم اياها على غيرها ، لاعترضك عاملان قويان هما السياسة ، وخصب مصر . فالشدائد التي كانت تنزل بالسوري من الأتراك ، وما أكثرها وأنكرها ، كانت تحفزه الى الهرب من بلاده الى بلد يجد فيها الطمأنينة والأمن . وهل له سوى مصر التي لا سلطة للعثمانيين عليها ، ولا تطول يدهم اليها ، فكان هذا هو العامل الاكبر في قصد مصر ، ثم يأتي العامل الثاني ، وهو خصب مصر نفسها واتساع أفقها للعمل وبلوغ الأمل ، فكأيّن من السوريين لم يكونوا في بلادهم شيئا مذكوراً ثم أصبحوا بفضل مصر من أكبر الاغنياء والوجهاء

ولعل المرحوم سمعان بك صيدناوي المثري الكبير وصاحب المحلات التجارية الواسعة ـ أكبر مثال على ما تقدم .

إذن فمصر مدينة الى شقيقتها سورية بالأثر الذي طبعه السوريون في باكورة نهضتها ، كما أن السوري مدين لها بفتح صدرها له ووضع خيراتها بين يديه . نسأل الله أن يجعل الوفاق بين القطرين الشقيقين أبديا سرمدياً .

***

آل لطف الله

ومن أشهر السوريين في مصر آل لطف الله الكرام الذي اشتهروا بالسماحة والاريحية وامتازوا بالاخلاق الفاضلة الرضية ، ونالوا الحب من جميع المصريين لحسن سياستهم وكياستهم . فهم والحق يقال مفخرة لسورية ، ومثل أعلى للسوريين في أرض مصر . ولطالما خدموا بلادهم خاصة وغيرها عامة ، الخدمات التي تذكر فتشكر ، وبذلوا من ذات نفوسهم وأموالهم في سبيل المبادئ السامية ما يحفظه لهم التاريخ بأحرف من نور . وهم كانوا وما زالوا يتتبعون قضية بلادهم ، يفرحون لنجاحها ويبتئسون كلما ألمت بها نازلة ؛ وذلك خلق الكرام النبلاء في هذه الحياة ! ..



الامير ميشيل لطف الله



الامير حبيب لطف الله



الامير جورج لطف الله



حرم الامير جورج لطف الله

ومن أسعدني الحظ برؤيتهم في مصر حضرة العالم الكبير المرحوم الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الأغر ، وزعيم سورية الاكبر الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، والاستاذ أمين سعيد الذي كان يحرر القسم الشرقي في المقطم ، والاستاذ سليم بك عز الدين وكيل مدير قلم المطبوعات والاستاذ جميل بك الرافعي أحد مستخدمي قلم المطبوعات ، والاستاذ عزت العطار سكرتير الجالية السورية ، والاستاذ فؤاد منقاره أحد خريجي الأزهر ، وآل الحلبوني الكرام . والاستاذ محيي الدين رضا مراسل الف باء الدمشقية ، والدكتور سليم بك جوده طبيب الاسنان المشهور . والاستاذ سامي بك السراج ، والاستاذ رشيد السيد وغيرهم وهم كثيرون



الدكتور سليم بك جوده

مديريات مصر

تتألف مصر من محافظات ومديريات أما المحافظات فأشهر من أن تعرف لذلك نجتزئ فيما يأتي بذكر المديريات فحسب مع نبذ تاريخية عنها :

مديرية الغربية

اغتنمت فرصة وجودي في القاهرة فزرت مدينة طنطا الشهيرة حباً بالاطلاع على آثارها وعلى الاخص ضريح حضرة الولي السيد أحمد البدوي قدس سره ، الذي أصبح كعبة الوراد يقصده عدد وافر من الناس ، وقد تعرفت أثناء وجودي فيها على حضرة الاخ الدكتور محمود بك نديم وهو سوري الاصل .

مدينة طنطا : ذكرها بعض مؤرخي العرب باسم (طفدتا) واسمها بالقبطي طنيطاد . وهي قديمة العهد ذات أهمية كبرى . ذكر الرحالة ابن حوقل أنه كان يقام بها كل عام سوق عظيم فيأتيها الناس أفواجاً من كافة البلاد ، للتجارة وللتبرك بالولي البدوي الذي يقام له ذلك السوق الجامع ، في يوم مولده من كل عام . وهذه المواسم باقية الى هذا الوقت وتقام فيها الزينات الفخمة ، ويفد اليها الزوار والمتجرون من كل صوب وكان في بعض الاوقات يحصل أضرار عظيمة من كثرة ازدحام الناس ،وقد اهتم المغفور له اسماعيل فشيد بها الشوارع المنظمة والمستشفيات العديدة ، والابنية الفاخرة . وفي رواية ان السيد البدوي كان تقياً

صالحاً ، هبط طنطا في القرن الرابع عشر للميلاد ، وأنشأ بها جامعاً أمَّ رحابه طلاب العلوم الدينية من كل الأقطار الإسلامية . ولما توفي دفن فيه . وقد شرع في تجديده عباس باشا الاول ثم تم في عهد الخديوي اسماعيل ، وهو الآن من المعاهد الدينية المهمة ، تحت اشراف وزارة الاوقاف .

ومديرية الغربية هي احدى مديريات الوجه البحري ، ولها احد عشر مركزاً :

	عدد السكان	المساحة
بندر المديرية طنطا	٢١٣١٧٧	١٣٠٠٠
مركز شربين	١٧٠١٦٦	٤٢٧٠٠٠
« سمنود	٨٠١٦٢	
« البرلس	٢٥٠٢١	٤٠٠٠٠
« دسوق	١٥٢٩٨٥	١٥٣٠٠٠
« فوه	٧٣٠١٩	٨٦٠٠٠
« كفر الشيخ	٢٠١٠٥٨	٣٦٥٠٠٠
« طلخا	١٢٩٥٦٢	١١٣٠٠٠
« كفر الزيات	١٨٣٧٨٦	٧٥٠٠٠
« السنطه	١٥٧٦٧٩	١٣٦٠٠٠
« المحلة الكبرى	١٥٨٠١٥	١٣٦٠٠٠

مديرية الشرقية

مدينة الزقازيق هي بندر المديرية ، وهي ذات آثار تاريخية قديمة ، وقد ذكرها المؤرخ اليوناني (هيرودوت) عندما زارها ، فوصف هيكلها الفخم والاحتفال السنوي الذي يقام تكريماً للآلهة (اوباستي) حاكمة المدينة التي سميت باسمها ، وكان احتفالا عظيما يؤمه كل عام مختلف الوراد من كل فج عميق . وقد توصل أخيراً بعض علماء الآثار ، فكشفوا عن مجموعات فريدة في أهميتها تمثل عصور التمدن الفرعوني من خوفو الى الاسرة الثالثة عشرة ، وقد وجدت بها مدافن للقطط المقدسة بها جثثها محنطة ، وتقع المدينة على بحر (مويس) وهو مجرى النيل قديماً . وعلى بعد ميل واحد من (تل بسطه) وهي البقية الباقية من مدينة (بوماستي) القديمة ، التي كانت حاضرة مصر السفلى كما ذكر بعض المؤرخين .

ومدينة الزقازيق تبعد عن القاهرة ٧٤ ميلا في القطار . والفضل في وجود الزقازيق الحديثة يعود الى انشاء محمد علي الكبير في موضعها قناطر الري ، فقد كانت عبارة عن أكواخ للعمال ، وما هي إلا مدة وجيزة حتى أصبحت من امهات مدن القطر المصري . ويوجد فيها كثير من المساجد والمحالج والمطاحن والمعامل . والمعاهد الدينية والمدارس العامرة . أما مديرية الشرقية فهي إحدى مديريات الوجه البحري ولها مراكز ستة وبندر المديرية الزقازيق وهي تقع على شاطئ النيل .

	عدد السكان	المساحة
الزقازيق	٢٨٦٩٦٧	٢٢٣٠٠٠

	عدد السكان	المساحة
مركز كفر صقر	١٣١٩٦٩	١٣٨٠٠٠
« ميناء القمح	١٦٥٩٢٨	٧١٠٠٠
« ههيا	١٢٤٣٨٦	٧٢٠٠٠
« فاقوس	١٦٢١٢١	٢٤٨٠٠٠
« بلبيس	١٤١٣٢٩	١٠٠٠٠٠

مديرية القيلوبية

مدينة بنها هي بندر المديرية ، تقع على الشاطئ الايمن لفرع دمياط ويقال لها بنها العسل ، لجودة عسلها منذ القدم . وفي رواية ان (المقوقس) أهدى الى الرسول (ص) جانبا منه .

اشتهر فيها بالقرن الماضي على ما رواه الجبرتي رجل اسمه سليمان البنهاوي ادعى الولاية ، وجمع عدداً عظيما من الرجال وضرب الاتاوات على القرى المجاورة حتى قوي نفوذه ولما علم به الكتخدا ، أرسل اليه أحد رجاله فقتله .

ومدينة بنها هي مركز لعدة خطوط من سكة حديد مصر . كما انها مركز هام لتجارة الأقطان ، وهي المركز الحكومي للمديرية . ثم هي مدينة عامرة بالمتاجر والمصانع ، وفيها معاصر الزيت ومحالج للقطن ومطاحن تجارية ومعامل للنسيج .

ومديرية القيلوبية احدى مديريات الوجه البحري ولها خمس مراكز :

بندر بنها	١١٩٢٢٣	٣٩٠٠٠
مركز طوخ	١٢٧٣٥٧	٥٣٠٠٠
« قليوب	١٤١٢٢٠	٥٥٠٠٠
ضواحي القاهرة	٦٥٠٠٤	٨٠٠٠
شبين القناطر	١٤٨٠٣٤	٧٢٠٠٠

مديرية المنوفية

مدينة شبين الكوم هي بندر المديرية ، وقد شيدت على أنقاض قرية قديمة سماها المؤرخ اليوناني الشهير «هيرودت» اتربيش وأطلق عليها الاغريق المقدونيون افروديت يعني الزهرة . واقعة على جزيرة ذكرها استرابون وهيرودوت باسم (بروز ربيتس) وكانت ترسو فيها المراكب من كل الجهات تقل اليها عظام الابقار لدفنها في موضع خاص بها ، وكان أناس معينون خصيصا لهذا الغرض . ومما يروى عن دفن الابقار أن أصحابها كانوا يدفنونها في قراهم تاركين قرونها بارزة ليراها الموظفون المكلفون بجمع عظامها ونقلها الى تلك الجزيرة .

وهذه المدينة قد ازدهرت في عصر محمد علي الكبير اذ شيد فيها المصانع لنسج القطن وغيره ثم أهمل من شأنها حتى أصبحت أثراً بعد عين .

ومديرية المنوفية هي إحدى مديريات الوجه البحرى ولها خمسة مراكز

	عدد السكان	المساحة
شبين الكوم	٢٤٢٥٩٨	٧٢٠٠٠

	عدد السكان	المساحة
منوف	٢٦٠٣٢٨	٨١٠٠٠
تلا	٢٢١٩٤٢	٨١٠٠٠
قويسنا	١٩٠٥٧٨	٧٢٠٠٠
اشمون	١٨٦٩٧٥	٧٧٠٠٠

مديرية الجيزة

زرت مدينة الجيزة صحبة الصديق الاستاذ داود افندي نحماس مدير الدليل المصري بدعوى من شيخ العرب الشيخ رحيم علي منسي عبد الرحمن البطران عمدة عربان النجمة · ولقد شاهدنا من حضرته كل حفاوة واكرام · وحضرته يمثل العروبة الحقيقية والاخلاق الفاضلة ·

مديرية الجيزة إحدى مديريات الوجه القبلي ولها أربعة مراكزه وبندر المديرية مدينة الجيزة الواقعة على الشاطئ الايسر للنيل تجاه القاهرة

	عدد السكان	المساحة
الجيزة	١٣٧٣٠١	٤٧٠٠٠
مركز الصف	٩٧٥٥٨	٤٨٠٠٠
« العياط	١١٧١٨٩	٦٠٠٠٠
« امبابه	١٦١٢٨٢	٩٥٠٠٠

مديرية الفيوم

ولما أنهيت أشغالي من القاهرة ، عزمت على زيارة السودان عن طريق اسوان ، وقد تعمدنا أن نمر ببعض المديريات حباً بالاطلاع . وكان يرافقني الأستاذ فؤاد افندي منقاري أحد خريجي الأزهر ، والمسافة ما بين القاهرة والفيوم بالسيارة ١٢٠ ك م تقريباً . وكان وصولنا مساء ، فذهبنا تواً إلى الفندق ، وأخذنا راحتنا تلك الليلة وفي الصباح زرنا محمد بك الباسل حيث كنا نحمل اليه كتاباً من والده الزعيم حمد باشا وبعد التعارف أبت عليه مروءته الا أن نكون ضيوفه في قصره الخاص وقد نزلنا عند إرادته حيث لا يأبى الكرامة إلا اللئيم . وقد مكثنا عنده يومين ، وعرّفنا الى عمه عبد الستار بك عضو مجلس الشيوخ . ولقد تجلت لي عظمة آل الباسل وما لهم من النفوذ والاحترام .

وفي أثناء وجودي في مدينة الفيوم أتيح لي زيارة حضرة المدير السيد العشري الذي يمثل الأخلاق والانسانية ، وقد سهل لي مهمتي الصحفية فزودني بمعلومات شتى عن المديرية .

أما مديرية الفيوم فهي إحدى مديريات الوجه القبلي تبلغ مساحتها ١٣٠٠٠٠ ف فدان وعدد سكانها ٥٠٧٦١٧ نسمة ، وبندرها مدينة الفيوم وهي تنقسم الى مراكز عديدة : مدينة الفيوم ، مركز الجبيج ، ابشواي ، ابو جنشو ، الاعلام ، الرمل ، البسونيه ، الخالدية ، السباط ، الصالحية ، بني صالح ، ثلاث ، دار الرماد ، مشقين ، دمور ، زاوية الكردانية ، ستوفر سيزد ، العجمين ، العدوة العلوية ، الفيوم ، اللاهون ، المصلوب ، المندرة ،

المناصرية ، النصاريه ، سيلا عنز ، قحافه ، كفور ، الشيخ فضل ، منشاة الفيوم ، منشاة عبد الله ، منشاة الكمال ، هوارة المقطع ، هوارة عدلان

ولهذه الاقضية نواح وقرى شتى

أما مدينة الفيوم نفسها فانها جميلة جداً لاسيما والنيل يشطرها نصفين وهي ذات مناظر طبيعية وشوارع منظمة وأرصفة معبدة وأسواق تجارية عامرة ، والعلوم والفنون فيها مزدهرة .

مديرية بني سويف

زرت هذه المدينة فمكثت فيها يوما واحداً ، وقد أتيح لي زيارة وكيل المديرية السيد سالم نجيب السيد الذي زودني بكثير من المعلومات عن هذه المديرية .

ومديرية بني السويف هي احدى مديريات الوجه القبلي تبلغ مساحتها ٣٦٢٠٠٠ فدان مربع وعدد سكانها ٥٠٦٥٥٧ نسمة ، بندرها مدينة بني سويف واقعة على الشاطيء الأيمن للنيل .

ولهذه المديرية ثلاثة مراكز :

	عدد سكانها	المساحة
مدينة بني سويف	١٦٨٤٢٣	٨٦٠٠٠
مركز الوسطى	١١٦٠٣٩	٦٧٠٠٠
« ببا	١٦٨٤٢٣	٨٦٠٠٠

أما مدينة السويف فذات شوارع واسعة وأرصفة معبدة وعمران فخم

ويوجد فيها بعض مساجد ومدارس وأسواق عامرة ، والحركة التجارية فيها متوسطة .

مديرية قنا

زرت مدينة قنا بندر المديرية فمكثت فيها يوما واحداً وقد سعدت بزيارة مديرها السيد علي فهمي ، الذي لم يبخل بمناصرتي ، فزودني بمعلومات هامة عن هذه المديرية . وقد تعرفت أثناء وجودي فيها على حضرات السادة توفيق وأحمد الحسن من التجار المشهورين ، فشاهدت منهم كل اريحية .

مدينة قنا قديمة العهد ، شيدت على أنقاض مدينة (بنابوليس) القديمة ، وهي واقعة عند طرف القوافل في النيل الى البحر الأحمر عند (القصير) وكانت في القديم عامرة بالبنيان ، ولم تزل آثارها باقية ، وهي من حواضر الصعيد . فيها مساجد قديمة وحمام عتيق ، وفيها معاصر للزيوت ، وفي جنوبها الشرقي نخيل وجنائن وافرة . وهي ذات شوارع متسعة وأرصفة معبدة وأسواق عامرة وفيها مدارس عديدة .

مديرية قنا هي احدى مديريات الوجه القبلي ولها ستة مراكز

	عدد السكان	المساحة
بندر المديرية قنا	١٣٨٦٩٧	٥٨٠٠٠
مركز قوص	١٣٠٩٩٢	٦٩٠٠٠
« نجع حمادي	٢١٥٧٢٤	١٠٠٠٠٠

	عدد السكان	المساحة
مركز الاقصر	١٤٠٢٥٣	٧٧٠٠٠
〃 اسنا	٩٧٤١٣	٥٧٠٠٠
〃 دشنا	١١٧٢٣٨	٧٤٠٠٠

مديرية المنيا

مدينة المنيا هي بندر المديرية ، وقد زرتها فمكثت فيها يوماً واحداً وقد أتيح لي زيارة رئيس قسم الإدارة محمد افندي ، فأطلعني على معلومات شتى بما يتعلق بالمديرية . وقد تعرفت أيضاً على السيد كيلاني على عمر المصري عمدة قبيلة الحوازيـے البيض ، وشاهدت منه كل إنسانية .

أما مديرية المنيا فهي احدى مديريات الوجه القبلي ولها سبعة أقضية

	عدد السكان	المساحة
مدينة المنيا	١٧٠٠٤٢	٨٧٠٠٠
مركز سمالوط	١٤٠٠٤٨	٩٠٠٠٠
〃 مغاغة	١٤١٨٩٢	٨١٠٠٠
〃 بني مزار	١٧٠٨٧٤	٩٩٠٠٠
〃 ابوقرباص	١١١٧٧٠	٦٢٠٠٠
〃 الفشن	١٠٨٨٠٥	٦٥٠٠٠
〃 بندر المنيا	٤٣٩٧٣	

مديرية جرجا

مدينة سوهاج هي مركز مديرية جرجا حالياً ، تقع على الشاطئ الغربي للنيل ، وورد اسمها في التواريخ العربية (سوهاي) وفي هذه المدينة مساجد عامرة عدا الزوايا وأهمها جامع العارف ، والعارف هذا أحد الأولياء كما ذكره الجبرتي . وبجوار سوهاج ترعة هامة الري . أراضيها زراعية جميلة اشتهرت منذ القدم بصنوف السمك .

وكان بندر المديرية «جرجا» وقد بنى سعيد باشا في سوهاج قصراً فخماً ونقل اليها قصر المديرية . وجرجا واقعة بغرب (أبيدوس) وفيها دير للروم الكاثوليك وربما كان أقدم الاديرة . وكانت في القرن الثامن عشر تبعد عن النهر بربع الميل ، ولكن ظل النيل يهدم شاطئه ويقرب المسافة بينها حتى أصبحت هذه المدينة قائمة على شاطئه .

مديرية جرجا هي احدى مديريات الوجه القبلي ولهذه المديرية خمسة مراكز :

	عدد السكان	المساحة
مدينة سوهاج	١٩٧٨٥١	٧١٠٠٠
مركز اخميم	١٠٨٨٣٣	٤٢٠٠٠
« البلينا	١٥٩٩٥٥	٧٧٠٠٠
« جرجا	٢٢٨٤٧٤	٨٥٠٠٠
« طهطا	٢٧٠٥٤٧	٩٨٠٠٠

مديرية اسيوط

أتيح لي زيارة مدينة أسيوط وقد مكثت فيها يومين ، أسعدني فيها الحظ بالاجتماع بحضرة وكيل المدير السيد أحمد فهمي ، فلم يبخل علي بمعلومات هامة عن المديرية .

ثم زرت الاستاذ العلامة الشيخ محمد سليمان مدير معهد أسيوط الديني الاسلامي ، وقد شاهدت منه كل عاطفة نبيلة . ومما علمت أن المعهد يضم بين جدرانه مئات من الطلبة ، وفضيلته ساهر على حقوق الطلبة وترقية المعهد .

مدينة أسيوط تقع على الشاطئ الأيسر من النيل ، وهي شيدت على أنقاض المدينة القديمة ليكونبولس .

ومدينة أسيوط شهيرة منذ القدم بصناعة الفخار والنقش على الاخشاب والعاج ، وصناعة النسيج وتصدر الكمية الوافرة للخارج ، وكانت في القديم عاصمة الوجه القبلي ، وهي تبعد الآن عن القاهرة في القطار ٣٢٠ كيلو متراً . والمدينة جميلة جداً ذات شوارع متسعة وأبنية فاخرة وأسواق عامرة .

مدينة أسيوط هي إحدى مديريات الوجه القبلي وتابعة لها مراكز :

	عدد السكان	المساحة
بندر المديرية اسيوط	١٤٤٢٨٦	٨٥٠٠٠
مركز ابنوب	١٠٠٠٧٠	٦٨٠٠٠

	عدد السكان	المساحة
مركز برنيج	١٤٤٠١٩	٦٣٠٠٠
〃 ديروط	١٧٠٦٧١	٧٩٠٠٠
〃 ملوى	٢٠٤٨١٠	٩٤٠٠٠
〃 منفلوط	١٤٣٥٨٨	٨٧٠٠٠
〃 البدارى	٧٣٧٥٣	٤١٠٠٠

مديرية أسوان

اتيح لي زيارة مدينة اسوان أثناء سفري إلى السودان ، وهي المنفذ الوحيد إلى مدينة حلفا بالسفن التي تسير بواسطة النيل ، وقد اغتنمت الفرصة فزرت حضرة المدير الذي لقيت منه كل انسانية وزودني بالمعلومات التامة عن هذه المديرية . ومن حسن الحظ اني تعرفت الى بعض الشخصيات البارزة من أبناء المدينة الذين لقيت منهم كل عاطفة نبيلة أخص منهم بالذكر السادة حفني بك، ماهر أبو زيد، صالح ومحمد الحسن والشيخ محمود علام عمدة العباسية ، ابو بكر أحمد أبو بكر، المقاول محمود افندي ابراهيم .

ومدينة اسوان هي بندر المديرية الواقعة على شاطئ النيل عند الشلال أمام جزيرة اسوان المعروفة بجزيرة الفنتين بقرب من هيكل (أنس الوجود) ولا تخلو من الآثار القديمة أما تجارة أسوان في القديم فقد كانت ذات أهمية كبرى لانها همزة الوصل بين السودان ومصر ، ولكن مع مرور الزمان زالت ميزتها هذه ، على انها عندما انشئ الخزان المشهور عاد لها شيء

من مواردها الحيوية . ومن حواضر هذه المديرية مركز (أدفو) الذي يحتوي على معبد عظيم من أكبر معابد الفراعنة .

«خزان اسوان»

خزان أسوان آية من آيات الابداع والجلال لما حوى من الفن الهندسي الحديث ، طوله ٢٠٠٠ متر ، منها ٤٠٠ في الجهة الشرقية خالية من العيون وله قناطر عديدة والذي بقي منها ١٨٠ عينا مختلفة الأوضاع على حسب كمية المياه الموجودة للارتفاع والانخفاض . وسعة العين نحو ثلاثة أمتار من الأمام ، ومترين من الخلف ، وبين العين والأخرى (بغلة) عرضها خمسة أمتار ، وله ترعة تسمى الهويس ، عرضها سبعة أمتار ونصف وفيها ثلاثة أحواض الواحد فوق الآخر لمرور السفن صعوداً ونزولا .

وقد وَضع الحجرَ الاول في بناء هذا السد العظيم في ١٢ فبراير ١٨٩٩ دوق كنوت ، ووضعت زوجته الحجر الأخير في ١٠ ديسمبر ١٩١٠

والوسائط النقلية في هذه المدينة متوفرة جداً ، بحراً بالسفن ، وبراً بالسيارات والقطار الحديدي ، والمسافة بينها وبين القاهرة ٨٩٠ كيلومتر تقطعها الآلة البخارية في نحو ٢٣ ساعة

بندر المديرية اسوان وهي احدى مديريات الوجه القبلي ولها ثلاثة مراكز:

	عدد السكان	المساحة
اسوان	١٠٦٣٦٨	٧٨٥٦٨
الدر	٥٤٤٦٦	٢٧٠٧٩
ادفو	١٠٦٤٤٩	٤٩٢٩٥

آثار الاقصر الخالدة

غادرت مدينة قنا إلى الأقصر ، وكانت النفس تتوق الى هـذه الزيارة منذ زمن لكي أطلع على تلك الآثار الخالدة التي أصبحت كعبة أنظار السياح العديدين الذين يحجون اليها سنويا من أقطار العالم ٠

ركبت قطار الاكسبرس ، فراح ينهب الأرض نهباً حتى وصلنا مدينة الأقصر ، وكان الظلام يشملها ٠ وفي الصباح قصدت توا إلى زيارة الآثار التي تدهش العقول ، والتي تعد كنزاً تاريخيا ثميناً ٠ وكان رفيقي دليلا من السماسرة المختصين ، فأطلعني على آثار الفراعنة القدماء التي توحي العظمة والابداع والتي تدل كل الدلالة على أن المدنية المصرية أعرق مدنيات التاريخ ، ولو أردنا أن نصف هذه الآثار الخالدة لاحتاج الأمر إلى مجلدات ضخمة ، ولذلك نكتفي هنا بهذه النبذة المقتصرة عن ذكرياتها التي تركت في نفسي أعظم أثر ٠

أما مدينة الأقصر فهي مدينة جميلة جداً ، ذات مناظر طبيعية وشوارع منظمة وأرصفة معبدة وعمران فخم ، وهي تعد من النفوس ١٤٠٢٥٣ نسمة ومساحتها ٧٧٠٠٠ فدان مربع

وقد أتيح لي زيارة مأمور المركز فوجدته على غاية من دماثة الاخلاق ٠

وداع مصر

أثبتنا في الفصول السابقة ما وفقنا الله إلى إثباته عن مصر في ماضيها وحاضرها . بقيت كلمتنا في مستقبلها . والمستقبل ، كما هو معروف ، باب مظلم لا يعرف ما وراءه إلا عالم الغيب . غير أن المقدمات تدل على النتائج . والحاضر يمكن أن يكون عنوان المستقبل . ولذلك نقدر لمصر حياة سعيدة ومستقبلاً حسنا ، بفضل جهود أبنائها وتفاني زعمائها وسهر حكامها ويقظة المفكرين فيها . ولعل المعاهدة الجديدة التي عقدتها مع انكلترا في هذه الأيام تكون فاتحة لعهد جديد ، تبتسم فيه الأماني وتتحقق الآمال ، وتصبح مصر مستقلة كما كانت في عهد فراعنتها ، وتعد كغيرها من الأمم القوية الحية التي تساهم في ترقية الحضارة ، وخدمة الإنسانية ؟

في السودان

السودان في التاريخ

فرصة اغتنمتها وأنا في مصر ، فعزمت على زيارة السودان ، لكي أدرس تاريخها ونفسية أهليها من مختلف نواحيها .

السودان بلاد بعيدة المدى واسعة الأرجاء ، تقارب ثلث مساحة أوربة . واقعة بين وادي حلفا شمالا ، واوغندا جنوباً ، مع صحراء ليبيا والوادي والكنغو غرباً ، والحبشة والصحراء الكائنة على ساحل البحر الاحمر شرقا . وأراضي السودان صحارى محرقة وسهول متسعة كثيرة الغابات قليلة النبات ، وبها النيل الازرق والابيض يجتمعان في مدينة الخرطوم . وأراضي الجهة الشرقية من السودان صالحة للزراعة ، تشمل الموانى العظيمة التي أشهرها بر سودان وسواكن ومصوع والعقيق وهي مشهورة بما يرد اليها من داخل السودان من المحصولات . ويبلغ عدد سكان السودان الانكليز ١٢ مليونا من النفوس ، أكثرهم من الزنوج ويليهم الدراويش فالعرب فالبرابرة فالنوبة فالدنقلة . وهم مختلفو الألوان بين سود وصفر وحمر وخضر ، كسكان أمريكا . ويقدر سكانها من قاشودة الى اوتمنة باثني عشر مليوناً بعضهم مسلمون وبعضهم وثنيون . أما السكان ما بين قاشوده وحلفا فكلهم مسلمون لانهم من قبائل العرب التي استوطنت هذه الجهات من قديم الزمان . والعرب هاجروا الى السودان إبان الفتح الاسلامي ومنهم من جاءها عن طريق البحر الأحمر ، ومنهم من جاء عن طريق ليبيا

طرابلس . على أن اللغة العربية هي أكثر اللغات شيوعاً في هذه البلاد يتكلم بها معظم أبناء السودان .

مساحة أراضي السودان تبلغ مليوناً وربع كيلو متر مربع . والسودان قديما كانت تابعة إلى فراعنة مصر (اوتوبيا الحبشة) وكانت هذه المملكة معاصرة للفراعنة والفرس والبطالسة والرومان عند تملكهم لمصر .

وكانت ذات عاصمتين احداهما مدينة (نبته) تقوم على سفح جبل البركل بالقرب من الشلال الرابع شرقي النيل . والثانية (مردى) الواقعة بالقرب من حلة البحراوية وهي تبعد نحو خمسين كيلو متر عن مدينة شندى في الشمال . ثم ان مملكة (اوتوبيا) ظلت قائمة حتى سنة ٦٤٠ ثم قام على أنقاضها مملكتان :

١ ـ مملكة النوبة على ضفاف النيل بين الشلال الاول والحبشة

٢ ـ مملكة البجة وتقوم في الصحراء الشرقية

ودخلتها النصرانية ما بين القرن الرابع والخامس بعد الميلاد بواسطة دعاة النصرانية ، من الاسكندرية إلى بلاد النوبة ، وكان أول من لبى الدعوة أبناء النوبة كما ذكر بعض المؤرخين . ثم انقسمت بلاد النوبة في النصرانية الى مملكتين: النوبة السفلى بين الشلال الاول والرابع وعاصمتها (دنقله) والنوبة العليا مملكة علوة ويعرفها السودانيون بمملكة (الفتج) وتمتد بين الشلال الرابع الى أعالي مدينة سنار وعاصمتها « سوبه »

***

ولما فتحت مصر على يد الفاتح العظيم عمرو بن العاص أخذ الاسلام ينتشر رويداً رويداً حتى دخل الى السودان على يد المجاهد الكبير عبد الله ابن سعد بن سرح . وقد عقد معاهدة مع أمير النوبة في سنة ٦٨٥ م

وقد جاء في نص المعاهدة أن ابن سرح جعل لأهل النوبة أماناً وصداقة جارية بينهم وبين المسلمين فما جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة . إنكم معاشر النوبيين آمنون بأمان الله وأمان رسول الله ، على أن لا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما دمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم . على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه . وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو بطرفه من مسلم وغيره . وان فر أحد اليكم من عبيد المسلمين حتى تودوه الى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تتعرضوا لمسلم . وعليكم حفظ المسجد وإسراجه وتكريمه . وعليكم في كل سنة ٣٦٠ رأسا من العبيد تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلدكم غير المعيب يكون فيها ذكرانا وأناثاً ليس شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل ولم يبلغ الحلم ، يدفعون ذلك الى والي اسوان ، وليس مسلم وقع في أيدي العدو يجب المحافظة عليه . وهذا من حد أرض علوة الى أرض أسوان فان أنتم آويتم عبداً لمسلم او قتلتم مسلماً أو معاهداً ، أو تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون في مدينتكم بهدم او منعتم شيئا من ٣٦٠ رأسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وانتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . بذلك أعظم ما تدينون به من المسيح وذمة الحواريين

وذمة من تعظمونه من أهل ملتكم ودينكم الله الشاهد بيننا وبينكم . على ذلك كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة ٣١ هـ

ومن هذا يستدل على عواطف المسلمين ومعاملتهم لغيرهم من الامم على عكس ما عليه الغربيون اليوم من ظلم وإرهاق واخلاف بالعهود والوعود .

ولما كثر أذى قبائل البجة للمسلمين ، رفع والي اسوان أمرهم للمأمون العباسي ، فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم (٢١٦) فكانت له فيهم وقائع دامية حتى اضطرت البجة الى طلب الامان وعقد معاهدة صلح . وفعلاً نزل عند إرادة القوم ، وأصبحت بلاد البجة ملكا للخليفة العباسي ، وفرض على اهليها شروطا ما زالوا ينهضون بها الى سنة ٢٣٢ هـ ثم نقضوا العهد وتراخي الخليفة المتوكل عن ردعهم ، فاستطار شرهم حتى ارهبوا صعيد مصر ، فسار اليهم جيش يبلغ ثلاثين الف مقاتل وعلى رأسه محمد بن عبد الله القمي ، فأفنوا منهم خلقا كثيراً حتى طلب كبيرهم (علي بابا) الأمان في سنة ٢٤١ . ثم اخلدوا الى السكينة وانتشر بينهم الاسلام بكثرة . أضف الى ذلك ان العرب الذين هبطوا مع مسلمي البربر من شمال افريقية بطريق الصحراء الكبرى الى دارفو ، قد اختلطوا بالفور وعلموهم الدين الاسلامي ، فأوجدوا رقعة اسلامية آخرى تلتقي بالبلاد السابقة في مديرية كردفان . وهكذا لم يبق في السودان المصري منطقة لم يدخلها الإسلام حتى ان البلاد التي ظلت الى الآن على وثنيتها وهي : مديريات بحر الغزل واعالي النيل «قادشردة» والمديرية الاستوائية اليوم

مع قسم من كردفان ، فقد تخللها الاسلام بفضل تجار العرب لا بفضل رجال الدين .

وأهالي بلاد السودان متعصبون بعقائدهم الدينية اكثر من غيرهم في الأقطار الاسلامية ، كما رأيت بأم العين في كافة انحاء البلاد السودانية التي زرتها ، وكان قصدي ان ازور هذه المديريات المنوه عنها حتى اصل المنطقة الغربية والكنغو الافرنسي والبلجيكي ، ولكن السلطة الانكليزية حالت دون ذلك ، مدعية ان الطرق غير مأمونة ، وفيها كثير من الوحوش المفترسة .

ثم ان هذه البلاد لعبت ادواراً سياسية هامة بعد العهد الاسلامي ، وما زالت كذلك حتى استولى عليها المغفور له محمد علي باشا الكبير ، مؤسس العائلة الخديوية . فنظم أحوالها وأنشأ بها المصالح والنقط العسكرية ثم استخرج من جبالها بعض المعادن سيما من دارفور وسيان ، ثم قسمها الى ألوية ومديريات ، وأرسل اليها الجنود المنظمة . وما زالت السودان تابعة للحكومة المصرية ، حتى اندلعت نار الثورة المشهورة واشتعلت نارها بمدينة الخرطوم ، وطار شرارها شرقا الى سواحل البحر الأحمر وحدود الحبشة ، وغرباً الى كردوفان ودارفور ، وجنوباً الى فادوشولا وما جاوزها ، وكان اهم أسبابها منع النخاسة والاتجار بالرقيق الذي كان عليه مدار كسب اكثر كبراء البلاد ، ثم اعتلال النظام وتثقيل كاهل الأهلين بالضرائب الفادحة ، ووجود الحكام واستبدادهم الى غير ذلك من الاسباب الداعية للانتقاض على الحكومة ، فتمرد

السودانيون وقتئذ ، وصاروا يشنون الغارات على القبائل المجاورة لهم وخرج اكثر القبائل الموالية للحكومة عن طاعتها ·

واستمر الحال على ذلك ثم استفحل الخطب بظهور المهدي محمد الذي اعلن دعوته وبث رسله في سنة ١٨٨١ يبشرون بأنه مرسل من قبل المولى ليحكم بالعدل والانصاف ، ويقيم شعائر الدين ، فشايعه كثيرون وساعدته الاقدار ، واجتمع حوله الجم الغفير ممن أرادوا خلع نير الحكومة فاستطاع أن يؤلف جيشاً عرمرماً ، وتعتبر تلك السنة بدء الثورة السودانية ·

رأت الحكومة المصرية أن توجه لتلك الأقطار قائداً كبيراً حازماً فوقع اختيارها على الجنرال غوردون الذي عين سنة ١٨٧٩ · وأخذ غوردون يسعى جهده لاطفاء لهيب الثورة التي عمت الاقطار السودانية ولكنه لم يوفق · فاستبدلته الحكومة المصرية بالمغفور له محمد توفيق باشا بعدما كلفته بالمسير الى الحبشة في احدى المهام الرسمية التي قضاها فقفل راجعاً الى انكلترا ، ومنها سار الى الهند فرأس الرجاء الصالح فبلاد سورية وعين بعدئذ حاكماً عاماً على السودان محمد رؤوف باشا الا أنه لم يوفق أيضا إلى ارجاع الامن · وكان نفوذ المهدي في هذه الأثناء يزداد ويتعاظم وتلتف حوله الجماعات الى أن عظم أمره واشتد خطره · وانتهز الفرصة فأمر بالهجوم على جيش رؤوف باشا وانتصر عليه انتصاراً باهراً من جهة الغرب · وللحال أصدرت الحكومة المصرية أمراً إلى رؤوف باشا بالرجوع الى مصر واستبدلته بعبد القادر باشا حلمي الذي لم يكن نصيبه

أحسن من نصيب رفيقه، فدحره المهدي وجيشه. وعلى الاثر عينت الحكومة علاء الدين باشا. ثم جاء هكس باشا الانكليزي واستلم قيادة الجيوش في سنة ١٨٨٣ وكان معه أكثر ضباط الثورة العرابية وعسكرها فسار بهم الى الدويم، وعرج منها الى شركالة التي يقوم بها التعايشي. ولكنه وقع في ايدي جيش المهدي فقتله ومن معه عن بكرة أبيهم. وهنا لم تجد الحكومة الانكليزية مناصاً من العودة الى غوردون باشا، والاستمانة به فأرسلته الى الخرطوم. ولكن جيش المهدي كان يحاصرها فلما وجد غوردون نفسه في خطر، استمان بالحكومة الانكليزية، فأمرت اللورد ولسي أن يهب لتخليصه وتخليص من معه، فسار ولسي بحملته المشهورة، ولكن بعد أن سبق السيف العذل، فقد قضي على غوردون وجيشه. فاستولى المهدي على الخرطوم وما جاورها حتى أصبح السودان برمته في قبضته. وبينما كان يعدّ الحملة للاغارة على مصر اصيب بالحمى وتوفي على أثرها ودفن بأم درمان.

وخلفه عبد الله التعايشي وكان مشيره الاول بل المحرك له على ادعاء المهدوية، ومناوأة الحكومة، فانضوى تحت لوائه سكان السودان. ووقف في وجه الحكومة المصرية وقفة الاسد اربعة عشر عاماً، ولما كانت سنة ١٨٩٦ قررت الحكومة أن تفتتح السودان بأسوء وجه كان كي تخلصه من هذه الحرب التي أكلت الاخضر واليابس

واشتركت في المحاربة جنود مصر والانكليز وتتابعت الحملات على السودان في البر والبحر، وجرت مواقع عدة كان النصر فيها حليف

الجنود المصرية . واليك ملخص ما جرى من الوقائع التاريخية :

بعد أن تغلبت الجنود المصرية والانكليزية على جنود الدراويش في عكاشة وفركه وسواردة ومدت سكة الحديد حتى بلغت مدينة بربر ، ففتحتها . وبعد أن نازلت الدراويش على الأتبرة وانتصرت عليهم وأسرت أميرهم ، عاودت الزحف على ام درمان في صيف سنة ١٨٩٨ حيث سهل سير السفن الحربية في النيل وعبورها من شيلوكة ، وكانت الرايات الانكليزية تخفق بجانب الرايات المصرية ، والاساطيل النيلية تسابق الجنود البرية الى ان انصرم شهر اغسطس واتقت عليها القنابل في غرة سبتمبر ، فخربت حصونها وحصون ام درمان ، وهدمت قبة ضريح المهدي ، ولكنها لم تضعف عزائم أتباعه .

وصباح يوم الجمعة الثاني من سبتمبر تقدمت الجنود المصرية والانكليزية الى ام درمان ، فوجدت جنود التعايشي مصطفين يتقدمون الى القتال وطول مقدمتهم اكثر من ثلاثة اميال ، ويزيد عددهم على خمسة وثلاثين الفا من الابطال ، بين فرسان ومشاة ، فحملوا على الجنود المصرية والانكليزية حملات صادقات ، ورصاص البنادق يحصدهم حصداً ولا يلوون أعنة خيلهم ولا يحسبون للموت حسابا ، الى ان فني منهم نحو عشرة آلاف مقاتل ، وامتلأت الارض بقتلاهم ، وتقدم السردار قاصداً ام درمان لكي يمنعهم من الرجوع اليها والامتناع بها ، وحاول التعايشي حينئذ أن يخترق الجناح الايمن فقوبل من جنوده بعزم شديد وجأش رابط ، واطبقت الجنود المصرية والانكليزية عليه فمزقت شمل اتباعه فولوا

لا يلوون على أحد ، ونجا هو بنفر قليل من اتباعه بعد أن قتل اكثر رجاله وأنصاره .

اما السردار فقد احتل ام درمان عصارى ذلك اليوم بعد ان قاومه من فيها جنود التعايشي مقاومة قليلة واخلى سبيل من فيها من الاسرى وهم امم مختلفة بين مصريين واوربيين وسوريين واحباش وقد قدرت خسارة الدراويش بعشرة آلاف وثمانمئة قتيل عدا المئات الكثيرة من الذين قتلوا في ام درمان وعدد جرحاهم يقدر بنحو ستة عشر الفا والباقون اخذوا اسرى وقتل من الجيش الانكليزي ضابطان و٢٧ عسكريا ، وجرح ٧ ضباط و١٠٣ من العساكر ، ولم يقتل أحد من ضباط الجيش المصري . ولكن جرح ستة من ضباط الانكليز و١١ من الضباط الوطنيين توفي واحد منهم بعد ذلك . وقتل ٣٥ من صف الضباط والعساكر وجرح ٢٧٩ وقتل أحد مكاتبي جريدة التيمس وجرح آخر .

ويوم الاحد في الرابع من الشهر دخل السردار الخرطوم ، واحتفل احتفالا بهيجا باسترجاعها ، وبذكرى غوردون الذي قتل فيها ، ورفع عليها الراية الانكليزية بجانب الراية المصرية

وسار بعد ذلك بكتيبة من الجنود المصرية ونحو مئة من الجنود الانكليزية الى مدينة فشودة على النيل الابيض جنوبا ، ثم عاد منها في الثالث والعشرين من سبتمبر . وكتب يقول إنه رفع عليها الراية المصرية وأبقى فيها حامية من جنوده . ثم سار في البحر الابيض جنوبا حتى وصل

الى سوبات على ٢١ ميلا من فشودة فأقام فيها حامية أخرى ورفع الراية المصرية عليها ، ولقي في فشودة ضابطا فرنسويًا اسمه مرشال ، وطلب اليه أن يأتي معه الى الخرطوم فأبى ما لم ترسل اليه دولته تأمره بذلك . فتركه فيها وكادت الحرب تقع بين انكلترا وفرنسا على احتلال فشودة حتى انجلت حملة القائد الفرنسي عنها وانحسم الخلاف بينهما بنوال الثانية منفذاً على النيل عوّض عليها خسارة البلاد التي احتلها القائد الافرنسي بعد رحلة ثلاثة أعوام لاقى فيها أنواع الصعوبات .

وقد أكبر الانكليز وقعة أم درمان ورفعوا شأنها وكافأوا السردار كتشنر باشا ومن شاركه في هـذا الفوز من الضباط الانكليز مكافأة عظيمة جلب لهم الفخر والثروة .

ومن الوقائع التاريخية المشهورة معركة فركة وسواردة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ قائدها الجنرال كتشنر باشا وعدد جنوده ٦٠٨٠ والدراويش ٣٥٠٠ ثم معركة دنقلة في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ وقائدها أيضاً كتشنر وعدد جنوده ٦٠٠٠ والدراويش ٣٠٠٠ ثم معركة أبي حمد في ٧ اغسطس سنة ١٨٩٧ وكان قائدها هنتر باشا وعدد جنوده ٣٥٠٠ والدراويش ٧٠٠ ثم معركة الاتبرة في ٨ ابريل ١٨٩٨ وكان قائدها كتشنر وعدد جنوده ١٣٠٠ والدراويش ١٩٠٠ ، وأخيراً معركة أم درمان في ٢ سبتمبر ١٨٩٨ وقائدها كتشنر وعدد جنوده ٢٣٠٠٠ والدراويش ٤٠٠٠ .

ولما استتب الامر للجنرال كتشنر باشا بفتح البلاد السودانية وتقويض اركان المهدوية ، عين حاكما عاما ، وخولت له الحرية المطلقة في

تصرفاته وأحكامه ، وقد قسم السودان المصري الى ست مديريات وهي مديرية دنقلة ، بربر ، فشوده ، كسلا ، روستار ، الخرطوم . وقسمت هذه المديريات جميعها الى احد وأربعين مركزاً ، وخصص لكل مديرية منها محافظ أو مدير انكليزي برتبة قائمقام أو قائد من الجيش المصري . وعين لكل مركز مأمور مصري ومعه جاويش انكليزي ، ثم جعلت مدينة الخرطوم عاصمة البلاد ليسكن فيها الحاكم العام الانكليزي ويسكن حاكم آخر في مدينة أم درمان تحت رئاسة الحاكم العام .

ليلتان في النيل

من اسوان الى حلفا

في الباخرة

غادرت اسوان إلى السودان، وقد ركبت الباخرة من الشلال إلى حلفا، وكانت السفرة بحرية لم أشعر بمثل لذتها خلال رحلتي الصحافية الطويلة . لأن النيل كان هادئاً والليل مقمراً ، تختلط خيوطه الفضية بالماء الصافي ، فيبدو أمامك كنز من الذهب والفضة ، على شكل يملأ العين بالحبور . وكان معي في هذه السياحة السودانية حضرة الاديب جورج بك ميخائيل مندوب الجمارك المصرية بحلفا ، وحضرته ذو أخلاق فاضلة وثقافة راقية . فزاد ذلك في سعادتي ، وبتنا ليلتين ويومين في الطريق ، وخلال هذه المدة أخذت تبدو لنا المنابت تارة الى اليمين وطوراً إلى اليسار .

في وسط تلك الصحراء المجدبة كان الشاطئان مقفرين إلا من صخور متحدرة الى سفح الماء . واختلفت المناظر وتعاقبت ، فكنا نرى النيل ينحصر على نفسه كل الحصر ، ثم يعود فينبسط . ثم نرى الشجيرات الشائكة ، ولفت نظري مشهد بيوت من بادية النوبة ، سألت عنها صديقي مستفسراً ؟ فأخبرني ان تلك الأراضي كانت مشيدة يسكنها عدد عظيم

من أبناء النوبة . غير أن الحكومة المصرية عندما رفعت خزان اسوان وفاض النيل وغرقت تلك المباني ، اضطر أهلها الى المهاجرة ، وقسم منهم شيد دوراً في رأس الجبل ومع ذلك فقد عوضت الحكومة على المنكوبين بمليون و نصف جنيه وقد أحسنت بذلك عملا .

وفي كثير من الأنحاء كانت تطالع علينا المعابد المصرية . وفي صباح السبت الواقع في ١٢ حزيران سنة ٩٣٤ رست بنا الباخرة على ميناء حلفا وهناك وجدت الصديق الشيخ عبد القادر عثمان بانتظاري ، فاستقبلني بكل حفاوة واكرام ، وأبت عليه مروءته الا أن أكون ضيفه .



الشيخ عبد القادر عثمان سرتجار مدينة حلفا بالسودان

المديريات والمراكز

تتألف السودان من عدة مديريات اشهرها : مديرية دنقلة، قشودة، بربر، كسلا، روستا، الخرطوم العاصمة، ويقيم فيها الحاكم العام . وتنقسم هذه المديريات جملة مراكز، ونأتي هنا على ذكر المدن التي مررنا فيها بطريقنا الى اليمن عن منطقة ارتيا الايطالية وعاصمتها اسمرة .

حلفا

مدينة حلفا هي أول حدود البلاد السودانية ، تمتد شمالا وجنوبا على شاطئ النيل الازرق وعلى الضفة الشرقية منه ، تقع على بعد ٢٢٦ ميلا من الشلال الاول ، وفي عرض الشمال ٥٥ طول ٢١ شرقي ١٩ ـ ٣١ وفي شمالها ثكنة حصينة أقام فيها الجيش المصري أيام المهدوية محافظا على الحدود . وكان بهذا الحصن مستشفى عسكري وسجن حربي ، وقد كان الخط الحديدي يبتدئ من هذا الحصن ويتجه جنوبا محاذيا ، وفي رواية أن هذا الحصن كان يضم معملا لصب الحديد والنحاس حيث كانت الحاجة العسكرية تدعو الى ذلك .

واتخذ هذا الحصن مركزاً للحكومة ، وفيه مسجد قديم قائم في شماله . ويوجد في هذه المدينة آثار للفراعنة والرومان والنوبه، وفي حلفا

على الضفة القريبة من النيل هيكلان قديمان احدهما يرجع تاريخ بنائه الى عهد ملوك الدولة الثانية عشرة المصرية ·

ووجد في احدى غرفه المعروفة بقدس الاقداس حجر يمثل صور رؤساء القبائل التي تغلبت عليها، فنقل هذا الحجر الى فلورنسه في ايطاليا وهو من بناء طوطمس الثالث المعاصر لعهد الفينيقيين ·

والى الجنوب من حلفا على بعد ميلين منها يبتدئ الشلال الثاني المنسوب اليها والى الجانب الغربي على بعد خمسة أميال حجر عظيم مشرف على الشلال يعرف بحجر ابي صير، يقصده السياح الذين يزورون حلفا للاطلاع على مياه الشلال من أعلاه · وتجاه ابي صير على الضفة الغربية صور موسى باشا و كان الحد الفاصل بين مصر والسودان مدة الفتح الاول، أما موسى هذا فهو الذي تولى الحكم في السودان سنة ١٢٨١ ﻫ الموافق ١٨٧٩ وفي أيامه تمرد جماعة من عساكر الارناؤوط وفروا من الخرطوم، فخرج اليهم بجيش كبير ومازال يحاربهم عند هذا الصور حتى قهرهم، ولذلك سمي باسمه ·

وللمدينة مراكز شتى : منها قلعة (معتوق) وتقع غربي النيل على بعد ثلاثة أميال من ابي صير، وهي مبنية بناء محكما، والى جانبها هيكل صغير يرجع تاريخه الى أوسرش الثالث خامس ملوك الدولة الثانية عشرة ·

وإلى القارئ اسطورة يرويها السودانيون تتعلق ببلدة عكاشة :
تقع عكاشة شرقي النيل وهي بلدة صغيرة تبعد ٣٩ ميلا

عن قرية سمنة بطريق النيل وفيها مزار الشيخ عكاشة ، وقد سميت البلدة بهذا الاسم لان هناك من يعتقد ان هذا الاسم مختص بعكاشه الصحافي المعروف وفي بعض الروايات أن هذا الصحافي جاء مع الجيش الفاتح أيام عمرو ابن العاص لغزو مدينة دنقلة المشهورة ٠

وبينما هو راجع من الجهاد خرج عليه بعض الاشقياء فقتلوه ثم قطعوا رأسه وقذفوا به الى النيل ، فطفا الرأس على وجه الماء حتى اذا ما وصل تجاه هذه البلدة ، صعد من نفسه الى البر الشرقي ، واحتل صخرة هناك ، واجتمع اولئك السكان حوله متعجبين وأراد أهل كل جهة أخذه للتبرك به ، فاشتد الخصام وأدى ذلك الى سفك الدماء ، وهنا انشقت الصخرة وضمت الرأس بين شقيها والتأمتا عليه ، فما كان من المتخاصمين الا أن وقفوا عن الحرب ونصالحوا ، وبنوا فوق الصخرة قبة جعلوها مزاراً ما يزال حتى يومنا هذا ٠

وتعد حلفا من النفوس ١٥ ألف نسمة وقد جمعت المصري والسوري والسوداني والنوبي والدنقلي وغير ذلك من الأجناس ٠ ذلك لأن مركزها التجاري هام جداً بصفتها المنفذ الوحيد لتجارة مصر ٠

واخبرني بعضهم أن الحكومة الإنكليزية حاربت التجارة بزيادة الرسوم الجمركية حتى أصبحت الحالة سيئة جداً بالنسبة للماضي ٠

وقد جعلت مرفأ السودان الوحيد هو بر السودان بعد أن كان مدينة سواكن ٠ وقد خفضت الرسوم الجمركية في بر السودان لأنها تقع

على البحر الأحمر، حتى أصبحت هذه المدينة مركزاً هاماً لتجارة السودان كما شاهدتها أثناء زيارتي المدينة .

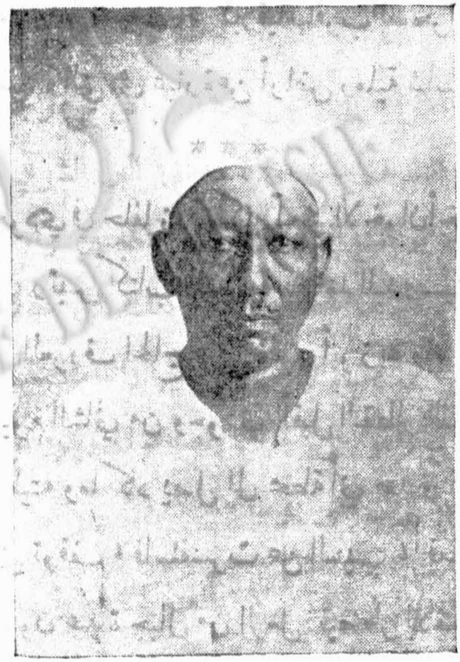
ويوجد فيها بعض مدارس أولية ومدرسة للإناث أنشئت حديثاً .

أما مناخ المدينة فرديءٌ جداً حيث يكون في النهار شديد الحر ، وفي الليل بارداً جداً . ولعل السبب الاكبر قيامها قرب الصحراء الكبرى الخالية من الزرع والغرس والتي هي عبارة عن أراض رملية شاسعة .

* * *

وخلال وجودي في حلفا زرت كثيراً من الاخوان أخص منهم بالذكر عبد القادر أفندي رئيس كتاب المديرية . ومحمد البدوي أفندي مأمور المركز . والتاجر المعروف الحاج عبد الغفور أبو زيد وقد لقيت منهم كل انسانية . وفي اليوم الثاني من وجودي أقبل القطار الذي يسافر الى الخرطوم . فامتطيته وما كاد يصل الى محطة أبي حمد وكان ذلك الساعة التاسعة ليلاً حتى توقف ، فاستفسرت عن السبب ، فعلمت أن في مثل هذه الأيام تتكون عدة جبال من الرمل فيضطر للانتظار حتى يصلح العمالُ الطريق وقد شعرت ببردٍ قارس ذكرني ببرد سيبريا . وفي الصباح تحرك القطار ماراً بنا على بعض بلدان صغيرة ، حتى وصلنا مدينة الخرطوم ليلاً ، وفي الصباح زرت حضرة الصديق الوفي الأُستاذ الكبير الشيخ أحمد عثمان القاضي رئيس تحرير جريدة حضارة السودان ، ولقد غمرني بفضله لانه كان والحق يقال المثلُ الأعلى للتضحية والوفاء ، فعرفني الى بعض الشخصيات البارزة من أبناء السودان واخص منهم بالذكر

الدكتور البشري المهدي ، والسيد عبد الله المهدي ، وعبد التواب أفندي ، وادوار أفندي وغيرهم ، كما أنه أطلعني على المعاهد العلمية والآثار التاريخية .



فضيلة الاستاذ الشيخ احمد افندي عثمان القاضي
رئيس تحرير جريدة حضارة السودان



السيد عبد الله المهدي من أشراف السودان



الدكتور الفاضل البشري المهدي

الخرطوم

اسم هذه المدينة الشهيرة مشتق من خرطوم الفيل ، لان المدينة تشبه الجزيرة ، ذات طرق معوجة بشكل خرطوم الفيل ، وهي تقع على الضفة اليسرى الجنوبية للنيل الازرق ، والخرطوم البحري والنيل الأزرق غرباً وتجد النيل الأبيض في زاويته قائماً ، يمتد بعضها شمالاً إلى النيل الأعظم . وعلى الضفة الغربية مدينة أم درمان الشهيرة بتجارتها الواسعة .

ومدينة الخرطوم أنشأها محمد علي باشا الكبير بين سنتي ١٨٢٣ و ١٨٣٠ تبتعد عن خط الاستواء ١٢ درجة في العرض ، وهي عاصمة السودان ، ومقر الحاكم العام الإنكليزي ، ذات شوارع واسعة وأرصفة معبدة ومناظر طبيعية ساحرة ومستشفيات عديدة وأبنية فاخرة وفنادق جميلة وآثار تاريخية . وحركة التجارة فيها متوالية ، زد على ذلك المعاهد العلمية المزدهرة ، والأندية العديدة التي تضم بين جدرانها خيرة الشباب الناهض . وفيها من الحدائق الغناء ما يأخذ بمجامع القلوب ، ولا سيما (حديقة الحيوانات) التي جمعت مختلف الحيوانات وغريبها وعلى الأخص الوحوش المفترسة .

وفي الخرطوم أتيح لي زيارة كلية غردون صحبة الأستاذ الرصيف السيد أحمد عثمان القاضي الذي وصل أسباب المعرفة بيني وبين مدير الجامعة الفاضل وقد استغرقت هذه الزيارة ساعتين كان حضرة المدير فيهما يطلعنا على احوال هذه الكلية العظيمة . ومما علمته أن هذه الكلية أسست

منذ عام ١٨٩٠، ومؤسسها اللورد كتشنر القائد الإنكليزي فاتح السودان وهي تضم بين جدرانها ٤٢٠ طالباً ولها فروع عديدة لمختلف العلوم والفنون كالطب والهندسة والصنائع والزراعة والتجارة والتربية والتعليم والقضاء الشرعي الشريف، وفي كل سنة يتخرج منها عدد لا يقل عن ١٢٠ طالبا، منهم خمسة عشر طالباً تقريباً في الطب، ومدة دراسة الطبابة خمسة أعوام. ومما لحظته أن أساتذة الصفوف الأولى والوسطى من الوطنيين، والصفوف العالية من الوطنيين والإنكليز معاً وفي الكلية قسم داخلي، وأما مدرسة الطب فقد بنيت تذكاراً للورد كتشنر وعدد الطلبة فيها ٣٥٠ ويوجد مدارس للإناث أما المدارس الابتدائية فكثيرة جداً منتشرة في كل ناحية، وهذا ما يجعلنا نقدر للاخوان السودانيين مستقبلاً باهراً سعيداً.

مدينة ام درمان

زرت هذه المدينة صحبة صديقي الاستاذ احمد القاضي، وكانت المسافة بضعة كيلو مترات قطعناها على سيارته الخاصة. وقد عرفني حضرته الى آل المهدي وهم مثال الفضل والكرم.

وزرت دار الآثار للمغفور له السيد المهدي صاحب الوقائع التاريخية وهي تضم بين جدرانها أنفس الذخائر، منها أنواع العملة التي ضربت في عهده وبعض الاسلحة والاعلام، وفي صحن الدار حمام كان يستحم فيه ويقوم في صحن الدار أيضا ضريح المهدي الذي شيدت عليه قبة صغيرة. وقد حدثني بعض الاصدقاء عنها فقال: ان اللورد كتشنر حينما فتح

السودان هدم الضريح وأخرج الرفات ، فأرسل الرأس الى لندن فوضعته الحكومة الانكليزية في أكبر متحف ، وأما بقية الرفات فقد دفنت في حلفا ، وشيد لها ضريح خاص ما يزال يزار حتى الآن

وفي رواية ان الحكومة الانكليزية أنّبت اللورد على تلك الخطيئة التي ارتكبها في تهديم الضريح ، ولولا ان يكون له مكانته الكبرى عندها لكان لها شأن معه ، على ان مثل هذه الروايات تحتاج الى اثبات ، لان المعروف عن الانكليز خاصة أنهم يتحرجون في ارتكاب ما يمس الشعائر والتقاليد حتى وان كانت اوهاماً وأضاليل .

ولما انتهينا من زيارة دار الآثار زرنا بعض المدارس الابتدائية والثانوية ومدرسة الصناعة التي تضم بين جدرانها عدداً وافراً من الطلبة يتعلمون فيها الصناعات الحديثة

وفي هذه المدينة ترى الشوارع المنظمة والمستشفيات العديدة ، والابنية الفاخرة ، ولكنها لا تعادل الخرطوم بعمرانها الفخم

ومن حيث التجارة تمتاز على غيرها من البلدان لانها مركز تجاري هام . وهي تمد من النفوس ١٢٠ الف نسمة ، وفيها عدد وافر من السوريين الذين يتعاطون التجارة

وفي بعض الروايات ان سبب تسمية هذه المدينة بام درمان هو انها كانت تضم امرأة صالحة تقية متعبدة تسكن فيها .

حفلتا تكريم

لما كنت في مصر كان شاعر القطرين الأستاذ خليل بك مطران عرفني إلى صديقه الفاضل صومائيل بك عطيه سكرتير وكالة حكومة السودان ، ثم لما أزمعت الرحيل عن مصر زودني حضرته أطال الله عمره بكتب لبعض أصدقائه في السودان وأخص منهم بالذكر الزعيمين السيد علي المرغني والسيد عبد الرحمن المهدي ولقد طوّق الأول جيدي بالفضل بدماثة أخلاقه وكرمه ، ومما أذكره له شاكراً حفلته التي أقامها لي وداعاً وقد دعا اليها جمهرةً من الأجلاء كالاستاذ السيد أحمد الفيل مفتي السودان ، وادوار أفندي عطيه وغيرهما .



السيد علي المرغني رئيس الطريقة المرغنية

وتكرم حضرة الدكتور الفاضل البشرى آل المهدي فأقام أيضاً حفلة شاي أنيقة تكريماً للعاجز وكانت رائعة جميلة بين أزينها بحضوره من الأفاضل والعلماء حضرها جمهرةٌ من خيرة الرجال فخرجت ولساني يلهج بالثناء على فضله وتقديره .

النهضة الأدبية في السودان

في السودان أدباء راقون امتازوا بالعبقرية والثقافة الراقية ، وكما أن هناك كثيراً من الجمعيات الأدبية والنوادي العديدة ، وقد ضمتني مجالس عديدة مع خيرة من الشباب المثقف ، فوجدتهم مثال الأخلاق الراقية والثقافة العالية، وان نسيت لن أنسى الأستاذ الكبير السيد أحمد عثمان القاضي عميد النهضة الفكرية والشاعر العبقري عبد الرحمن الأمين ، والأستاذ مدثر البوشي وتوفيق أفندي جبريل والصديق عبد التواب أفندي وغيرهم وهم كثير يضيق المجال بذكرهم .

المسلمون في السودان

ومما ثبت لي أن المسلمين في السودان أصحاب عقيدة راسخة وايمان كامل . واذا كان الجهل منتشراً والمتعلمون قلائل فإن السودانيين ذوو أخلاق سمحاء ، ولا سيما العرب ، فهم يتجملون بأحسن الصفات الطيبة، والمزايا الحميدة .

ومن عادات أبناء هذه البلاد حماية اللاجئ اليهم مهما كلفهم الأمر فتراهم يحافظون على حياته ويكرمون وفادته بكل ما أوتوا من حول وقوة ، ويبذلون النفس والنفيس في سبيل ذلك ، شأن العرب المشهورين بالوفاء والرعاية ولعل ذلك متأت اليهم عن طريق الوراثة ، فإن كثيراً من القبائل العربية قد نزحت إلى هذه البلاد ابان الفتح العربي . ولا يزال من بقاياها عدد عظيم لا يستهان به وأشهرها قبيلة الجمليين التي تمت بنسبها الى عبد الله العباس وهي منتشرة في أنحاء السودان عامة .

السوريون في السودان

وممن أسعدني الحظ بروءيتهم رئيس وأعضاء النادي السوري في الخرطوم وأخص منهم بالذكر حضرات الاخوان الافاضل جورج أفندي مرهج ورئيس الجالية السورية وجورج أفندي التونونجي رئيس النادي السوري ونجيب أفندي سلمان سكرتير النادي .

وقد أبت عليهم مروءتهم الا أن يوءدبوا لهذا العاجز مأدبةً فاخرة في دار النادي السوري حضرها عدد عظيم من خيرة الرجال . وهكذا ترى السوري خارج بلاده يمثل روح التضامن والأُخوَّة نحو مواطنه ، بينما هو في داخل بلاده على غير هذه الحال . ومما يثلج الصدر أن السوريين يشغلون أسمى المراكز في السودان ، وهم يتمتعون بنفوذ عظيم يتفق مع نشاطهم وذكائهم .

منبع النيل

النيل نيلان ، النيل الازرق الصافي ، والنيل الابيض الناصع ، وهما يجتمعان من الخرطوم .

ولقد ذهب الناس مذاهب شتى عن منبع النيل ، ووهموا كثيراً في التحدث عنه ، شأنهم في كل شيء عظيم خطير .

قال بعضهم : النيل ينبع من الجنة ، وهو نهر الكوثر الذي وعد الله به المتقين .

وقال آخرون : منبع النيل في القاهرة ، أو اسوان .

وجاء في كتاب « بدائع الزهور » رواية عن لسان « بولاق الاسرائيلي » خلاصتها أنه مضى يبحث عن نبي آخر الزمان وكان في سفراته يهتم جداً بالاطلاع على منبع النيل ... قاسى أهوالاً شديدة ، وقضى أعواماً عديدة ، حتى تأتى له الوصول الى مقصده ، فوجد النيل ، ولكن بعد أن ساعده على ذلك ملاك سماوي كان يقوده ويلهمه أين يتجه . ولقد أتاه بعنقود عنب من الجنة ... هي أسطورة خيالية كثيراً ما نطالع أمثالها في بطون التاريخ ، وليس يهمنا شيء من ذكرها سوى بيان ناحية من النواحي التي تدل على عظمة النيل وشدة اهتمام الغابرين به ولا غرو فهو من أكبر أنهار العالم ، وروح مصر بأسرها .

ولقد وفقني تعالى خلال رحلاتي الى زيارة الحبشة والسودان ، حتى

انتهيت إلى وسط إفريقية ، وهناك وقفت على أسرار ما تزال غامضة على الكثيرين .

* * *

ينبع (النيل الابيض) من بحيرة (فيكتوريا فنيزيا) التي تبعد عن منطقة اوغندا في افريقية الشرقية مئات من الكيلومترات . وهذه البحيرة ذات مساحة عظيمة جداً ، حتى أن البواخر والمراكب تمخر في بعض جهاتها ، وفيها كثير من الحيوانات المفترسة التي يعترض بعضها سير البواخر وعلى الاخص التمساح الذي لا يقل طوله عن ثلاثين قدماً . وحوادث افتراسه للواقفين على الشواطئ كثيرة وفظيعة . وبعد منطقة اوغندا هذه جبال شاهقة يضيع البصر في علوها ، والامطار تهطل عليها بكثرة حتى تجتمع السيول وتنحدر كلها نحو البحيرة . والنيل الابيض يصب في السودان ثم يلتقي في الخرطوم مع النيل الازرق الذي هو آية من آيات الابداع الطبيعي ، يبعث في القلب الرهبة والجلال والقدسية ومنبعه من بحيرة (سانا) التي تبعد ٦٠٠ كيلو متر عن أديس ابابا عاصمة الحبشة والتي كان لها شأن عظيم في الحرب الايتالية الحبشية الاخيرة . وهذه البحيرة واسعة وهي أشبه بالبحار تزدخر أمواجها ويتلاطم آذيها ، وتصب في السودان ، ومنها جانب يصب في القاهرة .

جزيرة ابا

هي جزيرة صغيرة جداً يقطنها عشرة آلاف نسمة تقريباً ، قصدتها بعد مغادرتي للخرطوم ، صحبة السيد صديق المهدي لزيارة حضرة الزعيم الجليل السيد عبد الرحمن المهدي ، فألفيت الاخلاق الفاضلة مجسمة في أسارير وجهه ، وفي أعماله أيضا ، ووجدت الزعامة الحقة التي تبنى على المحبة والتضحية . ومما علمته من أحاديثه أنه زرع خمسة عشر الف فدان من القطن ، وجمع للعمل فيها عشرين الف عامل من العاطلين ، متعهداً لهم بتأمين حاجاتهم طيلة السنة . وعلمت أيضا أنه يملك عدة أراض أخرى واسعة الاطراف . ومن حسنات السيد المهدي أنه سعى مع لفيف من المتنورين حتى وفق لتنزيل المهور الى درجة يستطيع معها الفقير البائس من ايجاد شريكة حياة له ، ولا يخفى ما في هذا العمل من الخدمة الكبرى للاخلاق والمجتمع .

وبعد ان قضيت يومين في جزيرة ابا ، فارقتها الى (الابيض) عن طريق (كوستي) التي هي مركز محطة القطار ، وهنا اجتمعت بالصديق عبد الرزاق افندي السيد مأمور المركز ، وكان مثال المساعدة والعطف .

كوستي

يرجع اسم هذه البلدة الى رجل يوناني من كريد لانه كان السبب في تحويلها من غابة منقطعة الى بلدة تجارية · والحكومة المصرية جعلت منها مركزاً للقضاء · وهي تعد من النفوس أربعة آلاف نسمة، وسكان القضاء يبلغون ١٨٠٠ نسمة ، وهي واقعة على النيل الابيض ، وتعد همزة الوصل بين جنوبي السودان وغربيه · حاصلاتها الحبوب على اختلاف انواعها والصمغ و الجلود والالبان و الصوف والسمن · وفيها كتاتيب ومدرسة ابتدائية ·

الابيض

غادرت « كوستي » الى الأبيض التي تبعد ٢٢٠ كيلو متراً والتي ينتهي بها الخط الحديدي · وكان وصولي اليها في الساعة السادسة ليلا فوجدت الصديق الوفي السيد أحمد بكري مساعد رئيس قلم الحسابات قد خف لاستقبالي وتحمل موءونة انتظاري ، ثم أقسم علي الا ان اكون ضيفه ، فشكرته · والحق يقال انه بذل كثيراً من ذات نفسه في سبيلي فأطلعني على كل ما يهم معرفته عن الابيض ، وكان صلة الوصل بيني وبين الكثيرين اخص منهم بالذكر محمد نور افندي وكيل البنك ، ومحمد ابراهيم افندي الفضل مأمور المركز ، وعبد الحفيظ افندي مطران وكيل البرق وشمس الدين أفندى رئيس كتاب الهجانة ، والسيد امين مدير المستشفى والشيخ عبد الرحمن افندى الصالح ناظر المدرسة ·



الدكتور امين بك مدير المستشفى
في مدينة الابيض بالسودان



جورج افندي تيناوي
رئيس الجالية السورية في الابيض بالسودان

واغتنمت الفرصة فزرت حضرة المدير الانكليزي ، واشد ما عجبت عندما رأيته يجيد العربية . وقد علمت أنه عضو في المجمع العلمي الجغرافي في لندن ، وانه زار الصحراء وقام بعدة رحلات .

ومدينة الأبيض هي مركز العاصمة في مديرية دارفور الشهيرة . كان يحكمها أمير كبير النفوذ فلما احتلتها انكلترة قضت على نفوذه . وهي تعد من السكان أربعين ألف نسمة ، بينهم كثير من الأجانب . وهناك بعض السوريين . ويوجد فيها فرع للبنك المصري الأهلي . أما عدد المدارس فضئيل ، وهي عبارة عن مدارس ابتدائية فحسب . وهناك مستشفى يستوعب مئة وعشرين سريراً . والمناخ يابس حار . والطرق لم تمتد اليها يد التعبيد ، والوسائل النقلية مفقودة بها ، ومعظم الأهلين يسافرون على ظهر الدواب . لذلك ترى أكثر الموظفين يقتنون الحمير .

وصدف أن حلّ عيد الأضحى المبارك وأنا في الأبيض ، فذهبت صباح العيد برفقة مضيفي الكريم الى أداء صلاة العيد خارج المدينة حيث أن المسلمين لا يؤدون الفريضة في بلدهم . وهناك أقبل الناس زرافات ووحداناً ، ومنهم من افترش الأرض ، ومنهم من حمل معه حصيرة أو سجادة ، وكان الموقف على بساطته وطبيعته رهيباً يذكر بموقف عرفات الاكبر . ومما لحظته أن الاخلاق الفطرية لا تزال مسيطرة لم تفسدها سموم الحضارة ، لاني رأيت القوم يهنئ بعضهم بعضاً بالعيد بكل إخلاص وبروح المحبة المتجلية في أسارير وجوههم تجليها في نبرات أصواتهم .

وبعد أداء الواجب الديني مضينا مع الوفود العديدة الى قصر حضرة المدير ، وكان إلى جانبه المفتش ثم رئيس الكتاب وهو عبارة عن رئيس مرحبين . وكانت خلال هذه الزيارة لا أصوات الموسيقى تنفك ترسل أنغامها لتضاعف السرور في القلوب .

***

ومن حاصلات الأبيض الصمغ العربي ، وتجارته واسعة ، قيل لي إن صادراته سنوياً ٣٥ ألف طن . وله سوق كبير زرته مع الصديق الحاج عوض خليل رئيس التجار . فإذا هو يبعد عن المدينة كيلو مترين . وطريقتهم في بيعه أن التجار يقبلون حاملين بضاعتهم فيدخلون باحةً واسعة أُعدت فيها أرقام لكل شخص منهم . ويأتي المأمور فيجلس في صدر الصالة الكبيرة الموجودة في صحن الباحة والتي قام فيها أحد عشر مقعداً ، ثم يتقدم إلى أحد الموظفين بأن يجلب له قسماً من الصمغ . ويبدأ بعرض الأصناف على التجار الموجودين فيتزايدون ، ومن وقع عليه المزاد سجل اسمه ، وسجل الى جانبه اسم البائع ونوع البضاعة ووزنها .

واهم الأسواق التي تتعاطى تجارة الصمغ في كردفان عدا الابيض هي بلدة أم روابة والمنود والرهو وتندلي ، والاخيرة تصدر كميةً لا يستهان بها من السمسم .

وادي مدني

غادرت الأبيض إلى وادي مدني والمسافة بالقطار ٢٨ كيلو متراً هي عبارة عن ارض رملية محرقة وكان وصولي مساء فوجدت حضرة الصديق محمد افندي صالح رئيس كتاب المديرية مع إخوانه بانتظاري بالمحطة، وممن تعرفت اليهم من الاخوان السوريين الذين يشغلون بعض المناصب العالية والقابضين على زمام التجارة: توفيق أفندي حبيب، شكري أفندي النجار، نسيب أفندي البستاني، توفيق أفندي عطا الله، الياس أفندي التيناوي، الدكتور راجي



محمد افندي صالح رأس كتاب مديرية وادي مدني

السوريون في وادي مدني بالسودان



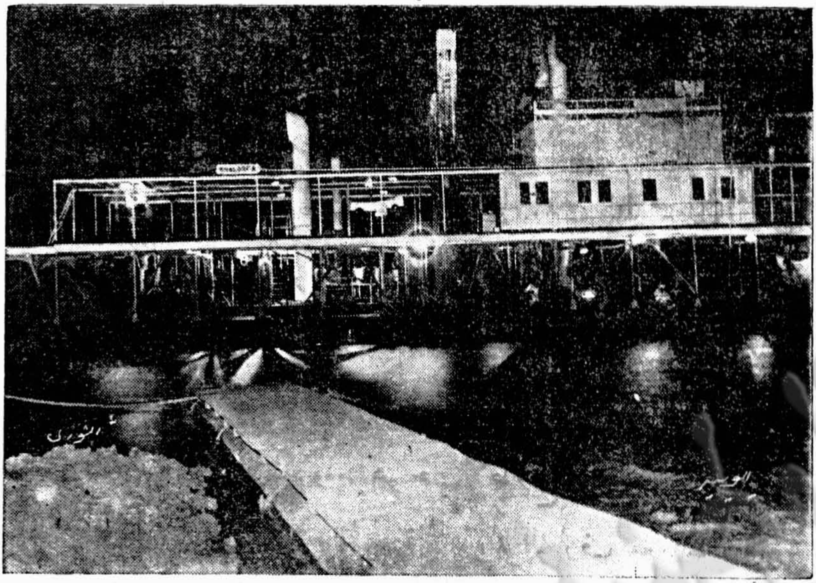
(١) نسيب افندي البستاني قاضي محكمة وادي مدني (٢) توفيق افندي حبيب المهندس والمقاول بالجزيرة بوادي مدني (٣) جورج افندي هب الريح التاجر الشهير في مدينة سنار (٤) الياس افندي هب الريح المحاسب بالشركة الزراعية بالجزيرة (٥) عزت افندي الشامي التاجر بمدينة سنار (٦) ميشيل افندي احد مستخدمي الشركة الزراعية السودانية بالجزيرة في مدينة وادي مدني بالسودان

وتعد المدينة ثلاثين ألف نسمة وقد ازدهرت بالعلوم والمعارف وازدانت بالنوادي العديدة والجمعيات الأدبية .

بلدة سنار

غادرت وادي مدني إلى سنار لكي أطلع على خزان جبل الأولياء وهناك وجدت حضرة الصديق طه بك صالح مهندس الري بانتظاري

فعرفني الى مواطني جورج أفندي هب الريح ، والسيد حميدة من التجار والشيخ حسن عوض وشكري البخاش . والجميع غمروني بلطفهم وفضلهم .



خزان جبل الاولياء في مدينة سنار

وليس في « سنار » شيءٌ يستحق الذكر غير الخزان الذي يقصده السياح من كل فج ليطلعوا عليه ، وهي تعد من النفوس عشرة آلاف نسمة . ذات مناظر طبيعية خلابة .

خزان الأولياء

وزرت الخزان صحبة بعض الاخوان ، فإذا امامي الفن الهندسي .

الحديث يتجسم بعظمته ، ولقد شغلت ساعة في تسريح النظر بين قناطره الهامة ومساحته الكبيرة وترعه المديدة وأبوابه المحكمة ، وتوزيع مياهه بأوقات معينة ، والحق أن ما رأيته لمما يدهش العقول وقد علمت أنه كلف عدة ملايين من الجنيهات

زيارة سلطان مارينو

كانت النفس تتوق لزيارة هذا السلطان المسلم الذي طالما سمعت الناس يتحدثون عن أحواله وما يظهره من العجائب والغرائب الروحانية حتى قيل انه يتفوق على دراويش الهنود ، وقد اتفقت وبعض الاخوان على زيارته ، والمسافة من سنار إلى قصره بالسيارة بضعة كيلو مترات ومع ذلك فقد تحملنا وعثاء السفر يحفزنا شيء واحد هو حب الاطلاع . ولما وصلنا دخلنا داراً بسيطة جداً شيدت من الطين والحجارة . وبعد التعارف مع السكرتير استمهلنا ريثما يخبر السلطان بقدومنا ، وما هي إلا ثوان معدودة حتى أقبل علينا بقامته الطويلة ولونه القاتم وكان على رأسه عقال وكوفية وعلى جسمه عباءة قديمة ثم أخذ « عظمته » بأطراف الحديث وكان يرطن باللغة الفلاتة التي هي لغة سكان إفريقية الغربية وقام فجال بنا وسط داره فاذا هي ذات طبقة واحدة ليس فيها من الفرش غير بساط أكل الدهر عليه وشرب وفي سقفها قطع من الفخار الملون كان يتباهى بها ويشرح لنا خطورتها ، ولما سئمت من الحديث حولت مجراه الى الفن الروحاني وسألته أن يجود علينا ببعض أسراره فتأبى . وصاحبنا ذو نفوذ لأنه رئيس عشيرة الفلاتة في إفريقية الغربية ، أثبت به

الحكومة الانكليزية الى هذه الديار لأغراض سياسية وذلك منذ عشر سنوات ثم منحته أراضي واسعة للزراعة وعينت له راتباً بسيطاً ثم منحته لقب « سلطان » كما هي عادة الانكليز بمنح الأوسمة والرتب لبعض أمراء المسلمين أمثال سلطان لحج ومسقط وغيرهم ، وأما قبيلته فتعد ثمانية آلاف نسمة .

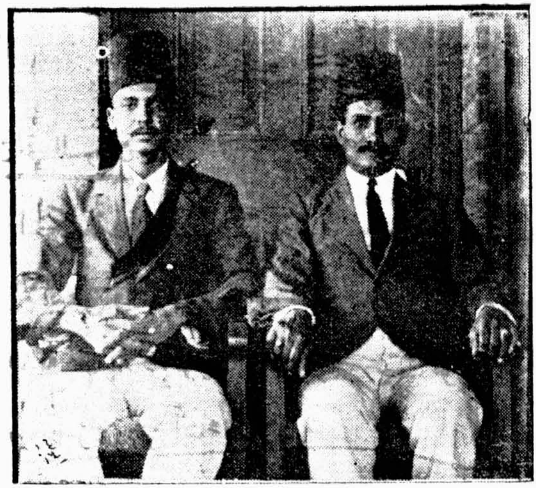


فتاة حسناء من قبيلة النوير بالسودان وهي بنت رئيس القبيلة

مدينة كسلا

غادرت بلدة سنار الى أسمره عن طريق مدينة كسلا . وقد تعرفت فيها على الأخوان الأفاضل : محمد عثمان أفندى المرتضى رئيس كتاب المديرية ، وفضيلة القاضي الشيخ ابراهيم مالك . ونوح أفندي حمزه مأمور المركز ، وتوفيق أفندي جبريل معاونه

شيدت « كسلا » منذ عام ١٥١٢ ، وهي آخر السودان يحدها شمالاً منطقة ارترية الإيطالية ، وشرقاً الحبشة . ومركزها الجغرافي هام جداً تعد من النفوس عشرين ألف نسمة تقريباً ، حاصلاتها الحبوب والتمر . واسمها حديث العهد ، لأنها كانت تسمى في القديم « طاكة » ، وفيها مستشفى شيدته الحكومة المصرية عام ١٨٨٩ ، ولما نشبت الحرب بين الحكومة المصرية والمهدوية المشهورة ، انتهزت ايتالية الفرصة وهجمت عليها وبقيت ثلاثة أعوام ادخلت خلالها عدة إصلاحات ونشطت حركة العمران . كما أنها شيدت مقبرة لجنودها باقية إلى الآن ، وأبقت عدة مدافع وجملة من الأسلحة ما تزال حتى اليوم على أبواب القلعة . والمدينة تحيط بها سلسلة جبال : منها جبل الحشمة ، وجبل الكرام وغيرهما ، ذات مناظر طبيعية جميلة . وفي كسلا ناد للموظفين وبعض مدارس ابتدائية ، وأبناؤها من العرب الخلص ، ولما عزمتُ على مغادرة السودان إلى اليمن عن طريق اسمرة خابر الحاكم الانكليزي الحاكم العام الايطالي ، ولم يرد الجواب إلا بعد ثلاثة أيام ، وكان قبولاً ، فغادرت السودان ولساني يلهج بالثناء على إخواننا السودانيين لما شاهدت منهم من الأخلاق النبيلة والعاطفة الإنسانية .



عبد الحميد افندي ابو حمزه مأمور مركز "الغضارف ومعاونه" عبد الرحمن ابراهيم "رمضان



نوح افندى حمزه مأمور مركز كسلا



الشيخ عبد الله بكر احد زعماء السودان
في مركز الغضارف

معلومات شتى

القوانين في السودان

وضعت الحكومة في السودان قانوناً واحداً يسري على الصغير والكبير، والأبيض والأسود، والحر والعبد، والوطني والأجنبي. بعكس ما شاهدته في بلاد إفريقية الشرقية حيث توجد قوانين خاصة للاجانب تجعلهم متميزين عن أبناء البلاد.

حكاية غريبة

حينما كنت مسافراً في القطار من أسمرة إلى المصوع صدف أن كان بجانبي بعض الاهالي. ولما أقبل المفتش ووجدني بينهم رجا مني أن أفارق مكاني إلى عجلة أخرى، ولم أدر السبب إلا بعد حين، فإنه لايجوز عندهم اختلاط الاسود بالابيض. استغربت هذا الفرق بين أبناء الانسانية وذكرت أن الدين الإسلامي لم يجعل لاحد على الآخر فضلاً إلا بالتقوى ولا أنكر أنني كنت أستخف في سري بهذه الفوارق التي يضعها بين الناس من يدعون أنهم راقون متمدينون.

الضرائب

تأخذ الحكومة على رأس الغنم ثلاثة قروش مصرية، وعلَى رأس البقر خمسة قروش والجمل خمسة عشر قرشاً، وأما في الزراعة فتأخذ العشر وقبل انتهاء الموسم تؤلف لجنة خاصة من قبل الحكومة لتقدر الزرع ثم تقتطع لنفسها عشر الوارد قبل البيع.

الرسوم التجارية

تؤلف الحكومة في كل سنة لجنةً خاصةً من الأعيان وبعض الموظفين الخبيرين بالشؤون التجارية وعلى رأسهم مفتش انكليزي . وهذه اللجنة تفتش المحلات التجارية عامة ، وتقدر أرباحها السنوية ، ثم تتقاضى في المئة ستة ، ومن أصحاب العقارات في المئة أربعة عشر . وهناك ضريبة المراحيض فعلى كل مرحاض ١٨٠ غرشاً مصرياً ، وإذا كان صاحب الدار يتعهد برفع القاذورات فانها تأخذ منه ٦٠ قرشاً فحسب .

والحكومة تتقاضى من كل تاجر سنوياً خمسة جنيهات باسم مساعدة العلم والعرفان . كما أنها تتناول من كل تاجر أو غني جنيهين سنوياً لمساعدة المستشفيات والويل كل الويل لمن يتمنع أو يتأبى عن الدفع فإن السجن مقره لا محالة

ولكي يعلم القارئ أن هذه الضرائب كلها لا تؤثر على الاهالي يجب أن نلفت نظره الى الحركة التجارية الواسعة القائمة في السودان والى الاشغال العامة المثمرة ، وأن التاجر والعامل والصانع والموظف وصاحب الأملاك يرون المستقبل ضاحكاً وأفق الآمال مصحيةً مشرقة ، ولا نكاد نسمع تذمراً أو شكوى .

وكم ذكرت وأنا في السودان حالتنا في وطننا السوري حيث الحالة الاقتصادية متأخرة فالعامل المسكين يعمل الليل والنهار ولا يتمكن من تأمين حياة عائلته ، ومثله التاجر فإن حياته مهددة بالافلاس في كل حين وكذلك قل عن الزارع والتاجر ، فالكل يئنون ويشكون .

طرابلس الغرب

نحو طرابلس برقة

جعلت في برنامج سياحتي أن لا أدع بلداً عربياً أو شرقياً إلا زرته واطلعت على أحواله ودرست أوضاعه ، وكانت النفس تتوق بعد أن زرت عدة أقطار ، أن أسير إلى طرابلس برقة ، القطر العربي الإسلامي الذي سقط كغيره من الأقطار التي كانت تحت النفوذ العثماني ، بين براثن الاستعمار . فقاسى من الشدة والعنت ما لم يقاسه غيره ، وأظهر أبناؤه من المحبة والوطنية ما سجله التاريخ بإكبار وإجلال .

وكان أول ما قمت به أني قصدت إلى شركات البواخر المختلفة ما بين ألمانية وإفرنسية وإيتالية . فلم أجد أرخص من الأخيرة . ولما راجعت مدير الشركة وعلم أني صحفي عربي ، أخذ يظهر لي الانس والاستعداد لخدمتي . وفعلاً حسم لي ثلاثين بالمئة من أصل السعر القانوني .

وتزودت بما لا غنى عنه لأن المدة التي سأقطعها في ركوب البحر سبعة أيام إن لم يكن أكثر .

وهكذا لم يأت يوم ٣٠ آذار سنة ١٩٣٢ حتى وكنت على ظهر الباخرة تمخر بي وبالمبحرين عباب البحر كأنها قطعة من الجبل ، أو حوت عظيم يحارب الأمواج ويشق طريقه بينها إلى حيث يريد .

وغابت شمس اليوم الأول ، وحط الليل بجرانه فوق الماء المتموج .

طرابلس - برقه

ثم برز القمر من مكمنه ينير أحشاء الليل البهيم ، فلما سال لعابه الفضي فوق صفحة المياه الساكنة ، وامتزج لونه بلونها ، ألف لوناً متلألئاً براقاً ، كانت العين ترتاح في سكونها اليه بين هدوء الليل ورهبة البحر ، وكنت أشعر بلذة عميقة لا تخلو من استشعار بضعفي وضعف كل إنسان مثلي أمام عظمة الطبيعة . ولا أخفي أنني ذكرت وطني وأهلي ، شأني في كل ساعة أخلو فيها إلى نفسي أمام منظر رهيب كالمنظر الذي أراه . ولما أخذت النفس متعتها وأحسست بالملل بدأ يتسرب إلي ، قفلت راجعاً الى غرفتي آخذ نصيبي من النوم .

افقت صباحاً على رنين الجرس يدعو المبحرين الى تناول الطعام . فأصلحت شأني وارتديت ثيابي ونزلت الى القاعة المعدة لتناول الطعام ، وكنت من ركاب الدرجة الأولى ، أي لا بد لي من التقيد بآداب الطعام وأساليبه الغربية التي كنت أكرهها لأنها لا توائم طبيعتي لما فيها من أسر وتضييق . وكنت ألحظ الخبث الأوروبي متجلياً تماماً في قوائم الأكل فإنهم يسردون أشكالاً وألواناً من الأطعمة بكلمات طنانة رنانة ، ثم عندما يطلبها الإنسان يجدها مما لا يؤبه له قيمةً وغذاء . لكن تهيئتها تغر ، واسمها يستلفت النظر ، لذلك عولت منذ الوقعة الاولى أن لا أغتر بعدئذ بالعناوين وأن أطلب من الما كل ما يلذ ني ويروق لي .

قضيت أكثر اوقاتي في المطالعة . والذي لحظته أن للمحيط تأثيراً شديداً على الفكر ، فالذي يطالع في الباخرة يرى في مطالعته غير ما يراه عند ما يطالع في المسرح أو في الترام أو في المقهى أو في مكتبه

الخاص . وهذا الاختلاف ناشئ عن الوضع الخاص الذي يشغل الفكر أكثر من غيره من شؤون الحياة خلال المطالعة . فيستلفت المطالع ما له علاقة أقوى وصلة أقرب مع حالته الراهنة . وبما أنني لم يكن ليشغلني خلال وجودي على ظهر الباخرة إلا طرابلس والوصول اليها ، فقد كنت أرى حتى في فصول الحب والفلسفة والتاريخ التي أطالعها طغيان القوة على الضعف ، وفقدان الانصاف والعدل ، وأسباب انحلال الامة العربية . وشيء آخر فقد كنت أرى حتى في البحر ، وهو يتلاطم ويزدخر عراك الحياة ، وتنازع النواميس ، وحكمة الطبيعة .

والذي أذكره وأنا أكتب هذا الفصل هو أن البحر هاج فجأة وغضب غضبة الرجل الكريم . فأغمي على أكثر الركاب ، بعدما تبدل الصفاء بالكدر ، والسعادة بالألم .

ولم نشرف على مدينة (بني غازي) إلا في اليوم الخامس . وقد مكثت فيها الباخرة ساعتين . ثم استأنفت سيرها ، وما زالت تجد ماضية بسرعة حتى ألقت مرساها في مرفأ طرابلس العظيم . وهناك أقبل الطبيب يفحص الركاب حسب العادة .

تجولت في المدينة بصحبة الاستاذ حافظ نديم مندوب جريدتنا في القطر المصري . وأول ما استلفت نظري وجود الأعلام الايتالية ترفرف فوق المؤسسات والدوائر الرسمية . فشعرت بمثل ما يشعر به كل محب لبلاده وقوميته . وزاد الالم أن المسلمين في العالم رغم جميع ما انتابهم ما يزالون متقاعسين ، متنابذين ، تشغلهم المظاهر ، وتخدعهم الاوهام .

وزرت الزميل الفاضل الشيخ محمود أفندي ونجله صاحبي جريدة « الرقيب العتيد » وقد دعيت الى منزلهما العامر حيث تجلى كرمهما ونبل أخلاقهما . ثم زرت دار الحكومة واجتمعت مع كاتم السر السنيور لويجي ، وهو ممن يجيدون العربية لأنه درسها في بيروت . وكان حضرته همزة الوصل بيني وبين الحاكم المرشال « بادليو » الذي لم يبخل بمقابلتي وتخصيص قسم من وقته لمحادثتي .



المارشال بادليو حاكم طرابلس الغرب

أما الحديث فكان دفاعاً عن سياسة ايطالية في مستعمراتها وعلى الأخص في طرابلس - برقه ، فان حضرة المرشال جعل من المرحوم عمر المختار وأصحابه فئةً خرجت على القانون فاستحقت العقاب ، وأنكر جميع ما تقوله الصحف عن ايتاليا بأنها انتهكت حرمة الدين الإسلامي ، فحولت المساجد الى كنائس ، ثم ختم حديثه بعتبه على الصحف التي تهاجم الايتاليين وتصورهم أعداءَ الحضارة والدين ، ومما قاله لي ساعة الوداع : «يمكنك أن تدرس الحالة عن كثب ، وأن تثق من جميع ما قلت» .

وكان بودّي أن أعمل بنصيحة المرشال وأن أقف على الوضع الذي تعيش فيه طرابلس وأهلها ، ولكني لم أستطع أن أُقيم في هذا القطر الشاسع أكثر من عشرين ساعة ، لأسباب سياسية ، وماذا تجديني هذه الفترة من الزمن ولأي شيء تتسع ؟

تاريخ طرابلس

كانت طرابلس جزءً من أملاك القرطاجنيين ثم استولى عليها الرومانيون وكانت زمن هاتين الدولتين في غاية العمران ثم افتتحها عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ ثم صارت تابعة لعمال الخلفاء العباسيين ثم ملكها الأغالبة ثم العبديون ثم امتلكتها جزيرة صقلية سنة ٥٠٤ ثم دولة الموحدين سنة ٥٤٣ ثم افتتحتها الدولة العثمانية سنة ٩٥٠ فاستبد بها العسكر التركي وصاروا لا يحترمون الولاة منهم وأطلقوا أيديهم بالمظالم واستمرت هذه الحال الى ١٢٥١ حيث أرسلت الدولة اسطولاً مؤلفاً من ٣٢ سفينة وخلصت البلاد مما بها من الفساد وولت عليها ولاةً من قبلها واستمر ذلك الى سنة ١٩١١

حيث أعلنت ايطاليا الحرب على تركيا من أجل هذه الولاية ولم يكن بها سوى ١٦٠٠ جندي ولم تستطع الدولة إمدادهم براً من طريق مصر فدافع أولئك الجنود ومن انضم اليهم من العرب دفاعاً أوقف ايطاليا على السواحل نحو سنة . وقد نشرت جريدة المقتبس التي تصدر في دمشق بحثاً جليلاً عن طرابلس رأينا أن نأتي عليه هنا قالت :

طرابلس هي القسم الشرقي من بلاد البربر يحدها من الشمال البحر الرومي ومن الشرق لواء بنغازي ومصر ومن الجنوب الصحراء ومن الغرب الصحراء وتونس ومساحة طرابلس مع بنغازي ١٢٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع أي قدر ولاية سورية ١٣ مرة أو ستة أضعاف مساحة تونس . وسكانها زهاء مليون ونصف وهواء الساحل منها من جهة سهول برقة وما جاورها معتدل جداً أما في الجهة الجنوبية أي في فزان فالحرارة تغلب عليها والقسم الشرقي في جبال الاطلس الممتدة من الغرب الى الشرق على موازاة البحر الابيض يسمى جبل نفرسة والجبل الغربي وجبل السوداء في سهول فزان وهو عبارة عن سلسلة جبال نفرسة والجبل الغربي وجبل السوداء في سهول فزان وهو عبارة عن سلسلة جبال تمتد الى الجنوب الغربي حتى الصحراء وأنهارها قليلة ليست سوى جداول لأن مياهها تتبخر بشدة الحرارة وتضيع في الرمال المحرقة .

وأكثر شرب أهلها من صهاريج تملأ بماء السماء كان ذلك قديماً ولا يزال الى اليوم وسواحلها منبتة في الجملة ولا سيما جهات برقة تخرج أنواع الحبوب والبقول والثمار والزعفران والقرة والحلفاء البرية والتمر والبرتقال

والليمون والتين والزيتون ومن سواحلها يستخرج الإسفنج والمرجان وأنواع الأسماك ويقسم هذا الصقع بحسب التقسيم الإداري الأخير الى ولاية ذات أربعة ألوية ولواء مستقل وهو بنغازي فلواء طرابلس يدخل فيه تسعه أقضية وهي : قضاء طرابلس والنواحي الأربع وغرياق واورفلة وترهونه والزاويـة وزوارة وعزيزية وعجيلات ولواء خمس وهو مؤلف من خمسة أقضية وهي قضاء خمس ومصراته وظلتين ومسلا وسرت ولواء الجبل الغربي وهو أربعة أقضية قصر بغرين وغدامس ونالوت وفساطر ولواء فزان وهو أربعة أقضية مرزوق وشوانه وشاطئ وغات وفي هـذه الولاية عشرون ناحية تتبع الأقضية وفي لواء بنغازي أربعة أقضية وهي بنغازي ودرنه ومرج واوجاسه وجابو واجداسه وعشر نواح . وبنغازي هي في المدخل الشرقي من السرت الكبرى وحاضرة بلاد برقة وتجارتها مع خانيه ومالطه ووادى في السودان الشرقي حسنة في الجملة و كان اسمها بيرنيس .

وأشهر مدن هـذا القطر اليوم طرابلس الغرب التي سميت الولاية باسمها و كانت الولاية تسمى برقة قديماً ومدينـة خمس على الساحل وقصر بغرين ومرزوق وغدامس وغات وبنغازي على الساحل ودرنة واوجاسه وهما واحتان مشهورتان . وسكان طرابلس نحو أربعين ألف نسمة وسكان بنغازي زهاء عشرين ألفاً .

وبرقه كما قال ياقوت اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية (تونس) واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس

مدن ، ولها ساحل يقال له حية وساحل آخر يقال له ظلميثة وبين الاسكندرية وبرقه مسيرة شهر ومن الفسطاس (مصر) الى برقه مئتان وعشرون فرسخاً وهي مما افتتح صلحاً على يد عمرو بن العاص سنة ٢٣ ومن برقه الى القيروان (تونس) مئتان وخمسة عشر فرسخاً .

قال المقدسي :وفي مدن برقه ذات الحمام ورمادة وطرابلس واجداسه وصبرة وقابس وغافق . وبرقة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعسال مع يسار وهي ثغر قد أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع على نصف مرحلة من البحر في هوة قد أحاط بها تربة حمراء شربهم من آبار وما يحوونه من أمطار في حباب وهي على جادة مصر يحسنون الى الغرباء ، أهل خير وصلاح ، وطرابلس مدينة كبيرة على البحر مسورة بحجارة وجبل شربهم من آبار وماء مطر كثير الفواكه والاجاص والتفاح والالبان والعسل .

واجداسه عامرة بنيانهم حجارة على البحر ، وشربهم من الامطار ، وسرت كذلك ، ولها بواد وصحارى . وصبرة في بادية وهي حصينة بها نخيل وتين ، شربهم من ماء المطر . وقابس أصغر من طرابلس لها واد جرار وبنيانهم من الحجارة والآجر ، كثيرة النخيل والاعشاب والتفاح ، مسورة باديتها بربر .

وغافق ناحية واسعة كثيرة القرى والاسواق على أيام الجمعة بجرية ومن الناس من ينسبها الى إفريقية (تونس)

وذات الحمام ، عمرت من قريب وكانت طرابلس من عمل تونس

في القرون الاولى للاسلام ، ثم غلب اسمها على الكورة وأصبحت نبارة قصبتها وذلك بدثور برقة وغلبة الخراب عليها وقد وصف ابن حوقل الجغرافي في القرن الثالث وقد زارها فقال :

ان برقة مدينة وسطى ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزرية ولها كورة عامرة وغامرة . وهي في بقعة فسيحة تكون مسيرتها يوميا كبيرا في مثل ذلك ويحيط بالموضع جبل من سائر جهاتها وأرضها حمراء خلوقية التربة ، وثياب أهلها ابداً محمرة ليعرف أهلها بالفسطاط من بين أهل المغرب بحمرة ثيابها وثغرها ، ويطوف بها من كل جانب بادية يسكنها الطوائف من البربر . وهي برية بحرية جبلية ووجوه أموالها جمة ، وهي أول من ينزله القادم من مصر الى القيروان . وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل حين ، ووقت ما لا ينفع طلابا لما فيها من التجارة وعبوراً عليها مغربين ومشرقين ، وذلك أنها تنفرد من التجارة التي ليس في كثير من الغرب مثلها والجلود المجلوبة الدباغ والتمور الواصلة اليها من اوجله . ولها أسواق حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب . وشرب أهلها من ماء المطر في مداخل تدخر وأسعارها في أكثر الاوقات فائقة بالرخص في جميع الأغذية .

ويليها أجدابية مدينة على صحصاح من حجر في مستوى بناؤها من طين وآجر و بعضها بحجارة ولها جامع نظيف ويطيف بها من أحياء البربر خلق كثير ولها زروع مباخس وليس بها ولا ببرقة ماء جاري وبها نخيل

حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم وواليهم القائم بما عليها من وجوه أموالها وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعشير خضرهم وبساتينهم هو لاميرها وصاحب صلاتها . ولهـا من وراء ذلك لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان ، وهي قريبة من البحر ترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة ، وأكثر ما يخرج عنها الاكسية المغاربة وشقف الصوف . وشرب أهلها من ماء السماء .

واوجله منها على ايام بين غربها وجنوبها،وهي بلدة ذات نخيل عظيمة وغلات تتحمل منها لاهلها جسيمة ومنها الى ودان طريق قصيرة،وودان هذه ناحية ومدينة في جنوب مدينة سرت ، وهي حزيرة لا تقصر في رخص التمور وكثرتها وجودتها عن اوجله .

وسرت مدينة ذات سور صالح كالمنيع من طين وبها قبائل من البربر ، ولهم مزارع ، وهي على البحر ترد عليها المراكب بالمتاع وتصدر به عنها ، وفيها من جهاز الصوف ما لا يقصر عن اجدابية وبرقه .

واما طرابلس فكانت قديما من عمل افريقية ، وسمعت من يذكر ان عمل افريقية لما كانت طرابلس مضافة اليها معروف معلوم ، وذلك انه من حبرة وهي منزل من طرابلس على يوم ، وهي مدينة من الصخر الابيض على ساحل البحر خضرة حصينة كبيرة صالحة الاسواق واسعة الكورة كثيرة الضياع والبادية ، وارتفاعها دون ارتفاع برقه ، وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجديدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره كالفرسك والكمثرى اللذين لاشبه لهما في كثير من المواضع وبها الجهاز الكثير والصوف المرتفع

وطيقان الاكيسة الفاخرة الزرق النفوسية والسنود الرفيعة الثمينة ٠ الى مراكب تحط عليها ليلا ونهاراً وترد بالتجارة على مر الاوقات والساعات صباحا ومساء من بلد الروم وارض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم ، واهلها قوم موقرون من بين من جاورهم متميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصورة والقصد في المعاش الى مروءات ٠



بشير بك السعداوي رئيس الجالية الطرابلسية

الدفاع عن طرابلس

اهتمّ العالم الإسلامي العربي بقضية طرابلس بعد احتلال ايتالية لها اهتماماً شديداً ، وكانت الصحف تخصص كثيراً من حقولها لنقل أخبارها وللدفاع عنها . الا أن هذا الاهتمام خفّ وقل منذ سنوات خلت ، لأن التطورات الجمة التي حدثت في العالم جعلت كل قطر من الأقطار يفكر بشأنه ، ويحاول الدفاع عن نفسه . على أن ذلك لا يمنعنا من القول بأن هناك أفراداً نصبوا انفسهم ووقفوا حياتهم وبذلوا أموالهم للدفاع عن طرابلس برقه . والأستاذ بشير بك السعداوي بدمشق أولهم وأشدهم حمية وغيرةً ودفاعاً . فهو لا يترك فرصة الاّ استثمرها ، وناضل فيها محتجاً . أصدر بيانات عديدة ضمت شروحاً للحالة العامة في طرابلس برقه ، والانتقادات المرة لدولة ايطالية ، والتصوير الدقيق لدفاع الطرابلسيين عن بلادهم .

استيلاء إيتالية على طرابلس

بينما كانت الحكومة العثمانية تتنازعها القلاقل ، وتتتابع فيها الفتن والثورات ، استفادت بعض الدول فمدت يدها إلى بعض أجزائها واستولت عليها . ومن جملة هذه الدول إيطالية فإنها كانت ترمي منذ بعيد إلى الاستيلاء على طرابلس برقة ، وكانت تمهد لذلك وتهيئ الأسباب فانتهزت الفرصة مؤخراً وهاجمت طرابس وبنغازي بعد ما أرسلت

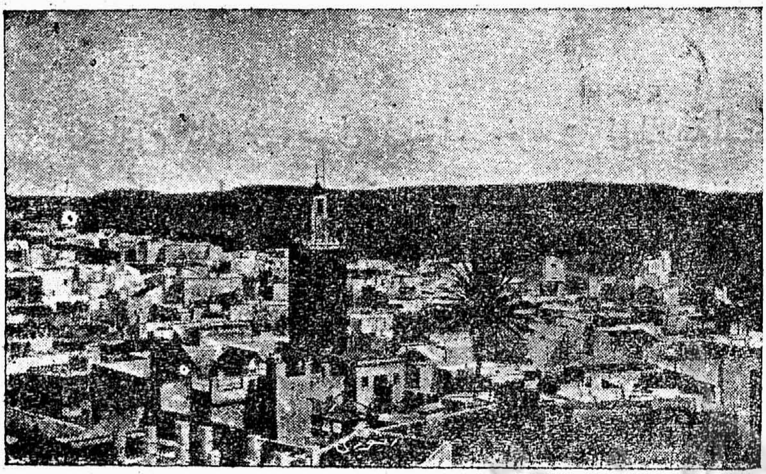
أسطولها البحري . ولم يكن في طرابلس قوة تتمكن من الدفاع والمقاومة . وبالرغم من ذلك تمكن بعض الضباط كأنور باشا وغيره من الفرار اليها والانضمام إلى بعض الأهلين ، واعلان التمرد ومقاومة ايطالية وظلوا على ذلك سنة كبدوا فيها الجيش المحتل خسائر فادحة حتى أنهم كانوا يحاربونه بنفس السلاح الذي يغنمونه منه .

ولما أعلنت دول البلقان الحرب على الدولة العثمانية ، لم تجد بدًا من تسوية أمورها ، فعقدت الصلح مع ايطالية وتنازلت لها عن طرابلس . ولكن الاهلين لم يرتدوا عن الدفاع عن أوطانهم . وظلوا يقاومون ويالحون الى زمن قريب معتصمين ببعض الملاجئ الطبيعية . إلا أن إيطالية منذ أعوام قليلة جردت عليهم حملة كبرى واستعملت أقصى أنواع التعسف حتى استطاعت القضاء عليهم وتشتيت صفوفهم .

تونس

تونس

■



« مدينة تونس » عروسة افريقية الشمالية بمناظرها الخلابة

الوصول

وصلت تونس ، عاصمة البلاد التونسية وعروسة الشمال الافريقي . وهي قائمة في عمق خليج تونس ، وعبارة عن مرفأ على ساحل البحر المتوسط . وصلتها بعد أن دخلت الباخرة التي كانت تقلنا وسط قنال بسيطة ، ثم لم تلبث أن ألقت مرساها بعد طول المسير . فنزلت مع المبحرين ، ونزل القبطان والطبيب للقيام بواجبهما من المعاينة والمحافظة على الصحة العامة . ولم أشعر إلا وأحد الموظفين يطلب الي أن أرضخ اليه بحوائجي

وأمتعتي ، ففعلت ، وماهي إلا ساعة حتى عاد بعدها يحمل إلي ما أخذه بعد أن طهره ٠

ركبت سفينة صغيرة تواً الى مصلحة الجمرك ، وهناك قام الموظف بتفتيش الحقائب ، ولما لم يعثر على شيء أعفانا من وجهه الجميل ، وأوامره اللطيفة ٠

وفي اليوم الثاني من وصولي إلى تونس خرجت إلى المدينة أستطلع أحوالها ، وأقابل معارفي فيها ، وأتصل بمفكريها ٠ والذي ابتدرني قبل كل شيء عمران المدينة ، وانتظام حركتها ٠ ولكنني لم أغتر بهذه المشاهد بعد ما علمتني السياحات أن جميع البلدان المحكومة على أمرها يدخل عليها بعض الاصلاح لا كله ، فترى المدينة أو العاصمة على شكلين متباينين ، شكلاً متمدناً راقياً ، عامراً بالبنايات والمؤسسات ، شديد الترتيب والنظافة ؟ وشكلاً قديماً تمله العين وتتقزز منه النفس ، لإهمال شأنه وقلة العناية به ٠ وهكذا تونس ، فالقسم الأوروبي فيها لا يقل رقياً وترتيباً عن كثير من بلدان أوروبة ، والقسم القديم لا يزال على حاله المعروفة منذ مئة سنة ٠

لمحة تاريخية

مدينة تونس من المدن العريقة في التاريخ ، يقال إن جماعة من الفينيقيين أسسوها في القرن التاسع قبل الميلاد ٠ وكان بناؤها بعد بناء مدينة قرطجنة بسنوات قليلة ٠ وبالرغم من أن ذلك يفتقر إلى إثبات ،

فإننا إذا علمنا أن الفينيقيين كانوا لا يقرّ لهم قرار ، ويواصلون الانتقال على الدوام من ساحل إلى ساحل حاملين مختلف التجارات ، وأن تونس كانت بطبيعتها من المراكز التجارية التي يمكن الاعتماد عليها ، إذا علمنا ذلك فلا نستبعد إنشاءهم لها . ويفيدنا التاريخ أيضاً أن هؤلاء الفينيقيين اتخذوا تونس أول مركز تجاري يصرفون فيه بضائع الهند وفارس والعراق والشام ، يقدمونها إلى البربر ثم يأخذون بدلاً منها الجلود والتبر والصوف وغيرها . ثم اتسعت تونس وامتد نطاقها حتى اتصلت بقرطجنة فكانت العمارة تلو العمارة والحديقة تلو الحديقة ، لكنها لم تستقل عنها سياسياً بل كانت ربطاً من أرباطها .

وذكر المؤرخ « كنراد منيرت » في كتابه « الجغرافية القديمة لبلاد البربر » : أن تونس كانت على الضفة الغربية من البحيرة المتصلة بالبحر ، وذلك على بعد سبعة أميال من « رادس » وكان الرومان يسمونها تونس . أما الأغريق فيدعونها « تشيش » . وكانت معروفة بشق عصا الطاعة ، والثورة على قرطجنة ، لذلك لاقت الشدائد ونزلت بها المصائب خصوصاً عندما كان يحاصرها القرطجنيون . ولقد تسنى لهم الاستيلاء عليها بعد أن جهزوا عليها جيشاً يقدر بمئتي ألف ونيف .

العرب في تونس

افتتح تونس حسان بن النعمان بن عدي بن بكر الازدي . فقد سار إلى جهة «أرطه». فقاتل الروم بفحص تونس حتى ضايقهم وأخرجهم

فكتبوا اليه يسألونه ألا يدخل عليهم بلادهم، وأنهم يقدمون له ما يفرضه من خراج عليهم، فأجابهم إلى ما طلبوا، ولكنهم عمدوا من ناحية الباب الذي يقال له « باب النساء » الى سفن كانت راسية هناك فوضعوا فيها أهلهم ومالهم ثم هربوا ليلاً مسلمين المدينة . فدخلها حسان بعدئذٍ، وبنى فيها مسجداً ثم خلف فيها بعض العرب وانصرف إلى القيروان . وفي هذه الأثناء أغار الروم من البحر على من بقي من المسلمين في المدينة، ولم يكن لهم ما يحصنهم من عدوهم، فأعملوا فيهم القتل والسبي، وغنموا كثيراً .

فلما بلغ ذلك حساناً رحل إلى تونس بعد ما أرسل أربعين رجلاً من أشراف العرب إلى عبد الملك بن مروان يستمده المعونة .

وصل الوفد، وبلغ رسالته، فعظم على عبد الملك ما سمع . وكان التابعون إذ ذاك كثيرين، فيهم اثنان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهما « أنس مالك وزيد بن ثابت » فبثا بين المسلمين أن من رابط برادس يوماً فله الجنة حتماً . ونصحا إلى عبد الملك بأن يمد تلك البلاد بالرجال، وينصر أهلها ليأمنوا غائلة العدو فيفوز بالثواب العظيم . وللحال كتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز والي مصر يومئذٍ، بأن يوجه إلى تونس ألف قبطي بأهلهم وولدهم، وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا إلى ترشيش . كما أنه كتب إلى حسان بن النعمان يأمره بأن يبني دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين، وأن يجعل على البربر جر الخشب لانشاء المراكب، وأن يصنع المراكب ويحارب

الروم في البر والبحر . وأن يغير على ساحل الروم كي يشغلهم عن القيروان فقام حسان بجميع ذلك خير قيام ووفق كل التوفيق حتى اعتز الإسلام وعاشوا في راحة وطمأنينة .

ولما كثرت الفتن الداخلية بالقيروان وعلم الأغالب أن لا قرار لهم بتلك العاصمة التي ما زالت فيها الأحزاب اليمنية والهاشمية تعمل عملها مناوئةً الحكومة المركزية ، زد على ذلك أنهم أيقنوا بأن الحامية الزنجية لن تغني عنهم شيئاً ، وأن قصور (رقادة والعباسية) قد زالت عنها مسحة الحصون فلا تنفع في رد غارات رعاع القيروان — اختار « أحمد بن الأغلب » أن ينقل الملك من القيروان إلى تونس ؛ وهكذا كان . ومن جملة الأسباب التي حملته على ذلك عدا ما تقدم ، أن القيروان نفسها لا تصلح أن تكون عاصمةً ما دامت الدولة العربية لا قبل لها على تأمين جانب البحر من هجمات الروم . ثم ان عاصمة تونس لم يكن فيها الا عدد ضئيل من العرب لا يصلحون للحرب ، وكذلك فليس فيها من البربر الا جماعة قليلة لا تكاد تحسن القيام بثورةٍ جديدة ، وليس فيها أحزاب عنصرية تدعو إلى العصبية المضرية ضد العصبية اليمنية أو بالعكس ، أو تدعو إلى فريقٍ من البربر ضد قبيلة الرستمية . وليس هنالك أحزاب دينية ، وجلّ ما فيها من السكان بقايا من الروم حلت بينهم الخيبة ، فمنهم من أسلم ، ومنهم من بقي على دينه . وليس باستطاعتهم أن يقوموا في وجه دولة بني الأغلب . وهناك سبب آخر هو أن موقع تونس الطبيعي حصين يدفع

عنها غارات العدو . فكانت هذه الاسباب الدافع لاختيار تونس عاصمة للأغالبة .

ويذكر التاريخ أن زيادة بن الأغلب هو الذي شيد جامع الزيتونة ، وسوّر تونس وقصبتها . وبنى سوق البركة الذي لا يزال حتى الآن ، وكان هذا السوق خاصاً ببيع الرقيق . وبنى أيضا بركة القيروان وبركة تونس .

ومما ذكره ابن ناجي في كتابه (معالم الإيمان) أن بني الأغلب جعلوا تونس روضة غناء . وقال البكري : إن بقبلي ميناء تونس قصراً مبنياً بالحجارة على غاية من الإتقان . وفي الجنوبي منه حائط من الصخر كسور فأصبح المدخل الوحيد للسفن ، وفي هذه الميناء بين حائط القصر وهذا السور قصر غربي العاصمة قرب الملعب غرسوا فيه الحدائق الغناء وهو من آثار بني الأغلب .

***

وكان العرب يطلقون على تونس وطرابلس والجزائر ومراكش ، وهي البلاد الواقعة في شمال افريقية عنوان افريقية . وهي في الأصل مستعمرة لبعض الفينيقيين الذين نزحوا إليها قبل الميلاد بعدة قرون . بنوا فيها مدينة قرطجنة ، وأنشأوا دولة هي شرقية باعتبار أصلها وإن كانت غربية في موقعها ، لأن أهلها ساميون ولغتها من اخوات اللغة العربية . أما أهل البلاد الاصليون فقد كان معظمهم قبل القرطجنيين من الجنس البربري يعتصمون بالجبال دأبهم النهب والسلب . ولما ذهب القرطجنيون وخلفهم الرومان ،

وجدوا أهل تلك البلاد طبقتين احداهما حضرية تتوطن السواحل فيما هو الآن مراكش والجزائر وتونس ، يتعاطون التجارة ، والاخرى تسكن الجبال والبادية . فسموا الاولى « الموريتانيين » والثانية « النوميديين » وكان الاخيرون من القبائل الرحل الاشداء فلم تقو الدولة الرومانية على إذلالهم ، بل كانوا كثيراً ما يهاجمون حاميتها في المدن ويعودون الى جبالهم وكذلك كان شأنهم مع فاتحي افريقية بعد الرومان . وما زالوا كذلك حتى جاء المسلمون وفتحوا إفريقية وأهلها طبقتان : أهل المدن وهم « الموريتانيون » ومن اختلط بهم من الأمم الفاتحة الروم والفندال وقد اعتنقوا النصرانية وتحضروا ، والثانية « النوميديون » وهم لا يزالون على بداوتهم وظلوا ممتنعين في جبالهم الى أواخر القرن الاول للهجرة ، وهم الذين يسميهم العرب قبائل البربر .

* * *

ومن جملة الدول الإسلامية في العالم دولة الأدارسة وعاصمتها مراكش (افريقية) حكمها عشرة ملوك من سنة ١٧٢ ـ ٣٧٥ ، ودولة الأغالبة ، وعاصمتها تونس وغيرها وعدد ملوكها أحد عشر دامت من سنة ١٨٤ ـ ٢٩٦ ، ودولة الزيرية وعاصمتها تونس وغيرها وعدد ملوكها ثمانية دامت من سنة ٣٦٢ ـ ٥٤٣ ، ودولة المرابطين وعاصمتها مراكش وغيرها ذات ستة ملوك ، دامت من سنة ٤٤٨ ـ ٥٤١ ، ودولة بني حفص وعاصمتها تونس حكمها ٢٢ ملكا ودامت من سنة ٦٢٥ ـ ٩٤١

* * *

ولم يكن للعرب معرفة بالملاحة فاستخدموا أولاً من كان في حوزتهم من الروم وفيهم أهل الصناعة والنوتية . فأنشأوا لهم السفن والشواني وشحنوها بالرجال والسلاح . وسموا مجموع السفن اسطولاً وهو لفظ يوناني (Stolos) عربوه . وجعلوا مقر أساطيلهم بحر الروم خاصة . واشترك في ملاحة البحر منهم أهل الشام وإفريقية واالاندلس . وأنشأوا دور الصناعة (ترسانة) في تلك البلاد لبناء السفن واعداد معداتها ، وأول دار للصناعة في الاسلام بنيت في تونس على عهد عبد الملك بن مروان ، فأمر عامله في إفريقية حسان بن النعمان بذلك ففعل وأنشأ السفن وجهزها بالعدة والسلاح وبعث بها المقاتلة لغزو صقلية فلم يتيسر لهم فتحها الا في أيام الأغالبة . ففتحها أسد بن الفرات على عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب ، وفتح ايضاً قوصرة (كما تقدم) . وقد بلغ أسطول إفريقية أيام عبد الرحمن الناصر في أواسط القرن الرابع للهجرة مئتي سفينة . وكل دار تبني أسطولاً عليه قائد ورئيس ، فالقائد يدبر أمر سلاحه وحربه ومقاتلته ، والرئيس يدبر امر جريه بالريح أو بالمجاذيف .

* * *

ولقد اتسعت أكناف الدولة العلوية وطالت مدتها فكان ابتداؤها حين ظهر المهدي بالمغرب في سنة ست وتسعين ومئتين . وانتهاؤها في سبع وستين وخمسمئة . وكادت هذه الدولة أن تملك ملكاً عاماً وأن تدين الأمم لها . وأول خلفائها المهدي بالله ، وهو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن إسماعيل الثالث ابن أحمد بن إسماعيل الثاني ، بن محمد بن

إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق عليه الصادق (ع) ٠وقد روي نسبهم على صورة أخرى ٠ والصحيح أنهم علويون اسماعيليون صحيحو الاتصال وكان المهدي من رجال بني هاشم في عصره ٠ قيل انه ولد ببغداد سنة ستين ومئتين ٠ وقيل ولد بسلمية ٠ ثم وصل إلى مصر في زي التجار ، وأظهر أمره بالمغرب ٠ ودعا الناس إلى نفسه فمالوا اليه ٠ وتبعه خلق كثيرون ، وسلموا عليه بالخلافة ٠ وقويت شوكته وعظمت حاله ثم انفصل إلى أرض القيروان وبنى مدينة سماها «المهدية» واستقر بها ، وملك إفريقية وبلاد المغرب وتلك النواحي جميعاً ٠ وتوفي سنة اثنتين وعشرين وثلثمئة ثم تسلم الخلافة منه واحد بعد واحد حتى انتهت النوبة إلى العاضد آخر خلفائهم ٠

* * *

ونرى الواجب يدعونا ونحن نكتب عن تونس أن نخصص فصلاً لعلامتها الكبير الذي كان له الفضل العميم في التاريخ والحركة الفكرية وهو العلامة ابن خلدون أحد مفاخر العرب في تراثهم العقلي ٠

ولد ابن خلدون في تونس في عهد الدولة الحفصية من أسرة عربية عريقة اشتغل جل أفرادها بالعلم ، وكان أبوه عالماً مشهوراً بين قومه ، ومن ذوي المناصب الرفيعة والمكانة الممتازة ، وبالرغم من أنه نشأ وتعلم على طريقة علماء عصره فإن نزعة التجديد كانت تلازمه دائماً ٠ ولذا فقد كان في خلاف مستمر مع كبار علماء ذياك العهد ٠ ومنهم الإمام ابن عرفه واضع تعاريف الفقه ، والإمام الأبي والبرزلي وغيرهم من الأعلام

الذين تزعموا الفكر والثقافة آنئذ . فإنهم أقضوا مضجع ابن خلدون واضطروه إلى ترك وطنه ، بعد أن كان يشغل فيها منصباً رفيعاً هو منصب العلامة أي «الطغراء» التي توقع بها مراسيم الدولة، وانتقل عقب هذا الى بلاد التراب «الواحات الواقعة بين تونس والجزائر» وهناك تمكن أن يضع أول جزء لمقدمة تاريخه المشهور ، ثم انتقل الى تلمسان وخدم حكومتها ، فالى بلاد الأندلس حيث أشغل منصباً رفيعاً في سلطنة بني الاحمر ، وعاشر عباقرة علماء هذه الأقطار ، وزامل أكابر الساسة فيها وآب إلى وطنه بعد سنين حيث أُعيدت اليه مناصبه ومنزلته في الدولة ، ولكن عاصفة الحقد عليه من خصوم مذهبه في العلم لم تهدأ بل اشتدت ثائرتها ففضل مغادرة البلاد إلى الشرق بحجة الحج ، وصل إلى مصر في عهد الظاهر برقوق ، ومازال بها حتى تقلد منصب قاضي القضاة . فأحدث اصلاحاً عظيماً في القضاء والتشريع ، وسافر إلى سورية في طريقه إلى الحج ، واجتمع بالطاغية (تيمورلنك) مقوض المدنية العباسية في الشرق والذي حاول ان يستخدمه ويصطنعه فلم يفلح . وقد تسلل منه وقفل راجعاً الى النيل ، وكان يهم بالرجوع الى وطنه لولا أن وافته الانباء بغرق اسرته في (جون الكبريت) على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، نغشيته كآبة من الحزن حتى ادركته الوفاة ودفن في القاهرة .

دولة بني خرسان

ذكر ابن خلدون وغيره من المؤرخين أن دولة بني الأغلب لما ضعفت وصارت البلاد إلى الفوضى ، وقسمت إلى امارات عديدة ،

ذهب جماعة منهم إلى ملك بجايا التاجر بن علناس بن حماد ، وطلبوا منه أن يولي عليهم رجلاً متصفاً بالعدل ، معروفاً بحسن السياسة والكياسة ، فولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خرسان (سنة ٥١٠) وكان عاقلاً مفكراً عالماً بالأمور السياسية ، فنهض بالبلاد وأدخل عليها الإصلاحات وخلف من بعده ذرية صالحة منهم أحمد وكان مقداماً ، تخلق بأخلاق الملوك ، فأصبح الناس يقصدونه من أقصى الجهات . وقد شيد أسواراً هائلة وقصوراً فخمة ، وجامعاً صغيراً ، وشاد خندقاً حول السور تجري فيه المياه . وهذا الخندق محيط بالمدينة دفعاً لهجمات المعتدين . وأما أبواب السور الداخلي فهي العم وهو باب السويقة الآن والسويقة هي السوق الصغيرة التي أسسها محرز بن خلف في أواخر القرن الرابع بأمر الأمير الصنهاجي المعز بن باديس . ثم ان الأمير أصدر أمره في ربيع الثاني من سنة ٤١٧ هجرية بايجاد الحمام وغيره . وباب البنات صفة لبنات بني خرسان وباب المنارة من بناء الموحدين بعد دولة بني خرسان . ويوجد داخل السور عدة حارات تحتوي على قصور جميلة ما تزال آثارها بادية حتى الآن .

وفي هذه المحلة يقوم الجامع الكبير الذي أنشأه بنو خرسان على انقاض كنيسة رومية . وأشهر هذه الأسواق هو « القصيرية » الذي يسمى اليوم سوق (اللفتة) ولا تزال آثاره ظاهرة .

وهناك مقبرة قديمة العهد يرجع تاريخها للقرن الثالث للهجرة . وأضيفت اليها مقبرة سيدي عبد الرحمن . وأما الحارة الثانية فهي أقدم

محلة في تونس . وفي ذاك الحين أمر الوالي أن تشاد محلة لليهود خيفةً من التعدي عليهم ، ولا تزال تحمل اسمهم إلى الآن .

وسكان تونس في عهد بني خرسان كانوا خليطاً من العرب ؛ وقد أتت عليهم أدوار ثلاثة مختلفة : أولها المضرية التي جاءت عند الفتح الاول وكانت هي الآمرة الناهية . والدور الثاني القحطانية اليمنية . والدور الثالث بدوء عرب بني هلال وبني سليم وبني زيادة ، وهم الذين هجموا على إفريقية عام ٤٤٣ هـ .

ومن جملة سكان تونس جماعة من البربر ومن صنهاجة ، وبقية من الروم القدماء . وحافظت هذه الطوائف على عاداتها .

والذي يمكن استنتاجه من تاريخ تونس أنها كانت على الدوام دار فتن وحروب ، ولقد مرّت عليها أدوار سياسية مختلفة إلى أن استولى عليها العثمانيون ، ثم الفرنسيس .

جغرافيتها

مساحة تونس ١٦٧ ٤٠٠ متر مربع . وعدد سكانها مليونان وتسعمائة ألف نسمة ـ منهم مئة ألف من الايتاليين ، وخمسة وسبعون ألفاً من الإفرنسيين ، وخمسون ألفاً من اليهود ـ أما المسلمون فيربون على المليونين وربع بين عرب وبربر وأتراك ، وهم قليلون ، جاءوا هذه البلاد ثم استعربوا على طول العهد .

ويحيط تونس سلسلة من الجبال ، تبتدىء من جبل أبي قرين حتى

حمام الأنف ، وتنتهي في جبل كرت . وارتفاعها خمسمئة كيلو متر ، ماؤها من عين زغوان التي تبعد عنها ثلاثين كيلومتراً ، وهي تسقي تونس وملحقاتها ، وماؤها سلسبيل يشفي العليل .

وأكبر أنهار تونس ، يسمى نهر وادي محرره منبعه من الجزائر ومصبه في البحر الأبيض ، وينتهي في قرية غار الملح .

وهناك وديان ولكنها قليلة ، منها وادي (زورد) و (مليان) . وسبب قلتها أن الأراضي التونسية منبسطة .

ويحدها من الشمال إلى الشرق البحر الأبيض المتوسط ، ومن الغرب الجزائر ، ومن الجنوب الصحراء ، ومن الجنوب الشرقي طرابلس الغرب .

ومساحة المواصلات في البلاد التونسية تبلغ خمسة آلاف كيلو متر في السيارات ، وثلاثين ألف كيلو متر في السكة الحديدية . ومساحة الأراضي الزراعية مليون ومئة وسبعون ألف هكتار ، تزرع بمختلف أصناف الحبوب . ويبلغ عدد أشجار الزيتون عشرة آلاف شجرة ، أما النخيل فعدد أشجاره عظيم ، لان تونس تصدر من التمر سنوياً ٣٢٨٣ ألف طن ، وربما زادت أصناف التمر على مئة . وفيها كثير من المناجم كالحديد والرصاص والزنك ، والحكومة تصدر منها مقادير كبيرة تدر الملايين من الذهب .

تقسيماتها الإدارية

تقسم البلاد التونسية إلى ثمانية عشر أيالة ، منها محافظات وقائمقاميات وذلك على الوجه الآتي :

اسم المحافظة	اسم المراقبة	ادارة العمل
	(الجهة الاولى)	
بنزرت	بنزرت	بنزرت
	ماطر	ماطر
باجة	باجة	باجة
طبرقة	عين دراهم	عين دراهم
سوق الاربعا	سوق الخميس	سوق الخميس
	(الجهة الثانية)	
تونس	الاحواز	تونس
زغوان	زغوان	زغوان
قربنالية	نابل	نابل
	سليمان	سليمان
	(الجهة الثالثة)	
الكاف	الكاف	الكاف
	تاجروين	تاجروين
تبرسق	تبرسق	تبرسق
مجاز الباب	مجاز الباب	مجاز الباب
مكثر	اولاد عيار	مكثر
	اولاد عون	سليانه
	(الجهة الرابعة)	
سوسة	سوسة	سوسة
	المهدية	المهدية
	المنستير	المنستير
سوسه	السواس	سيدي نصر
تالته	الفراشيش	تالته

اسم المحافظة	اسم المراقبة	ادارة العمل
	ماجر	سيطلة
القيروان	القيروان	القيروان
	جلاص	جلاص
	(الجهة الخامسة)	
صفاقس	جنبيانه	جنبيانه
	الصخيرة	غرايبة
جربة	جربة	جربة
توزر	الجريد	توزر
قابس	الاعراض	قابس
قفصة	قفصة	قفصة
	الهامة	سيدي بوزيد

الدوائر العسكرية

دائرة قبلي	عمالة مطاطة
	« تفزادة
« فدنين	« ورغمه
	« نطاوين

وتنقسم الايالة التونسية الى تسع عشرة مراقبة وستة وثلاثين عمالة ، واليك بيانها :

محافظة	عمالة	محافظة	عمالة
	الجهة الاولى	مراقبة باجه	باجه
مراقبة بنزرت	بنزرت	مراقبة طبرقه	عين دراهم
	ماطر	سوق الاربعا	سوق الاربعا

محافظة	عمالة
الجهة الثانية	
	سوق الخميس
الكاف	الكاف
	تاسروين
مكثر	اولاد عيار
	اولاد عون
تبرسق	تبرسق
مجاز الباب	مجاز الباب
الجهة الثالثة	
محافظة تونس	عمالة احواز
قرنبالية	نابل
	سليمان
زغوان	زغوان
الجهة الرابعة	
سوسة	سوسة

محافظة	عمالة
	المنستير
	المهدية
	السواسي
القيروان	القيروان
	جلاص
ثالثة	ماجز
	الفراشيش
الجهة الخامسة	
صفاقس	صفاقس
〃	جبنيانه
قفصة	عيالة قفصة
〃	الحامة
قابس	الاعراض
توزر	الجريد
جربه	جربه



صاحب السمو احمد باشا باي تونس



صاحب السمو السيد الامين باي
احد افراد الاسرة المالكة



صاحب السمو السيد عز الدين باي
من الاسرة المالكة



السيد سعيد زكارياء
امير الاي الحرس الملكي



سعادة السيد يونس حجوج
مدير التشريفات والمترجم الاول بالسراي

حكام تونس

الحاكم الأعلى الشرعي في تونس هو الباي . وهي كلمة بمعنى بك الفارسية ومعناها أيضاً الأمير . واصطلح إطلاقها على حكام تونس وحدهم ، واختصت بها العائلة الحسينية لمؤسسها المغفور له حسين باشا .

وباي تونس اليوم هو الامير أحمد باشا بن علي بك ، التركي الأرومة ، الكريدي المنبت ، الذي هبط البلاد في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة ضابطاً ثم عين حاكماً عسكرياً لمقاطعة الكاف . ولما ثار التونسيون عام ١١١٧ على حكامهم المراديين وقع اختيارهم عليه أميراً لهم وكتبوا بذلك إلى الباب العالي الذي لم يتأخر عن تثبيته ومنحه رتبة باشا . وصدر بذلك فرمان جاء في مضمونه أن تكون الأمارة وراثية في عقبه وهكذا ظل الامراء التونسيون يعينون بفرمانات سلطانية عثمانية .

ولما احتلت فرنسة البلاد التونسية عام ١٨٨١ وثبتت قدمها فيها بماهدتها مع الحكومة التونسية ، انقطعت الصلات السياسية بين قصر يلدز والقصر السعيد على أنهم ظلوا يخطبون باسم الخليفة الثاني في جميع المساجد حتى إعلان الحرب العامة سنة ١٩١٤ .

وأحمد باشا هو الباي السابع عشر من الاسرة الحسينية . وهم حسين باشا الأول ، فعلي باشا ، فمحمد باشا ، فعلي باشا الثاني ، فمحمود ، فعثمان فمحمود ، فحسين ، فمصطفى ، فأحمد ، فمحمد ، فمحمد الصادق - وفي عهده احتل الفرنسيون تونس - فعلي ، فمحمد الهادي ، فمحمد الناصر ، فمحمد الحبيب ، فالأمير الحالي . ولقد بويع بالأمارة في ١١ شباط ١٩٢٩ إثر

وفاة ابن عمه الأمير الحبيب . وهو في السادسة والسبعين من العمر ، ويعد من أكبر الأغنياء لأن ثروته تبلغ الملايين ورث معظمها عن والده . ثم إنه قليل الكلام ، ذو دين ، يحب الاقتصاد وكنز المال ، ويقطن مع عائلته في المرسي الذي يعد من أفخم قصور تونس . وهو لا يعرف اللغة الفرنسية ولا غيرها من اللغات الأجنبية ، لكنه يجيد العربية .

الوزراء

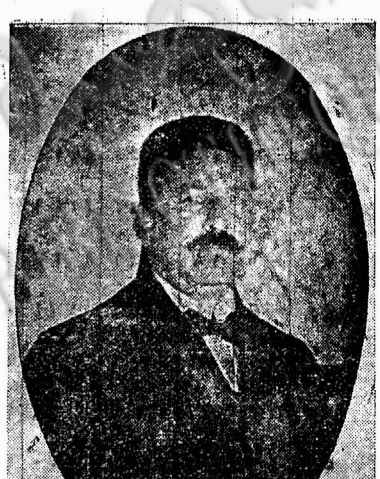
إن وزراء حكومة تونس ثلاثة من الوطنيين ، والباقون من الأجانب أما الوطنيون فهم : رئيس الوزراء ، ووزير العدلية ، ووزير الداخلية والوزراء الفرنسيون هم المندوب الفرنسي ، ثم وزير الخارجية — وهو كمستشار لسمو الباي ، ووزير الحربية — وهو قائد الجيش عموماً — ووزير البحرية . والدوائر الرسمية عامة يديرها مديرون فرنسيون . فتراهم في المعارف والزراعة والمالية والاشغال العامة والبرق والبريد .



السيد محمد العجيمي سكرتير مجلس الوزارة



السيد الهادي الاخوة وزير العلم والاستشارة



سعادة السيد الشاذلي عقبى محافظ مدينة تونس



الامير ابراهيم بن عياض

بيان سلاطين الدولة الحسينية

الذين جلسوا على عرش تونس

	تاريخ ولادتهم	تاريخ ولايتهم	تاريخ وفاتهم	مدة ملكهم	الشهر	تاريخ أعمارهم
علي حسين التركي جد العائلة الحسينية لم يستول على الملك انما كان عاملاً على لواء الكاف						
السلطان حسين بن علي التركي مؤسس العائلة الحسينية سنة ١١١٧	١٠٨٠	١١١٧	١١٥٣	٣٦	٠	٧٣
ابن أخيه الباي علي بن محمد بن علي ابن عمه	١١٠١	١١٥٣	١١٦٥	١٦	٠	٦٨
الباشا محمد الراشد بن حسين بن علي	١١٢٢	١١٦٩	١١٧٢	٢	٦	٥٠
أخوه الباشا علي بن خسين بن علي	١١٢٤	١١٧٦	١١٩٦	٢٤	٠	٧٢
ابن الباشا حموده باي	١١٧٣	١١٩٦	١٢١٩	٢٢	٣	٥٦
أخو الباشا عثمان باي	١١٧٦	١٢٢٩	١٢٣٠	٢٢	٢	٥٤
الباي محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي	١١٧٠	١٢٣٠	١٢٣٩	٩	٠	٦٩
ابن الباشا حسين الباي	١١٩٣	١٢٣٩	١٢٥١	١٢	٢	٥٩
اخو الباشا مصطفى الباي	١٢٠١	١٢٥١	١٢٥٣	٢	٦	٥٢
ابن عمه المشير الأول أحمد باشا باي	١٢٢١	١٢٥٣	١٢٧١	١٨	٢	٥٠
ابن عمه المشير الثاني محمد باي	١٢٢٦	١٢٧١	١٢٧٦	١٤	٥	٥٠
أخوه المشير الثالث محمد الصادق باشا باي	١٢٢٩	١٢٧٦	١٢٩٩	٢٣	١٠	٧١
أخوه الباشا علي باي	١٢٣٣	١٢٩٩	١٣٢٠	١٩	٢	٨٧
ابنه الباشا محمد الهادي باى	١٢٧١	١٣٢٠	١٣٢٤	٤	٣	٥٣
ابن عمه الباشا محمد الناصر باي	١٢٧١	١٣٢٤	١٣٤٠	١٦	١٠	٦٩
ابن عمه الباشا محمد الحبيب باشا باي	١٢٩٠	١٣٤٠	١٣٤٦	١٦	١٠	٦٩

حواضر تونس

تونس

تنقسم مدينة تونس إلى قسمين : قسم يدعى الحي الفرنجي ، وقسم يدعى الحي العربي . أما الاول فقد امتدت اليه يد الحضارة ، وأمحت منه آثار القدم ، الأرصفة معبدة ، والقصور شاهقة ، والشوارع فسيحة ، والأشجار الباسقة مصطفة في جوانبها ، متصلة حتى الشارع القديم المسمى بشارع الجسر . والجزء الأخير منه يسمى شارع فرنسة وطوله لا يقل عن ثلاثة آلاف متر ، وعرضه نحو ستين متراً . وهذا الشارع مقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم لمروز العجلات والترام ، وقسم متنزهات عامة تعزف فيه الموسيقى غالباً ، قد ضم الفنادق والمقاهي . ويقوم فيه قصر المندوب الفرنسي الملقب بالمقيم العام ، تقابله كنيسة كبرى . والقسم الأخير أعد للمحلات التجارية والدور الفخمة ، ويقطع هذا الشارع الكبير شارع آخر أقل منه اتساعاً ، ثم شارع قرطجنة . وفي هذا القسم قامت دوائر الحكومة ودوائر البرق والبريد . وفي أوله تمثال الوزير الفرنسي المشهور (جول فري) الذي أدى لوطنه خدمة عظيمة في إعلان حمايتها على تونس . ويقابله تمثال آخر لإيطالي معمر ينظر اليه نظرة إعجاب ، وتمثال فتاة عربية بيدها غصن نخيل تقدمه له شاكرة !!! .

أما الحي العربي ، أو المدينة القديمة ، أو ما شئت فقل ، فقد أهمل كل الاهمال ، وترك في أسوء الأحوال . يحاطه سور كبير ، وله عدة

أبواب . وبالنظر لاهمال الشوارع فإن الغريب يلاقي صعوبات جمة في التجول والتنقل .

ويسمون الزقاق « زنقة » والشارع « نهجا » . ويرتدون اللباس الأبيض النظيف . وهم في ذلك سواء ، الغني والفقير .

وفي الحي العربي قلعة قديمة ، يقوم بجانبها قصر الباي ، ودوائر الوزراء الوطنيين ، ومحكمة الاستئناف العليا ، والمحاكم الشرعية والنظامية والسراي تضم مكتب سمو الباي الذي يحضر في الاسبوع مرتين الخميس والاثنين ، فيوقع الأوراق الرسمية . ولما زرت السراي وجدت فيها زخرفة بالفسيفساء ، وقاعة متسعة جميلة تحت قبة عالية جدرانها مبرقشة .

***

ومن أهم الجوامع في تونس جامع حمود باشا . وهو ذو قبة مرتفعة نقشت فيها نقوش عربية تدهش الأبصار ، لدقة صناعتها ، وذو أعمدة من الرخام ، وقد غطي سقفه بأجمل النقوش وأروعها .

ومن مدارسها مدرسة الصناعة المختصة بالفتيات تعلمهن كثيراً من الصناعات النافعة في تدبير المنزل وفي كسب المعاش ، أمثال الخياطة والتطريز وعمل السجاد وغير ذلك . وهنالك المدرسة الصدقية ، وهي أهلية أسست منذ سبعين سنة ، تدرس مختلف العلوم والفنون ، ويديرها أساتذة بارعون ، تخرج فيها حتى الآن عدد وافر ممن استلموا مقاليد الامور في البلاد . ويوجد أيضاً كلية للآداب ، تعلم اللغتين العربية والفرنسية يتخرج فيها المترجمون الذين تستخدمهم الحكومة في مختلف

الوظائف . ومن جملة المدارس المدرسة الصادقية التي أسستها الأميرة عزيزة وهي تعنى بالعلوم العصرية .

أما جامعة الزيتونة الشهيرة فهي في مكانتها لا تقل عن الجامع الأزهر في مصر ، لأنها منارة تشع أنوارها على مختلف الأرجاء ، وتخرج كل عام كثيراً من الطلاب في الفقه وغيره من العلوم الشرعية . وأساتذتها يبلغون الأربعين ، وفي العهد الاخير أدخلت عليها إصلاحات جمة ، كما أدخل على الازهر ، فكان لذلك ضجة كبرى لان هناك كثيرين ممن لا يزالون يحافظون على القديم ، ويرون في كل تغيير خرقاً للدين ، وإغضاباً للتقاليد ، والذي علمته أن عدد الطلاب الذين يقصدون جامعة الزيتونة من أنحاء المغرب والجزائر يبلغون الخمسمئة .

ولهذه الجامعة مكتبة ثمينة تقوم في صحن الجامع المبلط بالرخام . وفي إحدى جوانبها المكتبة العمومية المسماة بالعدلية . ويرجع فضل تأسيسها إلى المغفور له خير الدين باشا . وعدد المجلدات في المكتبتين خمسة عشر ألف مجلد تقريباً ، بينها كثير من المخطوطات .

***

وفي تونس كثير من الجمعيات منها الجمعية الاستشارية ، وهي نواة الجمعية التجارية والجمعية الزراعية في الجزء الشمالي ، والجمعية المختلطة للجزء الاوسط ، والجزء الجنوبي . وأعضاء هذه الجمعيات الفرعية من المواطنين والفرنسيين معاً ، يشرفون على أحوال التجارة والزراعة ويجتمعون لعقد الجمعية الاستشارية التي لها قوانين خاصة ولها صفة رسمية

لدى أولياء الامور ، وينضم اليها أعضاء من وكلاء المجالس والبلديات ورؤساء المصالح الفرنسيين ،وتاريخ تأسيسها عام ١٨٩١ وحدد اختصاصها بأمر المندوب السامي .

وأنشأ بعض الأفاضل جمعية أسموها «الجمعية الخلدونية» نسبة لابن خلدون . وذلك في جمادى الثانية سنة ١٣١٤هـ ١٨٩٦م . وغايتها تعليم مبادئ العلوم العصرية والعناية بالتربية . وقد أنشأ القائمون بأمرها مكتبة خصوصية . وأتيح لي التعرف إلى أعضائها فوجدتهم مثال الغيرة والشهامة والتضحية . وفي خلال وجودي بينهم أقاموا حفلة ذكرى لابن خلدون حضرتها مع الزميل الفاضل صاحب جريدة النديم . وقد اشترك في الخطابة بعض الفرنسيين .

* * *

والمستشفيات في تونس كثيرة وهي ما بين إفرنسية وايطالية ووطنية ، وأحسنها المستشفى الصادقي الذي أسسته الأميرة عزيزة من العائلة المالكة وهو يتفوق على سائر المستشفيات اعتناء ونظاماً وفائدة .

* * *

نظارات تونس

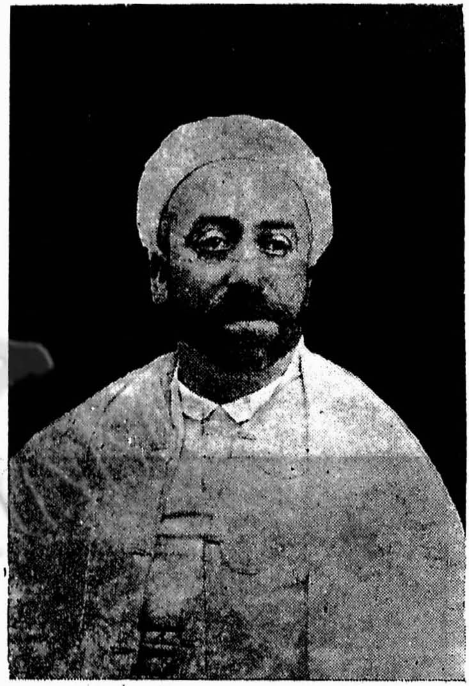
النظارة العلمية المالكية

شيخ الإسلام هو العلامة سيد أحمد بيرم . والقاضي الحنفي الشيخ محمد رضوان . والباش مفتي العلامة الكبير سيدي محمد الطاهر بن عاشور ، والقاضي

المالكي الشيخ محمد صادق النفير . ولقد أسعدني الحظ بزيارتهم جميعاً ، فسعدت بأحاديثهم المفيدة ، واكتسبت من أخلاقهم الرضية ، ولن أنسى فضل العلامة الطاهر بن عاشور الذي أبت عليه مروءته الا أن يدعوني الى حفلة شاي خرجت منها وقد زدت به إعجاباً لأني أدركت جيداً أنه عالم فاضل عامل ، جمع بين القديم والحديث ، أمدّ الله في حياته ووفق إخوانه لخدمة الوطن والدين .



العلامة الشيخ أحمد بيرم شيخ الاسلام للمذهب الحنفي في تونس



العلامة الكبير الشيخ السيد محمد طاهر بن عاشور شيخ الاسلام في البلاد التونسية

النيابة الوزيرية

هي مؤلفة من النائب الأول الشيخ سيدي صالح المالقي ، والنائب الثاني الشيخ سيدي محمد بن القاضي .

جامع الزيتونة

للجامع أربعة أئمة هم : الشيخ سيدي حمدي الشريف الإمام الأكبر ، الشيخ محمود بن محمد محسن الإمام الثاني ، والشيخ علي بن محمد محسن

الإمام الثالث ، والشيخ الهادي الشريف الإمام الرابع .

دار الشريعة المطهرة

لدار الشريعة ديوان ذو نظام داخلي تحت نظارة فضيلة شيخ الإسلام .

أما المجلس الحنفي فمؤلف من الشيخ سيدي محمد بن يوسف ، الشيخ حسن بن الخوجة ، الشيخ محمد الطيب بيرم ، الشيخ أحمد بن مراد ، والقاضي الشيخ محمد رضوان .

والمجلس المالكي مؤلف من الشيخ سيدي ابراهيم المارغني ، والشيخ عبد العزيز جعيط ، والشيخ بلحسن النجار ، والشيخ عبد الرحمن البناني والقاضي الشيخ محمد الصادق النفير .

***

النظام القضائي

يوجد في تونس محاكم نظامية ابتدائية ومحكمة استئنافية . ووظيفتها النظر في القضايا الحقوقية والجزائية . أما في الألوية فإن كل محافظ أو «عامل» يمكنه إصدار الحكم القطعي حسب اجتهاده في الدعاوي التي لا تتجاوز حدّ خمسمائة فرنك . والا فإن المحكمة الابتدائية تنظر فيها ومحكمة الاستئناف مركزها في تونس ، ومحكمة التمييز في باريس . والقضايا العقارية كانت فيما مضى من اختصاص المحاكم الشرعية مهما تكن جنسية المتخاصمين . أما اليوم فقد أصبحت من اختصاص المحاكم الفرنسية بناء على المرسوم الصادر في يوليو سنة ١٨٨٧ .

المحاكم العدلية

أسست هذه المحاكم بأمر عالٍ في شوال ١٣٥٤هـ ٨ مارس ١٨٩٥م على أن تكون في المدن الكبيرة كتونس وصفاقس وسوسة وقفصه وقابس والقيروان والكاف . وكل محكمة تؤلف من عضوين . ويمكنها الحكم في القضايا المدنية والتجارية بين التونسيين من مسلمين واسرائيليين . ثم تستأنف أحكامها الى المحكمة العدلية في الوزارة التي تصدر حكمها القطعي بموجب الحجج والبينات . وصلاحية المحاكم المدليـة هي كما أسلفنا لا تتجاوز الأحكام التي تبلغ خمسمائة فرنك ، والحبس مدة عامين . أما المسائل الهامة فيرجع أمر البت فيها الى محكمة الوزارة بتونس وهي مؤلفة من رئيس وقاضيين .

المحاكم الشرعية

إن نظام هذه المحاكم يشبه نظامها في سورية . فهي ذات مجالس شرعية مؤلفة من رئيس وقاضيين للفصل في قضايا الأحوال الشخصية كالوراثة والزواج والطلاق . وفي تونس مذهبان الحنفي والمالكي ، ولكل منهما مجلس خاص يترأس عليه مفتي ، وأغلب السكان على مذهب الإمام مالك .

الجيش التونسي

كان لتونس قبل الاحتلال الفرنسي جيش لا يقل عن خمسة وعشرين ألفا . ثم سرح هـذا الجيش وألغيت المدرسة الحربية والنظارة الحربية ،

وجعل قائد جيش الاحتلال ناظراً للحربية ، وأنشئت فرقة تونسية لحرس سمو الباي مؤلفة من ستمائة جندي . أما الجيش الفرنسي فيبلغ عدده عشرين ألفاً . والتجنيد إجباري من سنة ٢١ والخدمة ثلاثة أعوام . أما صاحب العائلة وخريج الزيتونة فيعفيان من الخدمة .

والعلم التونسي عبارة عن لون أحمر يتوسطه سيفان بيضاوان متقاطعان ويكاد يشبه العلم التركي .

المصايف

لتونس أمكنة للاصطياف لا تقل خطورةً عن مثيلاتها في سورية ولبنان . وأهمها مصيف المرس وهو يشرف على البحر ، ذو مناظر طبيعية رائعة ، وقصور فخمة، ومقاهٍ حاوية سائر أسباب الأنس والراحة ، يسافر اليه الناس بواسطة الترام الكهربائي بقيمةٍ زهيدة لا تزيد على عشرين قرشاً سورياً ذهاباً وإياباً . وهنالك أيضاً مصيف آخر يدعى مصيف حمام يقع في جنوبي تونس في قرية تدعى بنفس الاسم تبعد سبعة عشر كيلو متراً في القطار . ومما امتاز به هذا المصيف وجود عدة حمامات معدنية فيه، تسيل من سفح جبل شاهق ؛ ويوجد أيضاً (كازينو) وفنادق ومقاه ومطعم ودور جميلة . ولسمو الباي قصر خاص يختلف اليه ، كما أن فيه فرقة عسكرية ، ولعل سبب تسميته بحمام الأنف هو أن مياهه مفيدة في أمراض الحنجرة والأنف أو لان جبله يشبه أنف الإنسان . والأجانب يدعونه بحمام ليف شأنهم في تحريف الأسماء العربية .

واقد اتيح لي أن أزور حضرة صاحب السمو ولي عهد الحكومة التونسية ، في هذا المصيف ، وكان استقباله لي على غاية من اللطف والبشاشة . ولا غرو فهو أديب وعالم . ولقد تفضل فدعاني مرة ثانية الى حفلة شاي ، استطعت أن أتأكد فيها من روحه الديمقراطية وأخلاقه العالية .

المتاحف

أسست الحكومة في تونس بعد الاحتلال متحفا أسمته متحف بوردو وذلك في شعبان ١٣٠٥ . والذي أسسه هو المغفور له الباي محمد الباشا ، وهو في طرازه أندلسي ، يحتوي على كثير من آثار الرومانيين والقرطاجيين والأندلسيين والبرابرة والعرب .

أسواق تونس

سوق الترك ، البركة ، الربع ، القماش ، القوافي ، الجرابة ، البرانسيه ، النحاس ، الحديد ، نهج الحلفاوين ، العصر — سيدي عبد السلام ، البينواد — خارج باب القلعة ، الطمة — رحبة سيدي ناجي ، الرحبة الكبرى — شارع لايتيت ، البلاغجية ، الزيت - خندق القلعة ، العطارين ، الدباغين ، الصالة ، الصاغة ، الشوابشه ، العطارين .

مصارف تونس

بنك دولاجير (شارع رومه) . دوتونيزي (الصادقية) . فرانكو

تونيزيان (جول فيري) ٠ انباريال اوتمان (جول فيري) ٠ بوبيلير فرنس (قرطاجنه) ٠ اندو سزيال (رومه) ٠ التعاضد المالي (رومه) ٠ ايتاليو فرنسز (فرنسا) ٠ كمباني الجريان (رومه) ٠ كنتوار ناسيونال دي سكونت (رومه) ٠ كوبيراتيف ايطاليا (رومه) ٠ كوبيراتيف تونيزيان (القرانه) ٠ كربدي فونسي دولاجيري (فرنسا) ٠ كربدي لبولي (عنابه) ٠ كريدي مبتليانو (رومه) ٠ سوسيتي جنرال ٠ سوسيتي مارسياز ٠



السيد خليل ابو حاجب الوزير الاكبر في تونس

كلمة شكر

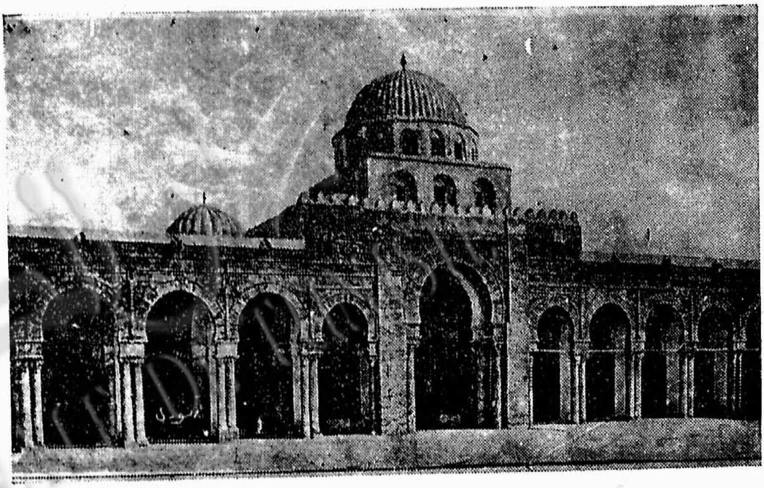
لا أستطيع وأنا أختم الكلام عن مدينة تونس إلا أن أرفع ألوية الشكر لمعالي رئيس الوزراء السيد خليل أبو حاجب الذي استقبلني لما زرته بكل ترحاب . وأدلى الي بحديث دلّ على سعة اطلاعه وشدة حميته على دينه ، وحرصه على مصلحة الاسلام في وجوب التعارف والتزاور . ولم يكتف بذلك فدعاني الى مأدبة دلت على كرمه وفضله ، جزاه الله عن العلم والأدب خير الجزاء وأكثر من أمثاله العاملين .

ولن أنسى أيضاً اليد البيضاء التي اتخذها عندي الرصيف المفضال صاحب جريدة النديم التونسية ، وهو الذي لم يكن يفارقني ، وكان همزة الوصل بيني وبين كثيرين أخص منهم بالذكر المقرون بالشكر حضرة الاستاذ صاحب مجلة العالم العربي ، والاستاذ السيد محمد المرساوي ، والوطني الغيور توفيق افندي المدني ، وحضرة الكريم محمد افندي الخوجه عامل بنزرت ، وعبد الجليل افندي الزاوش عامل سوسة ، وحسن أفندى عبد الوهاب ، ومصطفى أفندي أبو شوشه .



حفلة تكريمية في تونس لصاحب الكتاب

مدينة القيروان



مسجد القيروان الشهير في التاريخ

غادرت تونس إلى القيروان ، فمررت بأراض منبسطة شاسعة الأرجاء ، خالية من الوديان والجبال ، جملتها الطبيعة بمناظرها الجذابة ، وقبل الوصول لاحت لنا على بعد بضعة كيلومترات منارة مسجدها الكبير الذي شيد سنة ٥٠ هـ بمساعي الفاتح الشهير عقبة بن نافع . وكان أول ما خطر لي بعد وصولي زيارة هذا المسجد ، والحق أنه من المساجد الشهيرة يشبه مسجد قرطبة وإن كان أصغر منه ، قامت بجوانبه الأروقة ذات الأعمدة الرخامية ، وبين هذه الأعمدة سدود أقامها بعض الناس ، إلا أن جمعية الأوقاف أزالتها حديثاً . ويحتوي على خشب دقيق الصنعة ، وبعض

مخطوطات قديمة سرق منها طائفة ، كما علمت ، فلم يبق إلا القليل ٠

ويوجد خارج المدينة حياض كثيرة يدخرون بها الامطار، ثم تسيل هذه المياه إلى صهاريج خاصة بجانبها ، وأخص هذه الحياض حوض « الأغالبة » الذي بناه محمد بن الأغلب سنة ٢٣٧ هـ وهو عبارة عن «فسقية» مستديرة يبلغ قطرها مئة كيلو متر أو أكثر ، وعلى جوانبها ثقوب محكمة توصد وتفتح بنظام خاص ، وفائدتها تصفية المياه ٠ ولا شك أن مثل هذه الهندسة تنم عن ذوق العرب وطول باعهم في فن العمار والهندسة ٠

ويوجد بجانب الجامع مقبرة تضم رفات المسلمين المستشهدين إبان الفتح الإسلامي ٠

وللقيروان شهرة في التاريخ ٠ فقد كانت عاصمة البلاد الافريقية في عهد الأمويين والعباسيين وبني الأغلب ٠ وما زالت كذلك حتى بنى عبد الله المهدي مدينة المهدية ونقل اليها دواوين الحكومة عام ٣٠٨ هـ ٠ وما زالت أيضاً على ضخامتها إلى زمن المعز بن باديس الصهناجي حيث أخذت بالتقهقر ٠

ومن القيروان سافر الفاتح العربي طارق بن زياد لفتح الأندلس سنة ٩٢ هـ ٠ ومنها سارت الجيوش على سوسة لفتح جزيرة صقلية بأمر زيادة الله الاغلبي وقيادة قاضيها أسد الله عام ٢١٢ هـ ٠ وفي أواخر القرن الأول كانت القيروان عاصمة مملكة كبرى تمتد من جنوب فرنسا الى

بلاد برقة وطرابلس وصقليه ومالطه وجزء من سردينيا وبعض جهات ايطاليا الجنوبية

لم يدخل على القيروان من روح التجدد الا القليل الذي لا يذكر حتى أن أسواقها لم تزل على وضعها القديم . والناظر الى المدينة يراها محوطة بسور قديم له أربعة أبواب من كل جهة باب .

وممن أسعدني الحظ بالاجتماع بهم في القيروان حضرة السيد الهادي المرابط عامل مدينة القيروان ، وحضرة الحاج الصغير نقرة عضو مجلس الامة وعضو المجلس البلدي ، والوجيه الذي عرف بدماثة الخلق ورحابة الصدر .



السيد الهادي المرابط عامل مدينة القيروان



الحاج صغير نقرة عضو المجلس البلدي في القيروان

اما التجارة فمتوسطة الحركة ، واما الحركة العلمية فلا تسر اذ ليس هنالك سوى بضع مدارس ، والبلدة من حيث العموم زراعية ومناخها معتدل .



السيد حسن حسني عبد الوهاب
عامل المهدية وأحد مفكري البلاد التونسية

بلدة المهدية

زرت هذه البلدة ، فاجتمعت مع معاون عاملها الفاضل السيد محمود الباجي .

ولم أجد فيها ما يستحق الذكر سوى القلعة والسور ، فكنت أردد في نفسي : حقاً ان حياة البلاد تشبه حياة الافراد ، فيوم عز ويوم بؤس . وهذه البلدة التي شيدها عبد الله المهدي وأسماها على اسمه ونقل اليها الحكم عام ٣٠٨ هـ فازدهرت وانتعشت حتى صارت مقصد الكثيرين من مختلف الانحاء ، هذه البلدة التي كان يسكنها السلطان وجنوده وقام فيها قصره المنيف ، هذه البلدة التي يذكر التاريخ أنها ضمت في القرن الرابع الهجري مكتبة كبرى ـ ننظر اليها اليوم فنراها بسيطة ، ذهب عنها عزها ، وسقطت من أوج مجدها ، فسبحان المعز المذل .



«مدينة صفاقس» في القطر التونسي
وهي من اشهر المدن بما حوت من المناظر الطبيعية الفتانة



حضرة السيد سالم الصنادلي عامل صفاقس أحد مفكري تونس

صفاقس

ومن المهدية انتقلت الى صفاقس بواسطة السيارة ، فكانت المسافة ١٢٠ كيلو متراً . ولم أصلها الا ليلاً . وفي صباح الغد زرت العامل الفاضل السيد سالم الصنادلي ، فلقيت منه حسن الوفادة . واستطعت أن أطّلع بواسطة حضرته على التشكيلات الإدارية في اللواء . ذلك أن هذا اللواء يقسم الى ثلاث خليفات ، والخليفة تقسم الى عدة نواح يتولى أعمال كل منها شيخ القرية . والعامل هو ما ندعوه عندنا في سورية بالمتصرف أو المحافظ أو القائمقام . وشيخ القرية هو بمثابة مدير الناحية .

وصفاقس قديمة جداً يطلقون عليها بالرومانية (طباروره) وذكرها بطليموس باسم (تافروره) ويقول بعضهم : إن (صفاقس) كلمة منحوتة من (سيفاكس) الامير البربري الذي اشتهر بعداوته للرومان . وهي تبعد عن تونس مسافة ٢٢٥ كيلومتراً في السيارة . بنيانها عظيم ، وتجارتها واسعة ، تصدر على الاخص زيت الزيتون والفواكه .

وتتصل بمدينة قفصة بسكة الحديد التي أنشأتها إحدى الشركات الفرنسية لشحن الفسفاط من المناجم التي استكشفت في الجهات الغربية من قفصه .

أما اللواء فيعدّ من النفوس مئة وثلاثين ألف نسمة ، وصفاقس وحدها تعدّ ثلاثين ألفاً منهم ٣٢٦٥ يهود ، و ٧٤٦ طليان ، و ٢٣٣٣ فرنسيس ، والبقية من المسلمين وهي في عمرانها تشبه تونس ، ذات شقين يتسربل أحدهما بالعمران والآخر ما يزال متأخراً . ومع هذا فالطبيعة

هناك جيلة ، ويمكن القول : إن صفاقس أكبر منطقة زراعية في القطر التونسي .

وفي صفاقس مدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية ، ومدارس أهلية ، ومستشفى اميري

ومما أثلج صدري ، ولم أجد مثله في معظم البلدان التي زرتها ، ان التسول ممنوع في هذه المدينة ، لان الحكومة أوجدت ملجأ خاصاً للعجزة والمقعدين .

مدينة بنزرت

غادرت صفاقس إلى بنزرت . وكان أول من اجتمعت به فيها عاملها المفضال السيد محمد بن الخوجة أمير الامراء الذي أدى كثيراً من الخدمات لامته ونال عليها التقدير . ثم تعرفت إلى السيد عبد الرحمن اللازم عضو المجلس الكبير . وحضرته يملك مكتبة نفيسة .

أما المدينة فجميلة من حيث العموم ، هواؤها عليل وماؤها بليل ، وهي قائمة على البحر الأبيض المتوسط . ويقال ان تاريخها يرجع إلى ما قبل المسيح بمئات من السنين . ومؤسسوها هم الفينيقيون . وقد حكمها الرومان بضعة قرون ، ثم استولى عليها الروم البيزنطيون وظلوا فيها مئة سنة ، ولكنها انحطت في عهدهم بعد عزها ، وخملت بعد شهرتها . ومازالت كذلك حتى فتحها الإسلام . وذلك سنة ١٤ هـ . على يد معاوية بن صريج ، ثم دارت بها أدوار عديدة فحكمتها دول شتى ، منها الأغالبة والبرابرة والفاطميون والصهانجة والموحدون . وأخيراً انتقلت إلى

أيدي العثمانيين وتولى أمرها بعدئذ الحاكم حسين بن علي التركي ، وهو جد العائلة المالكة اليوم . وتلقفها الفرنسيون من أيديه .

وفي بنزرت كثير من الآثار الإسلامية ، منها الجامع الكبير الذي بناه محمود داي سنة ١٠٦٣ هـ والزاوية المصطارية التي شيدها مراد داي عام ١٠٨٤ ويوجد ضمنها زاوية للقادرية والعيساوية والسلامية والتيجانية والرحمانية .

وأسواق المدينة جميلة كلها . وعدد نفوسها عشرون ألفاً ، عدا القوة العسكرية المرابطة فيها . ويتجاوز عدد اليهود فيها على الألفين . ويقوم فيها كثير من الجمعيات الأدبية والفنية والرياضية والخيرية ، كما أن هنالك بعض مدارس ابتدائية وقانونية ومستشفى إسلامي يدعى مستشفى عزيزه عثمانيه .

ولقد امتازت بنزرت بنوابغها ، فإن التاريخ يذكر لنا كثيرين من العلماء العاملين الذين ظهروا تحت سمائها . منهم الفقيه الشيخ عثمان العجمي الذي ولي القضاء سنة ١٢١٦ والفقيه الشيخ محمد الجامع .

وقاضيها المعاصر هو الاستاذ الشيخ محمد النفطي ، ولي القضاء عام ١٣٤٤ هـ . ومفتيها العلامة الشيخ ادريس بن محفوظ الشربفي مفتي المالكية .

وأشهر عائلاتها : اللزام ، الصفاقس ، الشيخ ، الاسود ، الكافي ، الدرويش ، وهذه العائلات عريقة في المجد معروفة بحب العلم ، مشهورة بالشرف والكرم .



أمير الامراء

السيد محمد بن الخوجه عامل بنزرت

هو علم من أعلام تونس الشهيرين ومفكر كبير ، تقلد مناصب شتى ، وله أفكار ثاقبة وآراء سديدة . وسعادتـه دمث الأخلاق ، رحب الصدر واسع الاطلاع



عبد الرحمن اللازم عضو البلدية في بلدة بنزرت ولديه مكتبة عظيمة

أحمد فكري تونس

سوسه



سعادة السيد عبد الجليل الزاوش عامل سوسه

زرت هذه المدينة التي تعد من أخص حواضر تونس . وقد أتاحت لي الظروف الاجتماع بعاملها الفاضل السيد عبد الجليل الزاوش ، وفضيلة قاضيها الشيخ عبد الحميد السقا .

واشتهرت سوسه بجامعها الكبير الذي يشبه جامع القيروان . يقوم بقربه برج قديم يرجع إلى عهد الأغالبة ، ذو منارة مرتفعة كانت تستخدم لكشف الأعداء . وفيها سور بني في عهد الفتح الإسلامي . كما أن لها ميناءً عظيماً ، لم يكن كذلك قديماً ، ولكن الحكومة المحتلة عنيت به حتى أصبح ذا شأن في التجارة .

ومما تصدره سوسة الزيتون ، وتجارته واسعة لأنها تصدر منه كمية وافرة . وله عدة معاصر .

أما عدد سكان اللواء فمئة وعشرون ألفاً . وسوسه وحدها تعدُّ عشرين ألفاً .

ماطر

لم أمكث في هذه البلدة سوى بضع ساعات تعرفت خلالها إلى

السيد هاشمي خليفة عاملها المحبوب ، ولكنني استطعت أن أقف على بعض المعلومات عنها . فهي تعد من النفوس ثلاثة آلاف من المسلمين وألفين من الأجانب . أما القضاء فيعد عشرين ألفاً . ويوجد فيها مدرسة ابتدائية فقط . وتجارتها بسيطة جداً ، وحاصلاتها مقتصرة على الحبوب .

باجه

وانتقلت من ماطر إلى باجه بواسطة السيارة فقطعت أربعين كيلو متراً . وكان مكوثي فيها أيضاً ساعات قليلة وهي لا تفرق في عدد سكانها وحركة تجارتها عن جارتها ماطر . وممن تعرفت اليهم فيها عاملها الفاضل السيد حسونة بن منصور والسيد محمد الزواوي أحد وجهائها .

الكاف

وبعد باجه انتقلت إلى الكاف وهي آخر الحدود فقطعت مئة كيلو متر بالسيارة . وكان وصولي إليها ليلاً ، وفي اليوم الثاني زرت عاملها الجنرال السيد الشاذلي عقبة ، وكان حديث العهد بالانتقال إلى وظيفته في هذه المدينة ، لأنه كان يشغل وظيفة محافظة تونس .

تعد الكاف ثمانية عشر ألف نسمة ويعد لواؤها مئة ألف . وهناك مدرسة ابتدائية ، ومستشفى ، ومحكمة شرعية ، ومحكمة بدائية ، ومحكمة مختلطة ، ومستشار إفرنسي .

والأهلون يعنون بتربية المواشي وزراعة الحبوب . مياهها غزيرة ،

وترتفع عن سطح البحر ٨٤٠ كيلو متراً والصناعة فيها مفقودة ، بينما تزى التجارة في أيدي الأجانب .

وقد أحصيت فيها أربعة جوامع و كنيسة .

التطور الفكري في تونس

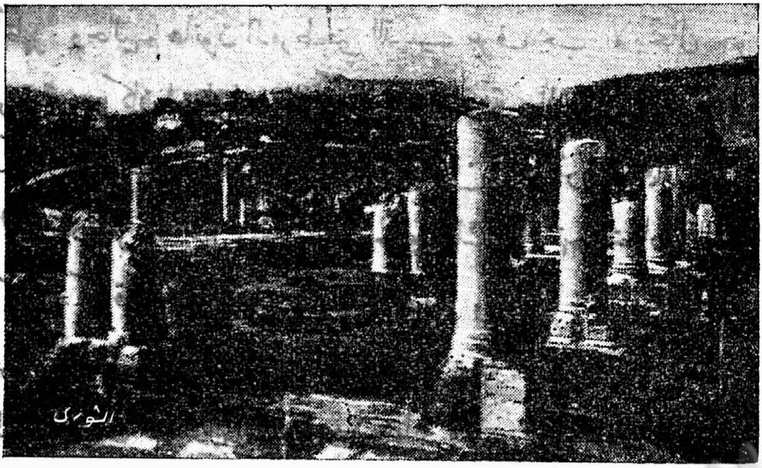
كثيرون ، وأنا منهم ، كنا نعتقد أن البلاد الإفريقية متأخرة تأخراً مهيناً ، فهي غارقة في الوحشية ، بعيدة عن التمدن ، لم يلمع للعلم في رحابها نجم ، ولم تتقد للنهضة شعلة . وإذا كان هذا الاعتقاد يصح في بعض البلدان الإفريقية ، فهو لا يصح بوجه من الوجوه إذا ما ذكرت تونس القائمة في شمال إفريقية والتي هي عروستها . ففي تونس تتمخض الحوادث عن حركة عقلية خصبة تفيض أنوارها إلى ما حولها من بلاد المغرب ، ويمكن القول بعد التتبع والدرس ان تونس اليوم ، كما كانت بالأمس ، هي المركز الوحيد للتفكير الإسلامي في الشمال الشرقي من إفريقية . ولعل السبب في ذلك أنها تشتمل على معاهد ومدارس لا تشتمل على مثلها غيرها مما يجاورها من البلدان ، وشيء آخر هو أن كثيرين من المفكرين الذين جمعوا بين الثقافتين القديمة والحديثة يزينون ربوعها ويبعثون فيها روحاً جديدة توائم العصر ، ونرى هذه الروح متمثلة في كثير من الفنون والصناعات ، وفي الصحف التونسية نفسها ، وفي الحياة الاجتماعية ، وفي النزعات السياسية التي ترمي إلى الحرية والحصول على الكرامة القومية . ان تونس تشبه القاهرة ودمشق وبغداد في مركزها

الثقافي ، لأن أنظار المغرب تتجه إليها في كل حدث ، وتقتبس عنها وتعوّل عليها وعلى رجالها . والذي يجتمع بمفكريها ويتتبع حركة شبابها لا يمكنه إلا تقدير مستقبل طيب سيؤتي أكله ، وتزهر أثماره ، مهما يطل الوقت ، لأن النهضة التونسية التي بدت بوادرها بتطور العقلية ، واليقظة الاجتماعية ، مبنية على أسس قوية ، ودعامات متينة ، من تعشق الماضي والأخذ بما صلح من حضارة الغرب . وبالرغم من انتشار الثقافة الفرنسية في ربوعها ، فانها لا تؤثر إلا إلى حد . وهذا ما يجعل كل غيور على العروبة مرتاح البال ، مثلوج الفؤاد .

وإذا أراد القارئ أن يأخذ صورة عن النضال الوطني في تونس . فليعلم أن الجميع هناك يفكرون بالوطن وخيره والنهوض به والوصول إلى حريته ؛ إنهم جميعاً متفقون على العمل متطلعون إلى المستقبل ، ولكنهم فريقان ، أحدهما وهي الطبقة الغنية وبعض المتوسطة ، يرى أن سلوك سبيل الملاينة والتشبث بسياسة « خذ وطالب » هو أضمن للمصلحة وأقرب إلى الحكمة ، والفريق الآخر وهو سواد الأمة يرى أن لا خلاص ولا نجاح إلا بالنضال السياسي الشديد والمقاومة المستمرة والتمرد على الاوضاع الحاضرة . ولا شك أن ذلك يؤخر سير القضية ويضرها . لأن الاتفاق مطلوب ، وتعيين الوجهات ضروري .

***

قرطجنة



مدينة قرطجنة التاريخية وهي عاصمة الفينيقيين في افريقية الشمالية

في سنة ٤٨٠ ق ٠ م ٠ قدمت الأميرة عليشه ديدو شقيقة بيغماليون ملك صور تصحبها حاشية من كبار قومها ، وأسست بمعونة الكنعانيين القاطنين سواحل تونس مدينة قرطجنة ٠ ثم مع الأيام عظمت هذه المدينة وجلّ شأنها ؛ حتى غدت سيدة الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ٠ يمتد سلطانها من طرابلس إلى بوغاز جبل طارق ويحتكر أسطولها سلطة البحر وحريته ٠

ولما زرت تونس تسنى لي الاطلاع على آثار قرطجنة التي تنمّ على عمران عظيم ، وإبداع فائق ٠

ولاغرو فان القرطجنيين ورثوا عن إخوانهم الفينيقيين حب التجارة والغنى فأنشأوا عدة أساطيل كانت تجوب البحار ، وعلى الأخص بحر الروم . كما أنهم تغلغلوا في قلب الصحراء حتى وصلوا إلى مواطن الزنوج القوية وأظهر رحاليهم هانون القرطجني الذي عرف بحب الارتحال حول إفريقية . وكان اسطولهم مؤلفاً من ستين سفينة وثلاثين ألف رجل ، فيكون القرطجنيون والحالة هذه أول من فكر باستعمار إفريقية والاستفادة من خيراتها ولقد ساعدتهم على ذلك معاملتهم التجارية الودية، وكان حكم قرطجنة يشمل شمال بلاد تونس ووسطها ، أما بقية السواحل الجزائرية والمغربية فقد كانت لها إدارات بربرية تحت حماية قرطجنة ، والقرطجنيون هم الذين أسسوا مدن بجاية وتنس وسرشال ، ورحلوا حتى بلغوا بلاد الكامرون .

وفي الوقت الذي كانت الدنيا بأسرها تخضع لسلطان الملوك المطلق كانت قرطجنة جمهورية دستورية محكمة النظام ، يتولى أمرها رئيسان : أحدهما يحكم البحر والثاني البر ؛ ولها مجلس نواب يمثل أعضاؤه أصحاب المصالح في البلاد ، ومجلس قدماء (مجلس شيوخ) وهو يعد مئة وأربعة أعضاء .

الا أن الجند القرطجني لم يكن جنداً وطنياً ، بل كان جنداً مأجوراً خليطاً من مختلف البلاد ، وكان هذا من أكبر العوامل في ضعف قرطجنة وذهاب ريحها .

وبلغت درجة العمران في قرطجنة حداً عظيماً من الرقي ، يدلك على

ذلك أن سكانها قد تكاثروا كثرة بلغت ثلاثمئة ألف نسمة ، وكانت مرتبطة مع البلاد المغربية بطرق معبدة ، وهيمنت على معظم إفريقية . ولهذا كانت المزاحمة على أشدها بينها وبين رومه القوية التي خافت شرها فجردت عليها أسطولها الضخم ، وفازت عليها بعد مهاجمات عنيفة ، ومساجلات عديدة ، دامت أكثر من قرن كما ذكر بعض المؤرخين . وفي خلال الحروب بين قرطجنة ورومه ظهر القائد الكبير « حبنعل » وكاد يفتتح رومه لولا أنه فقد المعونة والمدد . وكان البربر يومئذ قسمين ، فقسم ينصر البربر كي يحصل على الاستقلال مثل الملك سيفاكس وقسم يناوئها ويأمل الخير من رومه كالملك ماحفيصا وكان هذا التطاحن فرصة انتهزتها رومه ، وساعدها على قهر جموع القرطجنيين . ويعتبر ماحفيصا أول ملك بربري نظم نوميديه وجعلها دولة ذات شأن وضرب لها النقود وألف الجند وجهز الاسطول .

ولما تأتى النصر لرومه ارتكبت من الفظائع ما تشيب له النواصي وما يعدّ لطخة عار في جبينها ، فانها أحرقت المدينة ، وذبحت الاطفال وفي رواية أن قرطجنة كانت تضم زمن الحصار سبعمئة الف من السكان ولم يبق منهم سوى ٢٥ ألفاً من الرجال وثلاثين من النساء بيعوا بيع الرقيق .

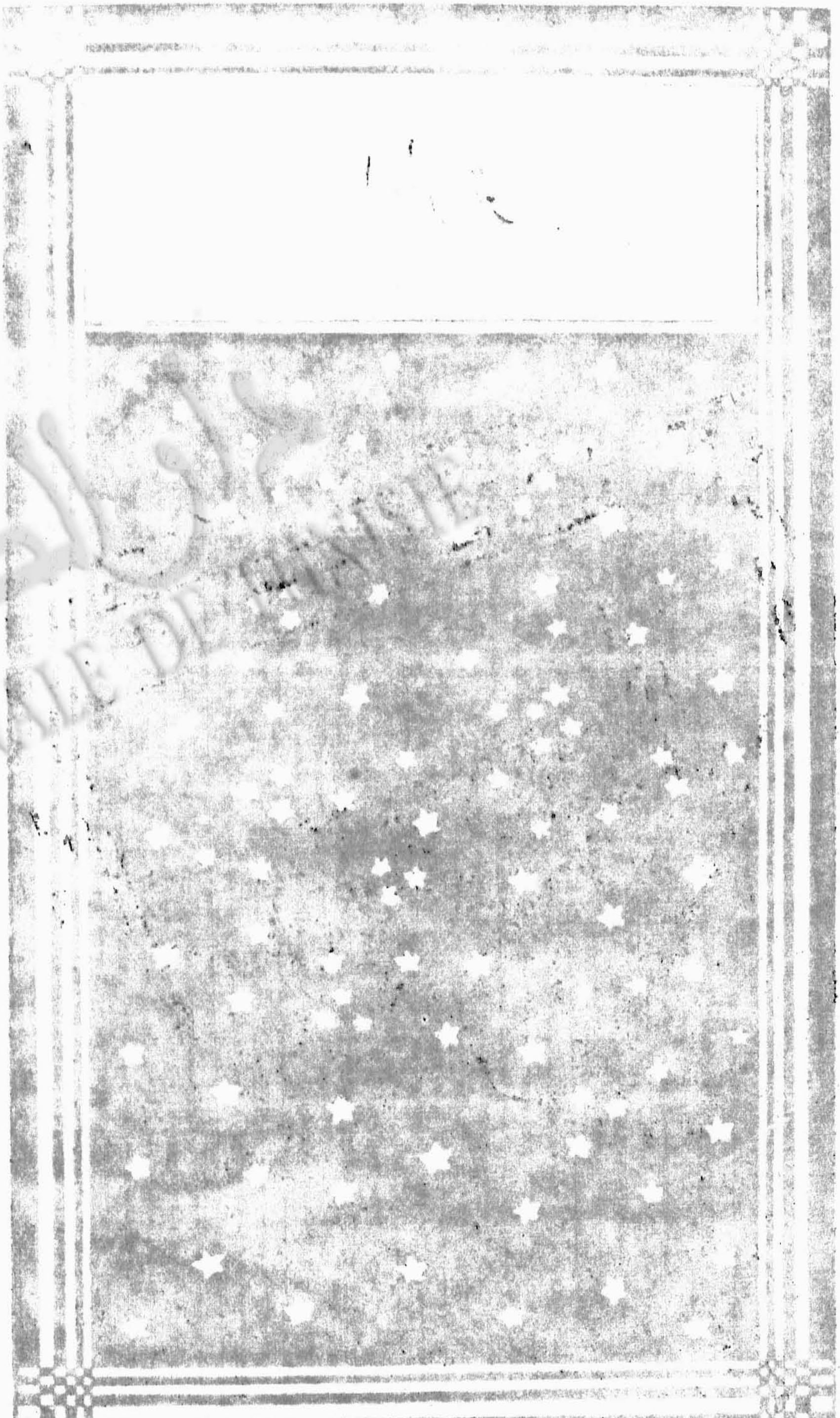
ومما يستوجب الذكر أن البربر الذين كانوا الساعد الاكبر لرومه للاستيلاء على قرطجنة لم يلبثوا أن انقلبوا عليها ، لأنها لم تحقق أحلامهم الوطنية ، وضربت بوعودها عرض الحائط ، مما يذكرنا بالعهود التي

تقطعها الدول الغربية اليوم ثم لا تقوم بمفترضاتها ، وتجعل الحق دوماً للقوة لا للعدل والانصاف !!!

* * *

ولقد تسنى لي زيارة آثار قرطجنة صحبة الاخوان مصطفى افندي ابو شوشه وعبد الحميد أفندي الحميري والاستاذ محمد المرساوي ، وكانت المسافة بين تونس وبين قرطجنة بضعة كيلو مترات . فكان ما وقع عليه نظرنا مما يسترعي الانتباه وينم عن الابداع ويوحي خطورة الحضارة التي بلغتها قرطجنة في سالف الدهور . ولا أزال أذكر صورة علقت في جدران القاعة الكبرى ، تمثل فظاعة جند الرومان وفظاظتهم في معاملة الاهلين ، وهم هاجمون برماحهم وسيوفهم وعيونهم تقطر ظلماً وغدراً .

الجزائر



الجزائر

لمحة تاريخية

مرت على الجزائر والمغرب الاقصى أدوار سياسية هامة ، وحكمتها أمم مختلفة ، ولقد كانت في العصر الحجري مأهولة باقوام ليسوا من العنصر البربري ، كانوا يأوون إلى الكهوف والمغاور ، وكانت حضارتهم دون حضارة معاصريهم . وفي سنة ٤٨٠ ق م قدمت الأميرة عليشة ديدو الفينيقية من صور واستولت على هذه البلاد . وكانت البلاد الجزائرية والمغربية ذات إدارة بربرية تحت حماية قرطجنة ، والحضارة بالغة أقصاها . ثم هاجم الرومان الفينيقيين وغلبوهم على أمرهم بعد ماساموهم أنواع العذاب والظلم . وثار البربر في وجه رومه دون ما فائدة لفقدان النظام والزعامة . وفي سنة ٢٩٧ فصل الرومانيون السلطة المدنية عن السلطة العسكرية وقسموا الجزائر إلى أربع ولايات : نوميديا الشرقية من طبرق إلى الوادي الكبير ، ونوميديا الطبيعية من مساقة إلى صلدوي وموريطيا من بجانة إلى نهر المستوية ، ثم نوميديا العسكرية وهي أرض الجنوب

وفي سنة ٤٢٩ م هاجم الونداليون الرومانيين وأرهقوهم تنكيلا وتعسفاً . وكان الونداليون مسيحيين على المذهب الآريـي لا يعترفون

بسلطة البابا . فكان من ذلك أن أرسل أمبراطور الروم البيزنطيين أسطولاً قوياً يترأس عليه القائد «بلنزار» واستطاع هذا القائد أن ينتقم من الوندال، فقضى على حكومتهم واحتل بلادهم .

ولما جاء الفاتح الكبير عقبة بن نافع بعد حسان واحتل إفريقية قضى على البقية الباقية من الروم، وابتنى القيروان واخترق المغرب حتى وصل إلى الساحل الأطلس، وتوفي في مدينة عقبة ولا يزال فيها قبره .

وفي سنة ١٤٠ ظهر في تلمسان أبوقرة من قبائل بني (يفرن) فجمع حوله بعض البربر وانتصب خليفة في الجزائر، واعتنق وأصحابه المذهب الأباضي الذي كان إمامه أبا الخطاب . وفي هاتيك الأثناء أسس ادريس الاكبر دولة الأدارسة فأجلى أبوقرة من تلمسان .

الدول التي تألبت على الجزائر

الدولة الرستمية

أسس عبد الرحمن بن رستم الاباضية دولته سنة ١٦٠ه وأصبحت هذه الدولة البربرية الإسلامية باسطة سلطانها على ربوع الجزائر الا تلمسان والزاب . وعاشت من سنة ١٦٠ إلى ٢٩٦ وتولى أمرها ستة من الأئمة أولهم عبد الرحمن وآخرهم ابو يقظان .

دولة الاغالبة

ولقد أسست الدولة الأغلبية سنة ١٨٤ ه إلى سنة ٣٠١ وازدهرت

بالعلوم والمعارف والعدل وجعلت عاصمتها القيروان .

الفاطميون

أسس عبد الله المهدي دولته سنة ٢٩٦هـ وجعل عاصمة ملكه المهدية وتولى القيادة العامة ابو عبد الله الشيعي فلما أنس من نفسه القوة هاجم بني الأغلب والدولة الرستمية فحطمها . فلما تولى المعز سنة ٣٤١ وفتح مصر والشام وأسس مدينة القاهرة لأول مرة في التاريخ، دخل المغرب عامة تحت دولة واحدة .

دولة مسيلة وصهناجة

تولى سلطنة دولة مسيله أبو الحسن من قبل أبي القاسم المهدي فاستقل بها ولكن عرشه لم يدم طويلا .

واسس بلكين دولة صهناجة بتونس ، وصهناجة من أكبر وأقوى القبائل البربرية ، وهو الذي ابتنى مدينة جزائر بني مرغنة التي أصبحت اليوم مدينة الجزائر .

دولة بني حماد

خلع حماد بيعة الفاطميين سنة ٣٨٧ هـ وأعلن سيادة العباسيين ، وانفصل عن دولة صهناجة ، وأبناؤه من بعده شيدوا مدينة بجاية سنة ٤٦٠ ، فكان عصر الحماديين عصراً حياً فعالاً من عصور الجزائر

الخالدة ، وتدهورت الدولة الحمادية بعاملين ، الأول هجرة عرب بني هلال من جهة ، و انتشار دولة الموحدين من جهة أخرى .

دولة الموحدين

عبد المؤمن ابن علي الكومي خليفة المهدي هو الذي اسس دولة في السوس الاقصى سنة ٥٢٤ هـ فحطم دولة المرابطين تحطيماً ، وقضى على دولة بني حماد ثم أصبحت افريقية الشمالية تحت سلطة مراكش ، وكان عصر الموحدين عصر رفاهية وأمن وسلام .

دولة بني زيان و بني مرين و بني عبد الواد

أسس جابر بن يوسف سنة ٦٢٧ دولة عبد الواد ، وأعلن استقلالها في تلمسان ، وانفصل عن سلطة الموحدين سنة ٦٣٢ عن يد علي بن بغراس . ولما توفي المذكور سنة ٦٨١ ترك دولة مؤسسة على دعائم ثابتة ، وفي هاتيك الأثناء كان الملك أبو يعقوب المريني قد وطد العزم على أخذ تلمسان ، وفي ٢٨ رمضان سنة ٧٣٧ دخل المدينة عنوة وانتهت دولة عبدالواد .

وفي سنة ٧٦٠ جهز أبو موسى حمود الزياني جنداً عربياً من تونس . ووثب على تلمسان ففتحها وأعاد ملك ابن عمه وأبدل اسمه عبد الواد باسم دولة بني زيان ، واتخذ ملوك بني زيان لقب أمير المؤمنين .

الاسبان والأتراك والزيانيون

ثمل الأسبان بخمرة النصر على المسلمين · وأصبحوا يهاجمونهم من كل الجهات حتى احتلوا مرافئ وهران والمرسى الكبير سنة ١٥٠٩ م · وكان الأتراك العثمانيون قد مكنوا في الشرق أقدامهم وشيدوا أسطولاً عتيداً واشتهر من رجال البحر منهم خير الدين باشا الذي تعاقد مع الأمير الحفصي التونسي على أن يجعلا قاعدة أعمالهما البحرية في جزيرة جربة ، وكان النفوذ الاسباني يزداد يوماً عن يوم ، والوهن قد استولى على دولة بني حفص وبني زيان معاً · فحارب الأتراك الاسبانيين بقوة حتى سنة ١٥١٦ حيث تمكن أخيراً بربروس خير الدين من احتلال الجزائر ·

وهنا أصبحت ثلاث قوات تتنازع الحكم على الجزائر : قوة بني زيان الواهية · وقوة الأسبان المتكالبة ،وقوة الأتراك المهاجمة ، وانتهت دولة بني زيان بعد أن حكمت سنتين وثلاثمئة · منها ١٠٤ أعوام باسم دولة بني عبد الواد و ١٩٨ باسم بني زيان ·

الاتراك في الجزائر

ولما أصبحت البلاد تحت سلطة الأتراك ،وتم لهم ما أرادوا ،سعوا حتى جعلوا العلائق في أكثر الأحيان على غاية ما يرام ، بين السلطة التركية وأبناء البلاد · إلا أنهم اخذوا يستأثرون بكل مصالح

الدولة. وكان الوالي العام في الجزائر يدعى بالباشا «أو الداي» ؛ وكانت ولاية الجزائر تتمتع باستقلال داخلي تحت سيادة الباب العالي، ولا يرفع أحد من ولاة الامور إلا بتصديق الباب العالي. ولقد قسمت الحكومة الجزائر إلى ثلاث مقاطعات: الأولى مقاطعة قسطنطينة والثانية المدية والثالثة مقاطعة وهران. ولكل مقاطعة حاكم يسمى بالباي. ولهؤلاء تصرف واسع وسلطة كبيرة. وتكاد علاقاتهم مع الحاكم العام تنحصر في أمرين الأول جباية الأموال الأميرية والثاني الجندية. والحاكم العام في الجزائر مرتبط بولاة الأمور لا يصدر أمراً بدون استشارة وزارته، ويتألف المجلس من ستة أشخاص: وزير الحربية، وزير المالية، وزير البحرية، القائد العام للجند، القائد العام للجند البحرية، ورئيس ديوان الإنشاء، وإلى جانب هذا المجلس مجلس الديوان العسكري ورجال الدين.

فرنسا والجزائر

في ١٤ مارس سنة ١٧٩٢ قرر المجلس الوطني الافرنسي، تخصيص مقدار عشرة ملايين فرنك لابتياع القمح من الخارج، وأمر وزير الخارجية الفرنسية قنصل فرنسا في الجزائر بابتياع كمية عظيمة من القمح وكان الحاكم العام للجزائر حسان داي، فأظهر المساعدة للقنصل واقرضه من الخزينة ٢٥٠٠٠٠ فرنك من دون فائدة، وسهل لحكومة

المديرية التي يرأسها بونابارت أن تؤسس خطاً بحرياً خاصاً سنة ١٧٩٤ لنقل البضائع من الجزائر إلى فرنسا ·

وكان هناك يهودي يدعى يوسف بوخريص ويلقب بـ « با كري » يشتري القمح للافرنسيين على حسابه ، وفي اوائل سنة ١٧٩٦ كان له بمرفأ مرسيليا مقدار اربعين الف قنطار من القمح بينما الحكومة الفرنسية لم تدفع للتاجر شيئاً من أصل الدين · وفي تلك السنة نفسها اقرض الحاكم حسان للافرنسيين مبلغ مليون فرنك ايضاً بدون فائدة لمدة عامين ، فلما توفي حسان وخلفه مصطفى باشا ، كان اول عمل قام به مطالبة فرنسا بدفع الديون ، فدفعت له القرض الأول ٢٥٠٠٠٠ فرنك وجاء اجل دفع المليون المقترض ، ودين التاجر با كري ، فرأت الحكومة وجوب تأجيل ديون التاجر لاجل غير مسمى ، فتدخل الداي بالامر فدفعت ٢٩٧٤٤٥ ليرة إلى با كري ، واتفق الطرفان على ان يدفع ٥٠ الف ليرة في كل اسبوع فعاد التاجر إلى مشتراة القمح وسوقه إلى فرنسا ، وفي ذلك الوقت نفسه سافر بونابارت إلى مصر ، فساءت العلاقات بين الباب العالي وفرنسا ، فأرسل السلطان إلى مصطفى باشا يأمره بإعلان الحرب وسجن القنصل ورعايا فرنسا ، فسجنت فرنسه بدورها نائب با كري المقيم في باريس ، وفي ٢ فبراير سنة ١٧٩٩ اطلق سبيل الاسرى ، وفي ١٩ يوليه ١٨٠٠ انعقدت الهدنة بين الجزائر وفرنسا ·

وكان با كير والحاكم العام يلحان على فرنسا بدفع ثمن القمح واتفق الطرفان على تغطية الحساب ، فكان في ذمة دولة فرنسا ٧٩٤٢٩٩٢ فرنكا

وعند ما حان وقت الدفع رأت فرنسا ان القمح لم يكن من النوع الجيد ولهذا اوقفت الحساب ريثما يقع الخصم ، وبعد جدال طويل دفعت ٣٧٢٥٦٣١ فرنكا على الحساب وذلك سنة ١٨٠١ وبقي من الثمن ٤٢١٧٣٦١ فرنكا . وفي ١٩ ديسمبر ١٨٠١ انعقدت معاهدة صلح بين فرنسا والجزائر . وفي ٢٧ فبراير ١٨١٨ توفي الحاكم العام وعين مكانه حسين باشا دايا على الجزائر وكان ذا حزم وإرادة

وفي ١٨ اكتوبر ١٨١٩ تقرر أن مجموع دين باكوري على فرنسا هو سبعة ملايين فرنك كما تقرر دفعها على اثني عشر قسطاً . وكان على خزينة فرنسا ان تبقي تحت يدها حسب الاتفاق مقداراً يوازي جملة الديون الصحيحة التي للدائن ، والاتفاق كان بواسطة المحاكم فدفعت فرنسا إلى باكوري مقدار اربعة ملايين ونصف وأبقت البقية في خزينة الودائع ، والحكومة الافرنسية تغافلت عن وضع حصة الباشا على حدة وعندما استلم باكري المبلغ فر إلى فرنسا واستحصل على الجنسية الافرنسية

أدرك الباشا أن حق الخزينة سيضيع ، فأرسل إلى ملك فرنسا رسالة يطلب منه الديون المطلوبة ، إلا أن ملك فرنسا لم يجب على تلك الرسالة

وكانت الثورة في تلك الاوقات تضطرم تحت الرماد في فرنسا ضد الملك شارل العاشر .

وكتب مسيو هنري فارو في كتاب (التاريخ العام للجزائر) ما نصه :

كانت حكومة فرنسا قد عزمت على أن تضع حداً للقرصنة الجزائرية وأرادت أن تغتنم فرصة غياب أكبر السفن الحربية الجزائرية في المشرق لكي تجد واسطة تعلن بها الحرب على الجزائر ، فأرسلت تعليمات خاصة إلى قنصلها تأمره بأن يغتنم أي فرصة لايجاد الخلاف النهائي . وفي ١٧ ابريل ٨٢٧ ليلة العيد ذهب القنصل دوفال متشبعاً بتعليمات دولته الى الباشا ليقدم له التهاني وكان يحسن اللغة التركية ، فأخذ الباشا يحتج لدى القنصل على تسليح مركز الغالة التجاري ونكث العهود المتعلقة بذلك ، وعرج على ذكر الرسالة التي أرسلها الى الملك ولم يرد اليه جوابها ، وكان الانفعال بادياً على وجهه . فأجابه القنصل (دوفال) محتداً ان ملك فرنسا لا يتنازل لإجابة داي الجزائر ، وأعقب ذلك بكلمات تهديدية أخرى ، فثار ثائر حسين باشا لهذه الإهانة الغريبة وصاح بالقنصل مشيراً بمروحة من ريش النعام كانت بيده : أخرج من هنا يا ابن الكلب . ووقع أن المروحة لمست بطرفها وجه دوفال ، فخرج صاخباً محتجاً ، وقد وجد الفرصة التي أوصته حكومته بايجادها ، فأرسلت فرنسا تطلب اعتذاراً علنياً وكانت تعلم أن الباشا لا يقبله باي حال . وفي حزيران ١٨٢٧ اعلنت فرنسا الحرب على الجزائر ، وجرت حروب شعواء كان النصر فيها حليف فرنسا ، فاحتلت بلاد الجزائر . وبذلك انتهى ملك الاتراك فيها .



صورة تاريخية تمثل الحادثة التاريخية التي اتخذتها فرنسا مبرراً للاستيلاء على الجزائر

﴿ صورة نص الاتفاق الذي وقع فيه تسليم الجزائر لفرنسة ﴾

الفصل الأول : في الساعة العاشرة من صبيحة يوم ٥ يوليه يسلم إلى الجند الافرنسي حصن القصبة وسائر الحصون الأخرى التابعة للجزائر ومرفأ هذه المدينة .

الفصل الثاني : يتعهد القائد العام للجند الافرنسي نحو صاحب السمو داي الجزائر ، بأن يترك له حريته و كل ثروته .

الفصل الثالث : يستطيع الداي بكل حرية أن يسافر صحبة عائلته وأمواله ، إلى المكان الذي يختاره ، وما دام مستقراً في الجزائر فإنه يكون تحت حماية القائد العام ، وتسهر فرقة من الجند الافرنسي على حراسة عائلته .

الفصل الرابع : كل الجنود الأتراك التابعين أوجاق الجزائر ، يتمتعون بنفس الحقوق المقررة في الفصول السالفة .

الفصل الخامس : إقامة الشعائر الدينية تكون حرة ولا يقع أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ، ولا بدينهم ولا بأملاكهم ولا بتجارتهم و صناعتهم ويحترم نساؤهم . والقائد العام يتعهد بذلك عهد الشرف .

الفصل السادس : تبادل هذه الوثيقة ممضاة في ٥ يوليه قيد الساعة العاشرة صباحاً . وفي الحال دخلت الجنود الافرنسية القصبة والقلاع .

و كان الكثير من أهل الجزائر خرجوا حاملين عيالهم ومتاعهم إلى داخل البلاد الجزائرية على طريق الحراش .

تم استلام الخزينة العامة :

النقود الذهبية	٢٤٧٠٠٠٠٠ فرنك
النقود الفضية	٢٣٩٨٤٥٢٧ فرنكاً
مدافع بروز النحاس	٤٠٠٠٠٠
صوف وبضائع مختلفة	٣٠٠٠٠٠
جملة الغنائم	٥٥٦٨٤٥٢٧ فرنكاً

وكانت نفقات الحملة العسكرية والبحرية ٢٤٣٥٠٠٠٠ فيكون الاحتلال قد ربح من الاحتلال بعد تسديد مصاريفه ١٢١٨٥٢٧

مساحة الجزائر

الجزائر الشمالية تشمل حسب التقسيم الإداري ٢٠٧٤٩٣ كيلو متراً مربعاً ، وهذا القسم يمتد من خط الطول درجة ٦ شرقي إلى درجة ٤ غربي فيكون طول هذا القسم ١١١٠٠ من الشرق إلى الغرب . أما عرضه من الشمال الى الجنوب فهو يتراوح بين ٣٥٠ و ٤٠٠ كيلومتر من خط العرض الشمالي ٣٤ الى الخط ٣٧ أما أرض الجنوب الجزائري فمساحتها تبلغ ١٩٨٧٦٠٥ كيلو متر ، الا أن السكان قليلون جداً ، فتكون مساحة الجزائر الشمالية والجنوبية ٢١٩٥٢٠٩٨ كيلو متراً

الحدود الطبيعية

ان حدود الجزائر الطبيعية واسطة عقد الشمال الافريقي ، ويسميها

العرب « المغرب الأوسط » لموقعها بين تونس والمغرب الأقصى ، وفي الحقيقة أن جزيرة المغرب كلها وحدة جغرافية لا يفصلها الا البحر الأبيض المتوسط ، والمحيط الأطلسي ، عن بقية الأرض شرقاً وغرباً وتفصلها الصحراء الكبرى ، والجزائر مرتبط بجارتيها تونس والمغرب بكل الروابط التي تجعل البلاد وحدة مرتبطة ، وحدة اللغة ووحدة العناصر والدين ، إلا أن السياسة منذ قرون طويلة فرقتها عن بعضها فجعلت منها حكومات.

السواحل الجزائرية

والساحل الجزائري في مجموعه صخري حجري، تترامى عليه أمواج البحر المتوسط مزبدة لذلك كانت المراسي الطبيعية منعدمة فيه ، فمراسي عنابة وسكيكدة وبجاية والجزائر ووهران كلها تقع داخل خلجان صغيرة . وقد شيدت سدود حول المراسي لحماية السفن ، وهذه المراسي تقع على الجانب الأيسر . وأما جبل طارق بين إسبانيا والمغرب الأقصى فانه يصدر تياراً هائلاً يتجه من الغرب إلى الشرق ، يصحب ذلك التيار رياح عظيمة . لذلك تم حفر المراسي الجزائرية حتى تكون في أمن من خطر الرياح .

الجبال الجزائرية

من هذه الجبال ما يمتاز بروعته وجماله الطبيعي ، يكتسي حلة سندسية بوجود الغابات الكثيفة والأودية ، والشهير منها جبال الجرجرة والأوراس وتلمسان ، « والونشرس » وقد تكونت الوديان خلف هذه الجبال ، وهناك ايضا جبال صخرية جرداء .

التقسيمات والسكان

تنقسم الجزائر إلى ثلاث محافظات . وسنذكر عدد سكان المدن الكبيرة ، وأما عامة الجزائر فتعد من النفوس تقريباً حسب الإحصاء الرسمي في مارس ١٩٣١ ـ ٢٠٤٥٢٥٧ ونسبة الزيادة ٥٦ في المئة . عدد السكان في كل كيلومتر ٣٨،٨٣ المسلمون ١٦٩٤٢٥٧ والمسيحيون ٣٥٠٠٤٥

المحافظة الاولى

محافظة الجزائر	٢٨٦٨٢٢
البليدية	٣٩٩٢٥
بوناريك	١٦٧٧٨
الابيار	١٤١٢٥
حسين داي	١٦٩٢٥
سانت أوجيل	١١٢٥٣
الحراش	٢٩٢٥٦
المدية	١٦٨٦٣
ملبانه	١٢٥٢٥
الاصنام	١٩٣٦٥
تبزى وزو	٤٠٦٥٠

المحافظة الثانية

قسطنطينة	١٥٨٢٥٠
بانة	١٤٨٦٢
بجاية	٢٧٢٦٥
بسكره	٢١٢٦٥
عنابه	٨٢٦٢٠
قالمة	١٤٦٢٥
سكيكده	٤٨٠٥٠
سطيف	٣٠٢٥٠
سوق هراس	١٦٢٦٥
سانت اونو	٨٧٣٨

المحافظة الثالثة

وهران	١٧٨٩٢٥
معسكر	٣١٨٢٥
سنتغانم	٢٩٢٥٦
بريقو	١٨٢٦٧

غليزان	١٦٦٦٥	سعيده	١٤٦٥٦
تلمسان	٤٧٩٢٥	سيدي بلعباس	٤٧٢٦

مدينة قسطنطينة



مدينة قسطنطينة وهي اشهر مدن القطر الجزائري

غادرت البلاد التونسية إلى الجزائر فزرت مدينة قسطنطينة الشهيرة بجمالها الطبيعي . ولما وصلت الفندق أقبل المدير يتسقطني الايضاحات عن عملي ووطني وعن الغاية التي أتيت لأجلها ، حتى حسبتني كأنني أمام أحد المستنطقين ، وبعد أن سجل ما ذكرته بالحرف الواحد ، قدم لي نسخة وقعت عليها وأبقيت عنده نسخة ثانية لكي يقدمها إلى رئيس مصلحة

الاستخبارات ، ذلك لأن في الجزائر مراقبة قوية على الاغراب خيفة من الشيوعية ، وظننت أنني انتهيت من الأخذ والرد ، ولكن ماعتم المدير أن عاد يقول : ان مدير الاستخبارات بعث في طلبك ، فمضيت توا إلى دار الحكومة ، ولما اجتمعت بالمدير ، سألني عن هويتي وغايتي من زيارة الجزائر ؟ فأطلعته على كتاب السياحة الموقع عليه من معظم حكام العالم لاسيما الافرنسيين ، فلما اطمأن سألني عن المدة التي أقيمها في هذه المدينة ثم الجهة التي سأقصد اليها ؟ فقلت له أما بقائي هنا فلن يستغرق إلا أياماً معدودة ثم أتوجه إلى الجزائر . ثم قفلت راجعاً ، ولا يعلم إلا الله ما نالني من الاشمئزاز والنفور .



الاستاذ الفاضل السيد مامي اسماعيل

ولقد أتيح لي زيارة العلامة الجليل السيد عبد الحميد باديس رئيس جمعية العلماء . وحضرة الزميل الاستاذ السيد مامي اسماعيل رئيس تحرير جريدة الجناح وغيرهما أيضاً فشاهدت من حضراتهم كل حفاوه وإكرام .

أما مدينة قسطنطينة فهي أهم مدن الجزائر من حيث المحافظة على العادات الشرقية واتساع تجارتها والعناية بالثقافة ، وهي أبدع وأروع المدن في هذا القطر ، شيدت على طرف صخر يفصل بينهما وادي الرمل ويبلغ

عمقه مئة متر ، والمدينة عالية من ثلاثة أطرافها ، ولا تتصل بالارض إلا من جهتها الرابعة . ويصل طرفيها جسر عظيم لم أر له مثيلاً خلال رحلتي . ويسمونه جسر سيدي مسيد وطوله ١٧٠ متراً ويرتفع عن الوادي ٨٥ م . وقد زرت هذا الوادي صحبة الزميل مامي ، وتمتعت بمناظره الفتانة التي تذهب عن القلب الحزن .

* * *

وذكر بعض المؤرخين أن اسم هذه المدينة قديماً كان (سيرتا) وهو اسم فينيقي يعني (المدينة القديمة الكبيرة) وكانت في عهد القرطجنيين مركز الاستقلال البربري ، نشأت بها عائلة « سيفاكس » التي أسست أول مملكة في منطقة نوميديا ، واشتهر بها الباسل « ماسينيا » الذي أراد أن يقف بوجه رومه ليناضل عن استقلال بلاده وأمته ، ولكنه باء بالفشل . ثم أصبحت « سيرتا » مستعمرة رومانية إلى أن خربها البربر أثر ثورة دامية . ولما هيمن عليها الروم البيزنطيون أمر الامبراطور قسطنطين بتجديد بنائها ودعيت منذ ذاك التاريخ باسم قسطنطينة ، ولما كان الفتح الإسلامي تبعت الدول التي حكمت المغرب كالحفصيين والحماديين وغيرهم .

وفي القرن السادس عشر جعلها امراء بني حفص مركز الولاية الشرقية ، ومن أشهر ولاتها صالح باي . ثم ان الباي أحمد (١٧٧١ ــ ١٧٩٢) شيد فيها الابنية الفخمة ، وجند الجيوش العظيمة ، وأجرى فيها المياه ، فأعاد لها بذلك سالف عمرانها وبهجتها التاريخية . ولاتزال هذه المدينة كما شاهدتها حافلة بآثارها الإسلامية القيمة .

والمدينة مقسمة إلى قسمين : المدينة الاوربية الحديثة الممتدة في جهة السهل . وهي عبارة عن روضة غناء زاهرة بالابنية الفاخرة ، ثم المدينة القديمة وهي لاتزال على حالتها الطبيعية وتقع في القسم الجبلي المرتفع المشرف على وادي الرمل المشهور ، وفي هذه المدينة يقطن عدد ليس بالقليل من اليهود .

وتحيط بالمدينة مزارع وحدائق غناء وبساتين جميلة .

أما عدد نفوسها فالمسلمون ٥٢٠٠٠ نسمة ، واليهود والاوربيون ٤٨١٥٠ نسمة

وفيها كثير من الجوامع أشهرها المسجد الأعظم الكبير الذي شيد سنة ٦١٨ هـ ثم مسجد سيدي الخضر المشيد في القرن الخامس هجري ، وبه مقبرة . ثم مسجد صالح باي ، وهو من أبدع وأروع مساجد الجزائر ، والى جانب المسجد مدرسة لاتزال عامرة إلى يومنا هذا وبجانبها قصر احمد باي الذي أصبح اليوم ثكنة عسكرية .

وفي هذه المدينة نهضة أدبية مباركة ، وفيها تصدر جريدة النجاح ومجلة الشهاب .

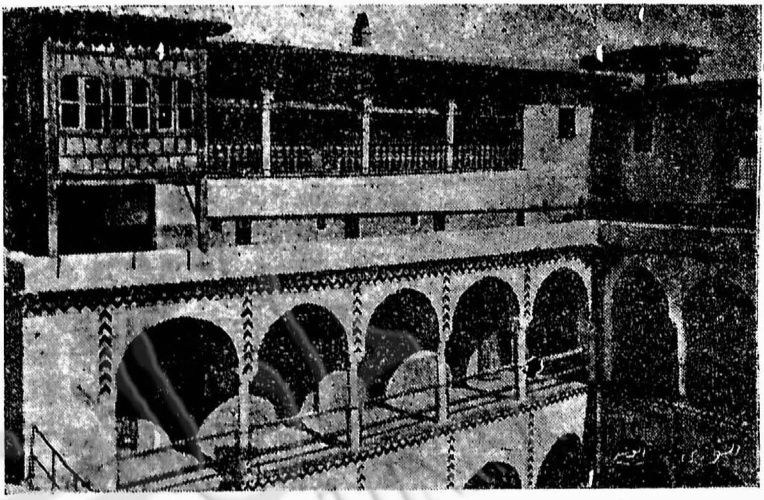
وقبل ان اختم الكلام لابدّ من التنويه بحضرة العالم العامل الشيخ عبد الحميد باديس الذي وقف حياته على خدمة الامة والدين عن طريق التعليم والإرشاد . وقد تسنى لي حضور محاضرة له في تلمسان صور فيها أحوال المسلمين اليوم ودعا الى اليقظة والنهوض وحث على العلم والتربية .



حفلة تكريمية في مدينة القسطنطينة لصاحب الكتاب

مدينة الجزائر

غادرت مدينة قسطنطينة إلى الجزائر و كانت المسافة بالسيارة ٣٥٠ كيلو متراً و كان وصولي مساءً فذهبت تواً إلى فندق عربي، هو الفندق الوحيد الذي شاهدت أصحابه من العرب، لان معظم الفنادق بيد اليهود والأجانب.



مدينة الجزائر عاصمة البلاد الجزائرية

تعرفت على بعض الشخصيات البارزة وأخص منهم بالذكر : الأستاذ العقبي الذي هو من خيرة علماء الإسلام والاستاذ سعيد الزاهري والسيدين ساسي قاضي الجزائر والسيد محمود نقيب الأشراف .

والجزائر هي عاصمة القطر الجزائري منذ أربعة قرون تقريباً ، وتعد أيضاً قطعة من أوربة بما حوت من المباني الشاهقة ، والأرصفة المعبدة والشوارع المنظمة والحدائق الغناء ، ولما بسرت في المدينة الحديثة لم أشعر أنني في بلاد شرقية إسلامية لأن كل شيء حتى اللغة والعادات قد اصطبغ باللون الأجنبي فأسفت جداً لمثل هذه الحال التي آلت اليها العروبة ، ولم يخفف من أسفي إلا أن فئة من المتنورين نهضت في الآونة الأخيرة مشمرة عن ساعد الجد لاستعادة الروح الوطنية والأخلاق العربية ، وقد وفقت بعض التوفيق ، فنسأل لها المزيد .

لمحة تاريخية

كانت الجزائر في القديم تحمل اسم «ايكسيوم» ولما احتلها الرومان أدخلوا عليها بعض الإصلاحات العمرانية غير أنها ما عتمت أن هوجمت من الوندال فأصابها الخراب والدمار. ثم أصبحت مركزاً لقبيلة بربرية تدعى «بني مرغنة» وفي القرن العاشر للميلاد أسس بلكين بن زيري بن مناد الصهناجي مدينة اسمها جزيرة «بني مرغنة» أخذت تنمو وتعمر إلى أن احتلتها قبيلة الثعالبة العربية.

وفي سنة ١٥١٠ احتلها الأسبان الذين كانوا يهاجمون البلاد الإسلامية من كل الجهات، وقد شيدوا حصناً كبيراً لا يضاهيه حصن في هذه البلاد كما أنهم شيدوا برجاً وضعوا عليه منارة لهداية السفن. والبرج لا يزال باقياً إلى اليوم وهو يبعد عن المدينة ٣٠٠ متر تقريباً.

وفي سنة ١٥١٦ استولى عليها خير الدين بربروس الشهير، وأصبح الآمر الناهي وازدهرت البلاد في أيامه. وفي سنة ١٥١٩ و ١٥٢٩ تمكن من الاستيلاء على الحصن الاسباني.

وفي سنة ١٥٤٠ جهز شارلكان الملك الاسباني حملة قوية ضد الأتراك مؤلفة من ٧٠ سفينة حربية و٤٥٥ نقالة تحمل عشرين ألفاً من الجنود فنزلوا وحاولوا احتلال الجزائر، إلا أن الجزائريين والأتراك أصلوهم ناراً حامية، ثم دحروهم وغنموا سلاحهم ومنذ ذاك التاريخ غدت الجزائر عاصمة المغرب الأوسط والأدنى، وأصبح لها أسطول عظيم

ترهب جانبه الدول الأجنبية جمعاء، وبقيت ثلاثة قرون محافظة على حريتها إلى أن احتلتها فرنسا ·

ومن آثارها الإسلامية الباقية المسجد الكبير الذي شيده الملك أبو تاشفين الزياني سنة ٣٢٣ وقبة منبر قديم هو أقدم أثر للدين الإسلامي في الجزائر، وتاريخ صنعه سنة ٤٠٩ هـ ·

والأتراك شيدوا سنة ١٦٦٠ مسجداً خصصوه للمذهب الحنفي، ولما احتلت السلطة الافرنسية الجزائر حولته إلى كنيسة

ويوجد هناك المكتبة الوطنية التي تضم بين جدرانها ٨٠ ألف مجلد

ومسجد الحاج أحمد داي الذي شيده سنة ١٦٩٦ وفيه ضريح العلامة المرحوم السيد عبد الرحمن الثعالبي المشهور

مرفأ الجزائر

هو من المرافئ العظيمة في إفريقية الشمالية، عمقه ٩٠ هكتاراً · يحول بينه وبين الأمواج سدان منيعان، ولقد عنيت به السلطة الافرنسية وأدخلت عليه سنة ١٨٤٨ إصلاحات هامة بلغت نفقاتها ٥٠ مليون فرنك وفي النية أيضاً توسيعه وإنشاء الجسور على جوانبه ·

ومعدل السفن التي تدخله في السنة ٨٣٥٠ باخرة · ومقدار صادراته ووارداته يتجاوز ثلاثة ملايين طن، وقد أخذ مرفأ وهران يزاحمه في المدة الأخيرة ·

ويوجد في الجزائر عدة جمعيات منها الجمعية العلمية وجمعية الشباب

وجمعية السلام وجمعية التهذيب الاجتماعي وجمعية الرياضة ونادي الترقي وقد زرتها جميعاً صحبة الأستاذ العقبي ·

أما سكان الجزائر فالمسلمون يعدون ٧٦٨٠٤ نسمة والأوروبيون ١٦٩٢٥٧ نسمة ·



فتيات من الجزائر في لباسهن القديم

أعضاء جمعية العلماء في الجزائر :



الجالسون : الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء في الجزائر ، الاستاذ البشيري الابراهيمي نائب الرئيس ، الاستاذ محمد الامين الصحودي كاتم السر ، الاستاذ العربي التبسي ، الشيخ النقيب العقيفي ، الاستاذ ابو اليقظان .

مدينة وهران

غادرت الجزائر إلى وهران لزيارة صديقي الأستاذ الشيخ سعيد الزاهري وقد مكثت فيها يوماً واحداً ولم أتمكن من الاجتماع به لأن هذه المدينة أكثر سكانها من الأجانب ولا سيما العنصر الإسباني ، فهي أوربية بحتة لا تكاد تجد للمسلمين فيها أثراً ، إلا إذا اهتدى

الزائر إلى حيهم الخاص البسيط الذي يشبه عندنا في سورية أحياء الأرمن أو الآشوزيين ·

كانت وهران في القديم قرية بربرية فنزح اليها كثير من الأندلسيين وغيرهم ، أما تاريخها الحديث فيقال انها شيدت في سنة ٩٠٢ هـ · واشتهر مرفأها أيام الدولة الزيانية ، وفي سنة ١٥٠٩ م هاجمها الأسبان فاحتلها الراهب الكردينال في حملة صليبية وذبح من المسلمين أربعة آلاف وأسر ثمانية آلاف وحول مساجدها إلى كنائس ، وظل الأسبان في وهران ١٩٩ عاماً إلى أن جاء الأتراك وأنقذوها على يد القائد مصطفى بوشلاغم ثم استرجعها الأسبان سنة ١٧٣٢ ومكثوا فيها إلى سنة ١٧٩٢ حتى ثبت قدم الأتراك فيها نهائياً ، ومنهم انتقلت إلى حوزة فرنسا ·

وللمدينة مركز جغرافي هام ، لأنها همزة الوصل ما بين المغرب الأقصى وتونس ، ويمر فيها القطار الحديدي الذي يخترق الجنوب ، والمدينة العربية القديمة يسمونها بقرية الزنوج حيث أنه نزح اليها في سنة ١٨٤٥ زنوج من داخل البلاد ·

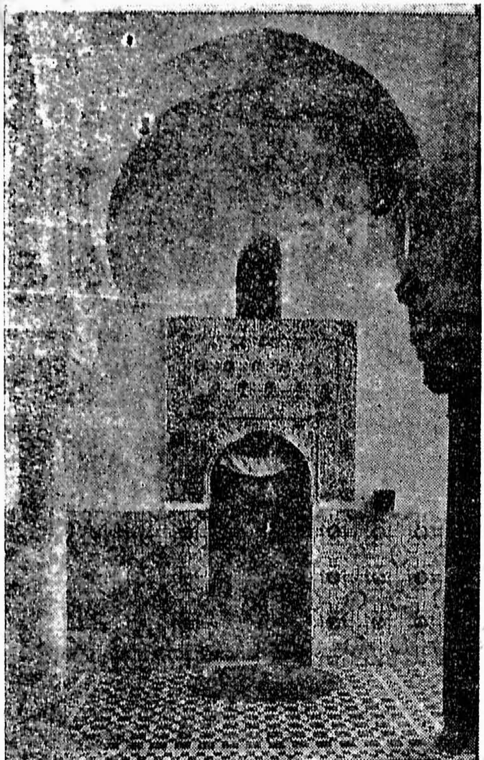
ومرفأ وهران من أعظم مرافئ البحر الأبيض المتوسط ، يؤمه سنوياً ٨٠٠٠ باخرة تبلغ حمولتها ١٢ مليون طن ، وتبلغ معاملاته التجارية نحو مليوني طن في السنة وتقصده نحو ألف سفينة لتأخذ الفحم ، فتأخذ بما قيمته نصف مليون فرنك في العام ·

وفي هذا المرفأ أربعة أحواض ، عمق المياه ٩٥ هكتاراً ويحميه سد يمتد موازياً للأرض طوله ٣٢٢١ متراً وعمقه ١٢ متراً ، وقد بلغت نفقاته

٦٥ مليون فرنك والاصلاحات جارية لتوسيعه وقد قدر له ٩٠ مليون فرنك

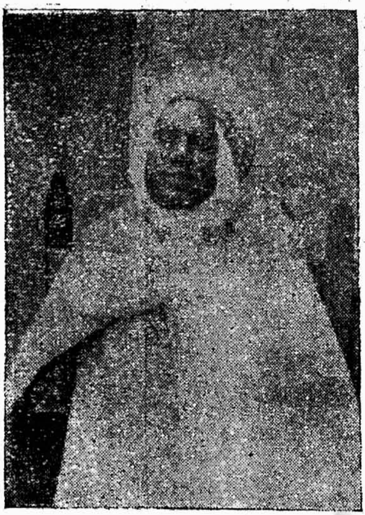
وعلى بعد ثمانية كيلو مترات من وهران يوجد المرس الكبير الذي اكتسب شهرة عالمية أيام حكومة الموحدين حيث كان مركزاً لاسطولها وبنت فيه دار صناعة ، وفي القرن الخامس عشر شيد ملوك بني زيان مدينة عند ذاك المرس ، سكنها بعض مهاجري الاندلس

ويبلغ عدد سكانها من المسلمين ٣٢١١٥ نسمة ومن الاجانب ١٢٥٨٦٦ نسمة .



بعض اثار تلمسان

مدينة تلمسان


مولاي السيد علي الحسني احد اشراف تلمسان

غادرت وهران إلى المغرب الأقصى عن طريق مدينة تلمسان التي هي آخر الحدود، وقد اجتمعت ببعض الأعيان وأخص منهم بالذكر: مولاي علي الحسني، والمحامي القاضي محمد، وعبد السلام مدين، والشريف محمد وغيرهم. وقد زرت النادي السعدي وتعرفت إلى أعضائه.

وفي اليوم الثالث عزمت على السفر إلى المغرب، والمسافة بالسيارة ٥٠٠ كيلو متر، ولما وصلت الحدود منعني مأمور الجواز من الدخول لانني صحفي، وحاولت عبثاً أن أقنعه بما أريد، حتى اضطررت للعودة إلى تلمسان وهناك راجعت الحاكم الافرنسي الذي كان جوابه أيضاً سلباً بدعوى انه تابع لحكومة الجزائر. وهنا لم أجد بداً من الالتجاء إلى أحد الاخوان الغيُر وهو الشريف محمد، فعرفني الى رجل افرنسي ذي نفوذ كبير فسعى لي مع حكومة المغرب حتى استحصل إجازة بالسفر، فعدت حالاً إلى وصل ما انقطع من سفري.



المحامي القاضي السيد محمد من اشراف ومفكري مدينة تلمسان

ومدينة تلمسان تتفوق على غيرها من بلدان الجزائر بالآثار العربية الباقية فيها ، وهي ترتفع عن سطح البحر ثمانمئة وستة أمتار ، تتخللها المياه الجارية والمناظر الطبيعية .

لمحة تاريخية

في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد أسس الخليفة يوسف بن تاشفين الشهير بحروبه مع الاسبان قرية تاقرادت التي أصبحت فيما بعد تلمسان . وفي القرن الرابع عشر حاصر الخليفة المريني أبو يعقوب تلمسان

وشيد على بعد ثلاثة أميال مدينة المنصورة لتكون له معسكراً . ولا تزال آثار منارتها قائمة .

ازدهرت تلمسان في عهد المرابطين والموحدين حتى أصبح الناس يؤمونها من كل فج عميق ، ولا سيما في عهد خليفة بني زيان حيث أصبحت تضاهي أجمل مدن المغرب . وبلغ عدد سكانها ١٥٠ الف نسمة . ولما هاجمها الاسبان فقدت نضارتها وعمرانها وزالت سلطة بني زيان عنها ، ثم دخلت في سلطة الاتراك وسكنها عدد وافر منهم لا يزال لهم بقايا حتى الآن وإنما استعربوا مع طول الزمن ، وفي سنة ١٨٣٦ احتلتها فرنسا ولما نشبت الحرب بين الامير عبد القادر مع الافرنسيين جعلها مركزاً لنفسه وفي ٣١ يناير سنة ١٨٤٢ احتلتها فرنسا .

ومن آثار المدينة قصر « المنشور » الذي شيده يوسف بن تاشفين ويبلغ طوله ٩٤٠ متراً وعرضه ٢٧٠ متراً ، و كان مقر الحكومة ، وهو اليوم ثكنة عسكرية .

ومن الآثار التاريخية الباقية في تلمسان المسجد الكبير وطوله ٦٠ متراً وعرضه ٥ وقد شيده الخليفة المرابط علي بن يوسف وللمسجد منارة شيدها الامير « باغمراس » يبلغ ارتفاعها ٣٥ متراً ثم مسجد سيدي أبي الحسن ، وهو من أبدع المساجد بنقوشه العربية ، والحكومة اليوم جعلته متحفاً للآثار ، ثم مسجد سيد الجلبوي الذي شيده الامير المريني أبو عفان سنة ٧٥٤ هـ وخارج المدينة أثران لهما أهمية كبرى : الاول الصهريج العظيم الذي شيد في عهد أبي تاشفين ملك تلمسان سنة ١٣١٨ وهو معد

لسقي الحدائق والبساتين ويبلغ طوله ٢٠٠ متر وعرضه ١٠٠ وكانت المياه تصل اليه من منابع «لاستي الجبلية» أما الآن فهو جاف ، والاثر الثاني هو ضريح سيدي أبي مدين ، وهو جميل جداً لما حوى من روعة الفن الهندسي العربي ، وهو يبعد عن تلمسان كيلومترين ، قائم في قرية العباد ولا يزال يزار . ويصعب علينا أن نلم بجميع آثار تلمسان وما أبقته يد الحدثان من خوالد الآباء والاجداد .

وعدد المسلمين ٣٢٤٤١ نسمة والاجانب ١١٦٥٣ نسمة .

وفي تلمسان ناديان أحدهما نادي السعادة . أما المدينة فذات شوارع متسعة وأسواق عامرة ، ويتخللها مناظر طبيعية ساحرة .

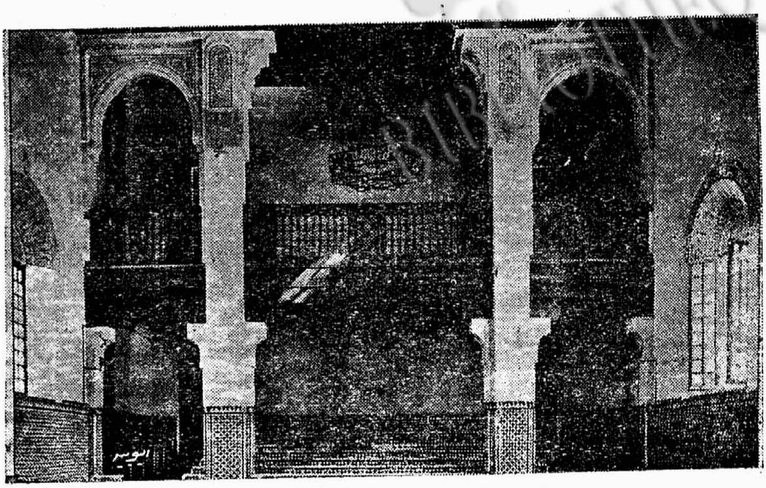
وأبناء المدينة يعرفون بمحافظتهم على العروبة والاخلاق السمحاء والعطف الشديد على إخوانهم الشرقيين .

المغرب الاقصى

المغرب الاقصى

فكّرت عندما انتهيت من زيارة الجزائر أن أكمل سياحتي فأمضي إلى المغرب الاقصى ، خصوصاً والمسافة قريبة ، والقطر يعد من جملة أقطار افريقية .

غادرت مدينة تلمسان التي هي آخر حدود الجزائر قاصداً فاس ، وكانت المسافة بالسيارة تسعمئة كيلو متر ، هي عبارة عن بلدات وقرى ، إلا أنها عامرة .



من مناظر فاس عاصمة المغرب الاقصى قديماً

وصلت مساء ، وفي الصباح بعد أداء الفريضة وإصلاح الشأن نزلت إلى المدينة أجول في أسواقها وأطلع على أحوالها وأزور قرائي ومعارفي فيها ، فاستطعت أن أدون في مذاكراتي ما يأتي :

إن تاريخ هذا القطر يشبه كل الشبه تاريخ تونس والجزائر ، لانه قطعة من البلاد التي أطلق عليها قديماً اسم المغرب ، فكان يخضع للسلطات التي تحكم افريقية ، يعتز بعزها ، ويذل بذلها .

لم أر إلا أثراً ضئيلاً لابناء البلاد ، فالمتاجر والوظائف والحركة العامة أكثرها في يد الاجانب الاغراب .

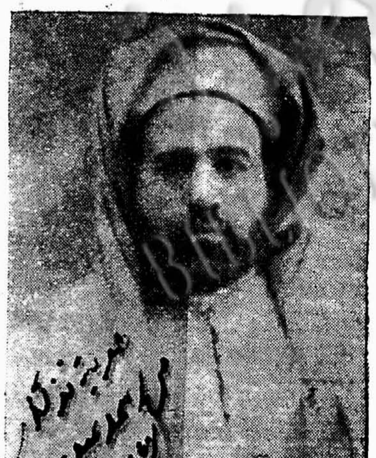
وفاس كغيرها من مدن المغرب تنقسم أيضاً إلى مدينة جديدة على الطراز الحديث ، واخرى قديمة لم تمتد اليها يد الاصلاح . وفي الاخيرة يسكن الاشراف والاعيان .

واهل فاس معروفون بالهمة العالية والكدح والمهاجرة ، والمحافظة على العروبة واخلاق الاسلام ، والابتعاد عن البذخ والترف ، وانت قلما ترى امرأة في الشوارع واذا عثرت على احداهن فهي متحجبة مصونة .

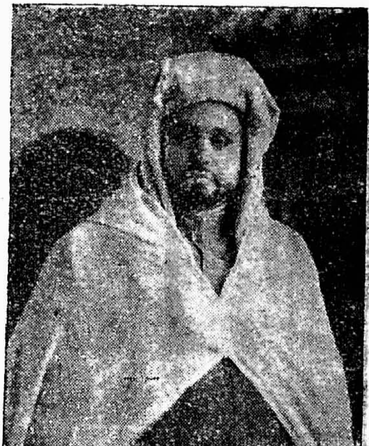
وممن زرتهم وتعرفت إليهم فضيلة العلامة الكبير الشيخ عبد الحي الكتاني وعلمه وأخلاقه أشهر من نار على علم ، وفضيلة الاستاذ اسماعيل الادريسي قاضي فاس ، والسادة احمد بن عباد وإخوانه الافاضل وعبد الرحمن براده والحاج عبد السلام الحلو ، والقائد السيد محمد ابو عشرين ، و كلهم من التجار والاعيان المعتبرين .



العلامة الكبير الشيخ عبد الحي الكتاني من مشاهير علماء المغرب الاقصى



الاستاذ السيد اسماعيل المأمون الادريسي
قاضي فاس



السيد احمد أبو عباد
احد اشراف فاس واعيانها الكبار



السيد عبد الرحمن برادة
احد شباب فاس الناهض



السيد محمد التازي
احد اعيان فاس



السيد محمد ابو عشرين احد قواد ومفكري مدينة فاس

وفي فاس جامعة القرويين المشهورة ، وهي تماثل الزيتونة في تونس ؛ تضم بين جدرانها عدداً وافراً من الطلاب ، ومدة الدراسة ثلاث سنوات يستحصل الطالب بعدها على الشهادة التي تخوله حق الاستخدام في المحاكم الشرعيه أو كتابة العدل او غيرها . غير ان هذه الجامعة تفتقر إلى إصلاحات جمة كما حصل في جامع الزيتونة بتونس ، والازهر في مصر .

ومن المؤلم أن الأراضي في المغرب خصبة للغاية ، ومع ذلك فهي مهملة ، وما تزال الزراعة على النمط القديم .

ومن عادات أهل المغرب حب التسري ، فكثير من الاعيان والتجار يتجاوز عدد سراريهم العشرة أو العشرين أو الخمسين ومنهم من يصيب المئة ، وكلما زاد ماله كثر جواريه ، وأكثر الإماء من البربر .

ومن عادات أبناء المغرب أيضاً أن تجارهم وأعيانهم يقتنون البغال الجميلة ، فيضعون عليها سرجاً من الديباج ويصوغون لجمها من الفضة أو النحاس وإذا ركب أحدهم سار معه ثلاثة أو أكثر من الخدم ، ولكل وظيفة فاحدهم يمسك زمام البغلة ، والثاني يسند سيده ويسهر عليه . والآخر يسير بالخلف .

ومن عاداتهم أيضاً أن التاجر يمضي إلى محل عمله وبرفقته أولاده وخدمه ، فلا يزال هنالك حتى الظهر ، ثم يقفل راجعاً إلى بيته حيث يتناول غداءه ويأخذ نصيباً من الراحة ، ثم يعود حوالى العصر ماكثاً حتى الغروب ، ولا يمكن أن يعمل بعد هذا الوقت مهما يكن الأمر ، وفي الليل يختلف كلٌ إلى أصدقائه ، وسهراتهم في الغالب ضمن البيوت ،

لذلك قل بينهم من يقصد إلى السينما أو المقاهي أو المسارح .

ولقد تسنى لي زيارة كثيرين من الأخوان والمعارف فدعوني إلى منازلهم العامرة ، وهناك تملكني الشده لما وقع عليه نظري من الزخرفة الإسلامية الممتازة ، فمعظم الجدران طليت بالفسيفساء العربية ذات الفن الأندلسي الرائع ، وزينت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . والفرش شرقي بحت ، لا أثر للعجمة فيه : سجاد فاخر ، ومقاعد بسيطة ذات حشيات من الديباج أو الحرير ، وهم يعنون بالشاي الأخضر يمزجونه بالنعنع ويقدمونه إلى الزوار قبل تناول الطعام كأنما يريدون بذلك أن يهيئوا قابليتهم ، أما الموائد فتوضع على مقاعد مستطيلة ، ثم يأتي الخدم والسراري حاملين أطباق المآكل المتنوعة ، يقدمون اللون تلو اللون فإذا ما انتهى طبق نادى المضيف « زيد » وهو اصطلاح يعني وجوب حمل طبق جديد ، ولا يستعملون الملاعق لأن الأكل عندهم يؤخذ باليد .
ومما جرى لي وأنا في فاس ، وانها لقصة تنم على السذاجة البريئة ، أنني دخلت مسجد أدريس الأكبر أؤدي فريضة العصر ، فلم أشعر وأنا أهمّ بالوضوء إلا وحلقات من النظارة تدور بي وآيات الاستغراب مطبوعة على وجوههم ، فلما انتهيت وصليت ، لم أشعر إلا وأحدهم يقترب مني مسائلاً هل أنت مسلم يا رجل ؟ قلت نعم ، وهل في الامر غرابة ؟ قال لا . ولكنني ورفاقي نعجب كيف يمكن أن يكون مثلك مسلماً وأنت ترتدي الزي الفرنجي ؟ قلت : ولكن الدين لا علاقة له باللباس والازياء لان الله جل وعلا

لا ينظر إلى صورنا وأموالنا ، إنما ينظر إلى أعمالنا وقلوبنا . والحديث يقول : خلقوا أولادكم بغير أخلاقكم لانهم خلقوا الزمان غير زمانكم . ان التطور مرغوب ، والجمود عيب. ونحن في بلادنا نرتدي ثياباً غربية ولكن ذلك لا يمنعنا من تأدية واجباتنا الدينية .

ولقد رويت هذه القصة لبعض الفاسيين المتنورين ، فأخبروني ان أبناء المغرب قلما يفارقون بلادهم ، لذلك يجهلون التطورات العالمية ، ثم هم متمسكون كل التمسك بأزياء آبائهم وأجدادهم ، ويرون التخلي عنها عقوقاً ، فلما رأوا زيك الفرنجي وطربوشك القاني حسبوك من غير ملة الإسلام ، ثم عادوا فشاهدوك تصلي فاسقط في أيديهم ، وتقدم أحدهم اليك بالاستفسار .

ويرجع تشييد مدينة فاس الى الملك إدريس الثاني الذي جعلها عاصمة لملكه وشاد فيها الجوامع والحمامات والمدارس ، ولا يزال كثير من آثارها القديمة ماثلاً للعيان .

وهي تعد من النفوس ٢٥٠ الف نسمة ، وليس فيها سوى كتاتيب ومدرسة ثانوية وأخرى صناعية . أما الطبيعة فيها فعروس مجلوّة في سائر الفصول

والذي يحمد في هذه المدينة أن طرقها معبدة تسير عليها السيارات الى سائر الجهات ، وفيها عدد وافر من شركات النقل الوطنية والاجنبية .

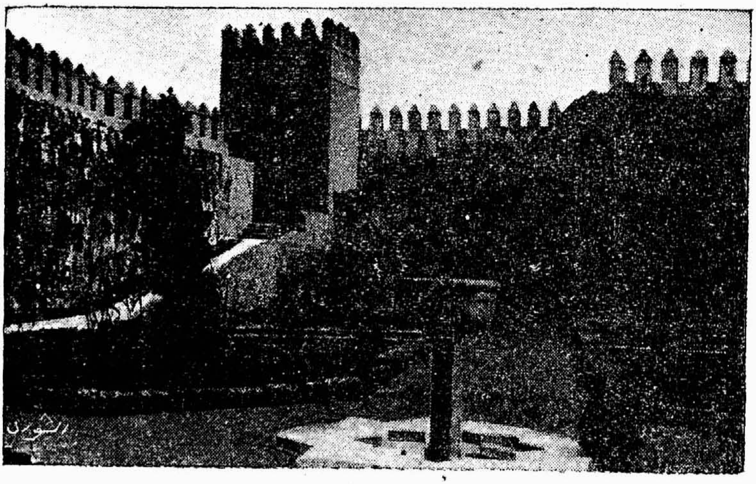
وقد اجتمعت بكثير من الشباب ، فإذا هم مثقفون راقون يؤمل منهم الخير لبلادهم .



الوجيه الكبير الحاج عبد السلام الحلو يقيم في داره حفلة تكريمية لصاحب الكتاب

مدينة الرباط

غادرت فاس إلى الرباط عاصمة المملكة المغربية ، والمسافة بالسيارة ٢٥٠ كيلو متراً وكان وصولي مساء ، وفي اليوم الثاني زرت معالي رئيس الوزارة في دار الحكومة التي يطلقون عليها باللسان المغربي « المخزن » فهنأني بالسلامة . ثم وجهت اليه بعض الأسئلة عن الوضع السياسي في البلاد وعن موقف الأمة من السلطة ، فسكت ولم يحر جواباً فأدركت تأثير المركز الذي يشغله ، ومعاليه في العقد السابع من العمر ، لطيف الحديث ، حسن المعشر .



مدينة الرباط عاصمة المغرب الاقصى اليوم



ملوك المغرب الذين جلسوا علي أريكة العرش



الاستاذ السيد محمد الحجوي
وزير المعارف في الرباط



السيد محمد الزبيدي من اشراف وتجار الرباط

ولما زرت الدوائر الرسميـــة وجدت معظم الموظفين يتربعون على الارض،ولكل كاتب منهم مكتبة صغيرة أمامه يكتب عليها والاوراق منتشرة مبعثرة ههنا وههنا مما ذكرني بدوائر حكومة اليمن .

ومما أتيح لي زيارتهم السيد محمد العربي رئيس محاكم الاستئناف ، وابن عم السلطان، ووزير الاوقاف، ووزير العدلية ، والعلامة الاستاذ السيد محمد الحجوي وزير المعارف ، والسيد عبد الرحمن بركس محافظ الرباط، ومحمد الزبيدي،والسيد محمد الشامي وغيرهم كثير،ولقد لقيت من حضراتهم الحفاوة والإكرام .

في زيارة السلطان

وعزمت على زيارة السلطان ولدى، الاجتماع بحضرة العـلامة السيد محمد المعمري الزواوي سكرتيره الخاص ومدير التشريفات،أظهر أمامي كل عاطفة نبيلة وأخلاق سامية .

إلا أنني لما طلبت منه التوسط لمقابلة السلطان أجابني إن عظمته ذاك اليوم متوعك الصحة ، ويمكنني العودة في حين آخر إذا لم أركب متن السفر ولكنني لسوء الحظ سافرت وصحته لم تزل متوعكة ، على أن العلامة الزواوي لم يضن علي بتصريحات عن أعمال عظمة السلطان،وعن الخدمات التي أسداها لامته .



مولاي محمد يوسف سلطان المغرب



صاحب العظمة مولاي محمد يوسف سلطان المغرب الاقصى مع وزرائه منهم السادة :
محمد المقري ومحمد المعمري مدير التشريفات ومحمد الحجوي ومحمد العربي وقدور بن غبريط

قال سيادته: انه أدخل في عهده الاصلاحات العظيمة وشيد المدارس وعطف على أفراد العائلة المالكة التي تربو على ٣٥٠٠ نسمة ، و كانوا من قبل في أشد حالات البؤس ، كما أنه عطف أيضاً على مدرسة القرويين، وبكلمة مجملة ان البلاد قد ازهرت في عهده وامتلأت الخزينة بعد أن كانت خاوية .



السيد محمد الزوازي مدير تشريفات سلطان المغرب

زيارة المندوب الافرنسي المسيو لوسيان سان



مندوب المغرب المسيو لوسيان سان

ودفعني واجب السياحة لزيارة فخامة المندوب الافرنسي فأقلتني السيارة حتى وصلت الديوان ، ولدى الاجتماع بحضرة رئيس مدير المصالح الاهلية وهو يجيد اللغة العربية قدمت له بطاقتي وأخبرته بغايتي ومهمتي ، فسر وابتهج ، ثم استأذن لي بالدخول .

وإن أنس لا أنس تلك العاطفة النبيلة التي استقبلني بها فخامته ، ولقد تفضل بحديث مستفيض عن الإصلاحات العظيمة التي قام بها وعن عطف دولة فرنسا على العرب عموماً والمسلمين خصوصاً فلم أر بداً من شكره ومقابلة عواطفه بمثلها .

أما التشكيلات الإدارية فتلخص في أن الحكومة مؤلفة من رئيس الوزارة ويسمونه الوزير الاكبر ، ومن أربعة وزراء هم : وزير العدلية والاوقاف والعدلية والمعارف .

وهناك محكمة عليا مؤلفة من الافرنسيين تنظر في المسائل الهامة . ويوجد محافظ يطلق عليه لقب باشا وهو ينظر في قضايا الجنح فقط ، وله معاون يسمونه الخليفة ، وسلطته دون سلطة المحافظ .

وعلى رأس المحافظ مستشار افرنسي يسمونه بالمراقب ثم يوجد ثلاثة قضاة ودائرة خاصة للمسائل الذاتية على رأسها أربعة قواد كل يختص بمنطقة وكلمة القائد تعني حاكم الصلح وارادة السلطان السنية تسمى «ظهير السلطان»

اما دار الحكومة فمشيدة خارج المدينة وهي منقسمة الى قسمين : احدهما للوزارة والثاني للسلطان خاصة ، وقصر السلطان هذا ينقسم الى قسمين ايضاً قسم الديوان ، وقسم الحرم . ودائرة المندوب الافرنسي روضة غناء ، وهي مقسمة دوائر عديدة .

والحالة الفكرية والعلمية في الرباط ضئيلة بالنسبة إلى فاس ونفوسها من المسلمين ١٥٠ الف نسمة ومن اليهود عشرة آلاف ، ومن الاجانب ثلاثون الفاً .



الوزير الفخري والمثري الكبير الحاج عمر التازي

وقبل الفراغ من التحدث عن رباط أرى من الواجب أن أذكر الحاج عمر التازي الذي هو أكبر مثري في المغرب الاقصى . ولقد أبت عليه مروءته عندما اجتمعت به إلا أن يؤدب لي مأدبة نمت على فضله وكرمه .

مدينة مراكش



مدينة مراكش التاريخية عاصمة المغرب الاقصى في السابق

غادرت مدينة الرباط إلى مراكش والمسافة بين الاثنتين في السيارة ٣٧٠ كيلو متر. أما المدينة فمثل غيرها من المدن المغربية بين قديم وحديث على أنها أكثر قدماً وتاخراً من الوجهة العمرانية.

والذي أسسها هو الخليفة يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤ كما أنه هو الذي شيد فيها الجامع الكبير مع السور، ولما تولى ولده علي شيد سورها المشهور في ثمانية أشهر.

ثم جاءت دولة بني عرين فاتخذت مراكش عاصمة للملك ولما جاءت الدولة السعدية نقلت الكرسي إلى فاس وبنت فيها قصراً بديعاً. ثم جاءت الدولة العلوية فاتخذ اسماعيل عاصمة ملكه مكناس، ثم لما كانت دولة

سيدي محمد بن عبد الله أعادت كرسي الملك إلى مراكش وشيدت فيها القصور والمصانع ·

وأما عدد المساجد التي شيدت فيها فهي لا تقل عن ١٢٣ مسجداً ، وكانت الجمعة تقام في اثنين وعشرين مسجداً ، ومسجدها الكبير لا تزال آثاره باقية ، والذي شيده الخليفة ابن تاشفين، ويعرف اليوم بالسجينة · ويبلغ عدد مدارسها المعروفة ست مدارس : المدرسة اليوسفية ثم مدرسة المدينة التي أنشأها السلطان المديني، ثم العباسية ومدرسة ألحومة ومدرسة القصبة ومدرسة المؤسسين ·

وعدد أبواب المدينة الأصلية ثمانية : باب الآغا ، باب ايلان ، باب الدبغ ، باب الخميس ، باب دكانة ، باب الرب ، باب القصبة ، باب احمر ، وأشهرها كلها باب هيلانه الذي لا يزال محافظاً على اسمه

وعدد حماماتها ٢٤ ، وعدد أفرانها ٦٦ ، والمعروف من أنهارها نهر الأسيل ، وهو بجانب باب البديع وعليه قنطرة ، ووراءه بساتين عديدة ، والمشهور من أوديتها وادي « تألسيفت » وهو يبعد عن سور مراكش ساعة وربع ، وعليه قنطرة عظيمة مساحتها ٧٠٠ ذراع ، وفي أسفله ٢١ قوساً وعدد العيون ثمانية لا يزال بعضها باقياً · ويضيق النطاق عن تعداد العلماء والصلحاء الذين ظهروا فيها ·

ومراكش ذات مناظر طبيعية وآثار خالدة ، تقوم فيها جبال شامخة وصحاري واسعة ، ورجالها اشداء امتازوا على غيرهم بالفروسية والشجاعة

ولا سيما إبان الفتح الإسلامي . وهي اليوم ذات ثلاث مناطق : الأولى منطقة ذات وحدة في الدين واللغة والجنس ، تشرف على ممر جبل طارق الذي هيمنت عليه انكلترا . والمنطقة الثانية هي الجزء الشرقي وتعد أهم المناطق ، تقوم تحت حماية فرنسا . والجزء الصغير المقابل لجبل طارق حيث يرابط الانكليز لضمان مواصلات الأمبراطورية أصبح تحت الاشراف الدولي . والجزء الغربي وهو قليل الأهمية وإن كان لا يخلو من بعض المناجم كالقصدير والفوسفات والنحاس يقوم تحت النفوذ الإسباني ومراكش غنية بزراعتها تصدر كميات وافرة من الحبوب والفواكه والخضروات .

ولم تقدم فرنسا على فرض حمايتها على مراكش إلا بعد أن اتفقت مع إنكلترا بموجب معاهدة سنة ١٩٠٤ وهي تنص على أن يطلق كلاهما يد الآخر في إفريقية الشمالية ، وكان هذا الاتفاق وما تبعه من اتفاقات كالاعتراف بالنفوذ الاسباني في مراكش الغربية ، وإنشاء منطقة طنجة الدولية ، والتعاقد على حماية الجمهورية الفرنسية لسلطان مراكش كل ذلك كان من قبل وضع الحجر الأساسي للاستعمار الفرنسي في إفريقية .

وقد تعرفت على بعض أعيان المدينة وأخص منهم بالذكر : مولاي السيد أحمد العلوي قاضي مراكش ، والقاضي عباس ابراهيم ، والقائد أحمد زمور ، والحاج ادريس ، والشاب أحمد الديوري أحد موظفي البنك وابن مواطني الدكتور عارف سليم نعيم فوجدت منهم كل إنسانية .



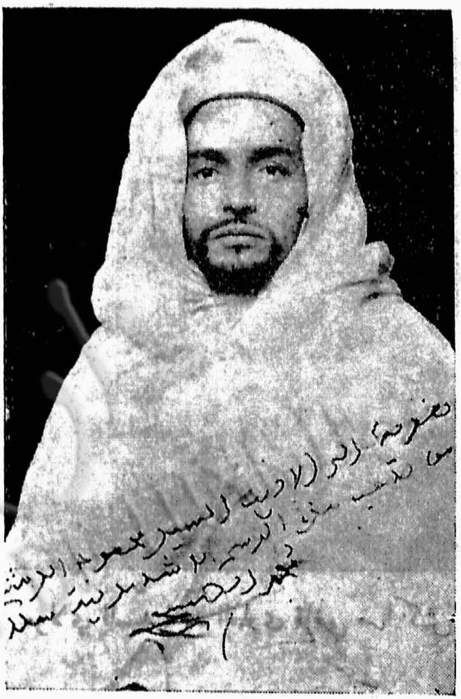
مولاي السيد احمد العلوى قاضي مراكش



الشيخ عباس ابراهيم قاضي مراكش



السيد العربي الدبوري احد أدباء مراكش



السيد محمد الصبيحي باشا
حاكم مدينة سلى من ملحقات الرباط بالمغرب

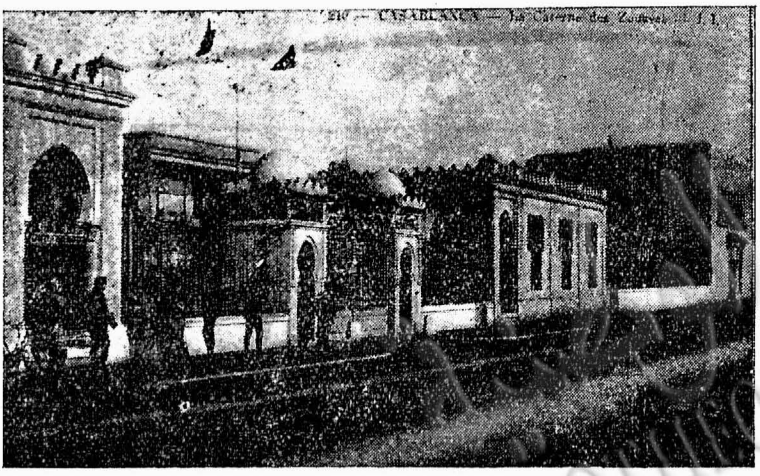
جامع الفناء

وفي المدينة فسحة كبيرة يطلق عليها جامع الفناء وفي كل يوم اعتباراً من الساعة الثانية بعد الظهر يجتمع هنالك بعض المشعوذين والدجالين ثم يؤلفون سبع حلقات وكل حلقة تأتي بألعاب السحر والشعوذة والتدجيل ، منها من يلعب بالأفاعي ومن يبتلع الزجاج ومن يمثل الروايات الهزلية، لذلك لا يهبط المدينة سائح إلا مضى يحضر هذه الحلقات ثم يأخذون عنها صورة قبيحة يوسعونها حتى تشمل سائر المسلمين ، ومن المؤسف أن

المفكرين في هذه المدينة لم يقوموا حتى الآن بواجبهم في القضاء على مثل هذه الفئة الضالة التي تسيء إلى الدين والإسلام .

وتعد مراكش من النفوس ستين الف نسمة أكثرهم من البربر المتمسكين بدينهم وعاداتهم ، ولكنهم ينقصهم العلم والنظام والزعامة .

مدينة دار البيضاء



مدينة دار البيضاء في المغرب الاقصى

غادرت مراكش إلى دار البيضاء والمسافة بالسيارة ٩٠ كيلو متراً ولقد أتيح لي زيارة الصديق السيد محمد الصقلي ، والوجيه السيد محمد اليعقوبي ، والسيد عبد السلام مختار رئيس المدارس الاسلامية .

أصبحت المدينة تضارع المدن الغربية عمراناً وترتيباً فلا غرابة اذا عدت أعظم حواضر المغرب ، وهناك من يدعوها باريس المغرب الاقصى .

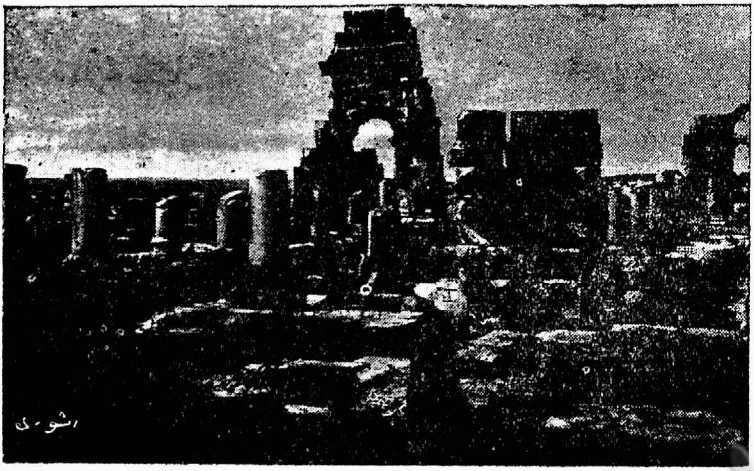
وإذا كنت قد دهشت في رحلتي لبعض المدن فإني لا أكتم اعجابي بهذه المدينة ذات المرفأ البحري الواسع ، والعمارات التي تناطح السحاب ، والجنان التي تسكر بمناظرها الأرواح .

وعدد نفوسها ١٥٠ الف نسمة نصفهم أجانب ، وفيها ناد للمسلمين كما أنها تضم نخبة من المفكرين العاملين بينهم أفراد من السوريين يشغلون أهم المراكز .



الادبب السيد محمد الصقلي الحسني
احد الشباب الناهض في دار البيضاء بالمغرب الاقصى

مدينة مكناس



مدينة مكناس

زرت هذه المدينة وحللت ضيفاً على صديقي العلامة الجليل مولاي عبد الرحمن بن زيدان ابن عم السلطان ، ولقد أطلعني سيادته على الآثار الخالدة التي شيدها مولاي اسماعيل المتوفى منذ مئة سنة تقريباً ، وأهدى إلي أربعة كتب من مصنفاته ، وأراني مكتبته الثمينة التي قلّ أن يوجد لها مثيل في المغرب ·

ولقد صادف يوم زيارتي لهذه المدينة مولد احد الأولياء فاجتمع الناس من كل جهة ، وتألبت الوفود على المدينة ، خصوصاً أرباب الطرق ، الذي أتوا بخزعبلات ومهازل ما كنت آمل أن أراه من أفراد يعتنقون دين الحقيقة والعلم والخلق ·

وفي المغرب الأقصى من الطرق ما لايكاد يحصى ، منها : العيسوية والحمدوشية والرفاعية والتاجية والعلوية والقادرية والنقشبندية .

وعدد نفوس مكناس عشرون الف نسمة ، والحالة الزراعية والاقتصادية سيئتان .



مولاي العلامة الجليل عبد الرحمن بن زيدان نقيب الاشراف

عادات اهل المغرب

من عادات أهل المغرب أن طلاب العلوم بينهم يسلكون طرقاً شتى ، فبعضهم يقرأ ابن مالك شرح المكودي ، وبعضهم يميل إلى ابن عقيل، وآخرون يقرأون مختصر الخليل أو شرح الزرقاني أو ابن داود، لذلك تجدهم في الرأي مختلفين .

ومن عادات علمائهم التشديد البعيد ، وإقامة النكير على العامة ، ولا يتحرجون عن اتهامهم بالزندقة لأقل الأسباب ، ما يراعون في ذلك حكمة ، ولا يذكرون الآية : «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك»

ومن عادات الأعيان الترفع عن العامة ، حتى يعيش أحدهم كأنه منقطع عن العالم ، وهذا ليس من الديمقراطية في شيء ، ودليل على التخاذل والأنانية .

ومن عادات خطبائهم التطويل حتى يملهم السامعون ، وخطبهم في الغالب تكرار معيب ، وتفسير قريب تغلب فيه الألفاظ على المعاني . وهذا التطويل تلمسه في صلواتهم أيضاً كما تلمسه في عمائمهم .

ومن النقائض كثرة الطرق وانقسام أربابها بعضهم على بعض .

ومن عاداتهم اثقال كاهل الراغبين في الزواج بالمهور الفاحشة والنفقات الباهظة . ويتعدى ذلك إلى احتفالاتهم على اختلافها ، فإن الانفاق يكثر فيها خارجاً عن الحد الواجب .

وبكلمة مختصرة يحتاج المغرب إلى نهضة اجتماعية تمحو آثار الجمود وتنحو بالأهلين مناحي جديدة تتفق والعصر الحديث عقلاً وعملاً .

طنجة

او الحكومة الصغيرة



مدينة طنجة

منذ الذي يزور بلاد الأندلس ولا تحدثه النفس بزيارة مدينة طنجة. إنها تشبه الجدول الصغير بين أربعة بحار، فهي على صغرها حكومة قائمة بنفسها بين أربع دول كبيرة، وتعد همزة الوصل بين الأندلس والمغرب الأقصى. وهي في الوقت نفسه شبه جزيرة تحيط بها الجبال الشاهقة، وتشتمل على المناظر الطبيعية الرائعة، مناخها معتدل، وأسواقها عامرة، يقصدها السياح كثيراً، ونفوسها يبلغون خمسين ألف نسمة معظمهم مسلمون، وفيها خمس مدارس ابتدائية ومدرسة ثانوية، وأشهر حاصلاتها

المنسوجات الوطنية ، والبرانس بصورة خاصة ، وهي التي يرتديها أهل المغرب ، وربما كان زيها مقتبساً عن البربر . وفي طنجة كهف قديم يقال إن تاريخه يرجع إلى ما قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة ، وكل شيء قديم تتضارب فيه الأفكار ، وتنسج حوله الأوهام عناكبها ، لذلك تجد الناس يتحدثون عن هذا الكهف أحاديث شتى ملؤها الخرافة ، وهنالك أيضاً قلعة عظيمة اتخذتها السلطة الحاكمة مقراً للجند .

وكانت طنجة قبل الحرب من المراكز التجارية المعتبرة ، كما كانت الميناء الوحيد في الشمال الافريقي ، ولكنها فقدت بعض اعتبارها التجاري بعد تشييد مدينة دار البيضاء وبناء مرفئها العظيم الذي زاحم سائر المرافئ في تلك المنطقة .

وتقدر المسافة بين مراكش وطنجة بـ ٦٦٠ كيلو متر .

والمعروف حتى الآن أن طنجة من عمل الفينيقيين ، ولا تزال آثارهم فيها ، ولما احتلها الرومانيون جعلوها قاعدة المنطقة نظراً لمركزها الجغرافي ثم جاء الروم البيزنطيون ، ثم الإسلام ، وبقيت في أيديهم حتى احتلتها حكومة البرتغال ، تلك الحكومة التي تزوجت ملكتها من ملك الانكليز فقدمت له طنجة كهدية في عرسه ، وبقيت في أيدي الانكليز أربعين سنة ، ثم قامت الحرب بينهم وبين المغاربة فاستولوا عليها بقيادة القائد المشهور غيلان ، ولبثت بعد ئذ كبقية البلاد الأندلسية في يد الأتراك حتى اقتسمتها الدول ، وفي عام ١٨٩٠ عقد مؤتمر دولي قرر أن تكون طنجة منطقة دولية تتولى الأمر فيها أربع حكومات هي فرنسا

وإنكلترا وإيتاليا وإسبانيا ، أما أميركا فلم توافق على هذا القرار ولم تعترف بالمؤتمر فبقيت تتمتع بامتيازات خاصة لرعاياها .

ولكل من هذه الدول الأربع إدارات ومؤسسات خاصة ، وهناك محكمة مختلطة تنظر في شؤون الاهلين . والحاكم العام افرنسي ، والمشرف على الامور المالية انكليزي ، والمهتم بالشؤون الصحية اسباني يعاونه الحاكم الايتالي .

وتقدر واردات طنجه سنوياً باربعة عشر مليون فرنك ذهباً ، والنفقات بستة عشر مليوناً ، والمليونان الباقيان يستدانان من الدول المشتركة . ثم ان جميع الصادرات والواردات معفاة من الرسوم الجمركية

وهناك قوة عسكرية تؤلف جيشاً خاصاً يعد خمسة عشر الف نسمة تحت إدارة قواد افرنسيين واسبانيين . وعدد أفراد الشرطة ١٢٠ هم مزيج من الدول الأربع ، ولا يقل عدد السياح اليها كل سنة عن عشرين الفاً ، ومساحة المدينة ٢٥ كيلو متراً .

أما الحكومة المحلية فلها حاكم عربي ينظر في أحوال الأهلين تحت إشراف المستشار الفرنسي ، وهذا الحاكم المسلم يعين من قبل سلطان المغرب ، لذلك يحمل لقب مندوب السلطان ، وهو اليوم السيد محمد التازي الذي أتيح لي مقابلته فغمرني بتقديره . وممن أسعدني الحظ بالاجتماع بهم صاحب العظمة مولاي عبد العزيز سلطان المغرب وهو ذو أفكار ثاقبة يقيم في طنجة لاسباب سياسية ، وله فيها قصر فخم .

وممن تعرفت بهم في طنجة الاديب عبد الله افندي كنونه الحسني

والسيد ادريس الحريشي أحد المفكرين ، وقد تكرم فأدب لي مأدبة دلت على كرمه

والذي لايمكن إلا الاعتراف به هو ان الروح الاسلامية في المغرب الأقصى منتشرة ، والاخلاق حسنة لم تتسرب اليها الفرنجة كغيرها من البلاد الإسلامية ، رغم وجود المستعمرين فيها ورغم قربها من أوربة

وفي طنجة محكمة شرعية ورئيس بلدية يسمونه المحتسب ، ودائرة أوقاف يدعونها دار الاحباس وهي مرتبطة بدار الأوقاف العامة في الرباط

ومما وقع لي في طنجة أنني لم أكد أصلها حتى وجدت بجانبي شاباً مغربياً يخاطبني بلهجة غريبة كأنما هو يعرفني ، وسايرني في طريقي محاولا الاستفسار عن مهنتي ووطني ومصدر قدومي وغايتي؟ فلم أجبه بغير التحدث عن جمال طنجة ، وعن رغبتي في إيجاد فندق مناسب أحلّ فيه ، فكان يدور معي في الحديث ثم يرجع الى اسئلته ، فلما عيل صبري منه رجوته أن يكون دليلي إلى دار الحاكم الافرنسي لأنني أود أن أزوره ، ففعل ولما خرجت من المقابلة ألفيته مايزال في انتظاري، حتى إذا وقع نظره علي بادرني بالسؤال : وهل علم الحاكم بأمري وذكرت له اسمي . قلت : لا قال : ليتك فعلت فان لي بذلك الخير كله .

وكان صاحبنا جاسوساً ، وما أكثر حوادث التجسس التي يلاقيها الرحالون .

* * *

نظرات مختلفة

صناعة الجلود منتشرة في طنجة ، ويجيدون على الأخص صنع

حقائب الدراهم ، ويبيعون منها كميات وافرة للسياح .

ومن عادة القرويات هناك البيع والشراء والعمل كالرجل ، فهن أشبه بالبدويات في بلادنا .

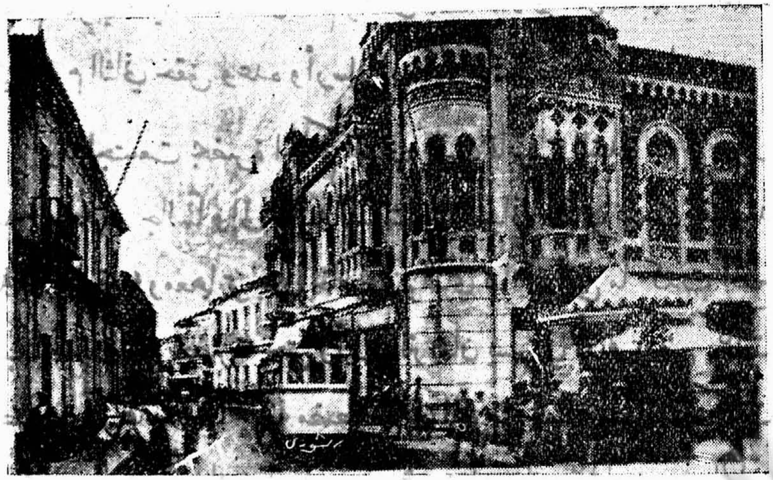
والمبشرون جيش عرمرم عددت منهم خمسة وأربعين من البروتستانت ولهم مستشفى وملجأ .

والمهور في هذه المدينة من خمسمئة فرنك إلى خمسة آلاف ، ويتعمدون إقامة حفلات الزواج ليلتي الأحد والخميس . وطريقة الاحتفال بالاعراس انهم يضعون العروس في هودج فوق بغلة ويسيرون أمامها بالطبول والمزامير يقرعون ويغنون طائفين أنحاء المدينة ، والتسري منتشر بينهم جداً .



السيد محمد ركينه مدير الاوقاف في مدينة طنجة

مدينة تطوان



مدينة تطوان عاصمة المنطقة الريفية الاسبانية

غادرت طنجة إلى الأندلس ، وقد عرجت على مدينة تطوان التي تعيش اليوم تحت حماية الاسبان، وكان قصدي متابعة العمل الأدبي الذي أقوم به، غير أنني وجدت الابواب موصدة بوجهي عند ما أردت زيارة مندوب السلطان وذهبت جميع مراجعاتي ومساعي أدراج الرياح، وأخيراً فكرت بمقابلة الحاكم الإسباني نفسه، وبالفعل سعيت ودخلت عليه فإذا هو يستقبلني بكل أدب وظرف، وكان أول سؤال وجهه إليّ الاستفسار عن القصد من زيارتي ، فأفضيت اليه بأمري ، وأطلعته على كتاب السياحة الذي يرافقني، فسر كثيراً، وشجعني على مواصلة العمل ، ولم ينس أن يمتدح العرب ويعلن الصلة الوثيقة بينهم وبين الإسبان منذ القديم، وفضلهم العميم على الحضارة العالمية .

ولقد تردد بادىء الأمر عندما رجوت منه تسهيل وصولي إلى الحاكم العربي خليفة السلطان ، ثم وعدني بالمساعدة على أن أقابله في الغد ، وفي اليوم الثاني حقق وعده وأرسل إلي أمر التسريح مع ترجمانه .

ولما اجتمعت بحضرة الحاكم العربي الذي قاسيت الشدة في الوصول اليه ، وجدته جالساً وإلى جانبه المستشار الإسباني الذي علمت فيما بعد أنه قلما يفارقه ، ومعهما ترجمان خاص ، والذي ساءني أنني ما كدت أفتح باب الحديث مع حضرته حتى رأيت الترجمان يسر في أذنه بعض كلمات نهض على أثرها معتذراً ، بانه مضطر لمقابلة المفوض السامي . ولقد فكرت في مثل هؤلاء الأمراء وملوكهم وغيرهم من أصحاب الشأن في البلاد العربية والشرقية كيف غدوا آلات مسخرة في يد الأجنبي المستعمر يتلاعب بهم كيفما شاء ، ويفرض عليهم نفوذه حتى مايستطيع أحدهم أن يقوم ويقعد أو ينسم الهواء أو يتحدث إلا بإذنه وبرضائه ، وفكرت أيضا في نهوض الإسلام بعد كبوته ، وبعد التفسخ الذي طرأ على كيانه ، فاستبعدت نجاحه ، واستغربت كيف يحلم بعضهم بالاتحاد العربي .

وممن زرتهم الوزير الأكبر أحمد الغنيمة ، وهو في العقد السابع من عمره ، إلا أنني لم أتمكن من الافاضة معه بالحديث ، لأن الظل الاجنبي رابض حوله بشبحه المخوف ، وكان حضرة الوزير جالساً على مقعد خشبي بسيط ، وأمامه مكتبة ذكرتني بالكتاتيب القديمة ، والذي لا أنكره أن الرجل يتحلى بأخلاق عالية ممتازة يزينها التواضع واللطف .

وممن تعرفت اليهم السادة الحاج عبد السلام بنونه ، والسيد محمد

بنونة عضو المؤتمر الإسلامي ، والاستاذ محمد داود وابن مواطني السيد حبيب سعادة، والباشا السيد أدريس محافظ المدينه، والسيد السلاوي وزير الاوقاف، والسيد محمد الرهون وزير العدلية . والسيد عبد الخالق التريسي

وفي تطوان نهضة أدبية لا بأس بها يجتمع القائمون بها في نادٍ سموه «النادي الادبي» . ومما علمته أن معظم الاعيان يرسلون بأولادهم إلى مدارس مصر وفلسطين وسورية لارتشاف مناهل العلوم .



السيد احمد الفنيده رئيس الوزارة المراكشية الريفية



السيد محمد بنونة عضو المؤتمر الإسلامي في تطوان



السيد محمد السلاوي
وزير الأوقاف في تطوان



السيد محمد الرهوني
وزير العدلية في تطوان

والمدينة عموماً عامرة زاهرة ، وتعد منطقة تطوان من النفوس ٦٥٠ الف نسمة ثلثهم يهود وأجانب والباقون مسلمون ، أما في تطوان نفسها فعدد المسلمين ٤٦ الف نسمة ، وعدد الأجانب واليهود ١٤ الف نسمة ، فيكون المجموع ستين الفاً .

أما الجيش فمؤلف من ثلاثين الف نسمة أكثرهم من الاسبان ، وجنود العرب اقلية ضئيلة ، والجندية اختيارية ، والحكومة عموماً مؤلفة من حاكم عربي تحت سلطة المندوب ، ومن أربعة وزراء : الوزير الأكبر ووزير العدلية والاوقاف والاملاك . ولتطوان محافظ ممتاز يطلق عليه اسم الباشا ينظر في شؤون الاهلين ، وله صلاحية في الاحكام التي تستدعي السجن خمس سنوات فحسب .

ومن حواضر تطوان : العرائش والقصر الكبير واصلا وملياته وشيشوان التي كانت مركزاً حربياً للبطل الامير عبد الكريم في حربه مع الاسبان والفرنسيس ، وتعد من الحصون الممتازة ، ترتفع عن سطح البحر ٧٥٠ كيلو متراً

وقد أتيح لي زيارة مدينة العرائش ، وكنت أحمل كتاباً لحاكمها الفاضل السيد محمد فاضل باشا ، فحللت عليه ضيفاً ، واتصلت أسباب المعرفة بيني وبين العلامة عبد السلام زطوط قاضي المدينة ، وعبد السلام الرصيفي باشا ، والسيد محمد حسني البقالي ، وعبد الكريم افندي الجصيني .

ومدينة العرائش تعد عشرين الف نسمة ، ثلثهم أجانب والباقون مسلمون .



السيد محمد فاضل باشا حاكم مدينة
العرائش في المنطقة الريفية



عبد السلام باشا الرضيني حاكم الأصيلة في منطقة الريف

ونظام الحكم فيها انه يقوم على نظارتها مستشار اسباني ، وبقية الحكام من العرب " والذي لا يمكن إنكاره ان الاسبانيين يعاملون العرب معاملة حسنة .

وفي المدينة محكمة شرعية ، وبضع مدارس ابتدائية تدرس العربية والاسبانية .

أما الحالة التجارية فمتأخرة .

الاندلس ـ اسبانيا

لمحة تاريخية

لم يذكر التاريخ أن للأمة الإسبانية مدنية قديمة ، فقد كانت هذه البلاد قبل الفتح العربي عريقة بالبداوة ، وكانت دائماً طعمة للفاتحين ، من فينيقيين وروماني ويونان وقرطاجنيين وقوط ، ثم إنها لا تعرف شيئاً من أسباب الحياة غير ما كانت تستخرجه من معادن بلادها ، وتستبدله من مادة غذائها وكسائها مع تجار الأمم التي حكمتها .

ولما امتزجت مع الأمم المتغلبة ، أخذت تحمل السلاح ، وتدافع عن حوزتها ، وقد اشتهرت بعدئذ في ميادين الحروب ، ومع هذا كانت تسكن الجبال والوديان ، غارقة في الجهل والهمجية ، إلى أن حكمها القوط في أوائل القرن الخامس للمسيح . ولما دخلتها النصرانية وكثر ورود القسس اليها دعا الملك «ريكارد» في أواخر القرن الخامس بطارقة النصرانية إلى مؤتمر طليطلة ، وعلى أثره اعتنق المذهب الكاثوليكي ، ومن ثمّ عني بكنيسة طليطلة ، هو وقومه ، حتى أصبحت غنية بالتحف والأواني الذهبية والمائدة الشهيرة التي أخذها العرب بعد استيلائهم على هذه البلاد وقدمها موسى بن نصير إلى الوليد ، عندما عاد إلى دمشق .

وأول من دخل بلاد الاندلس من العرب طارق بن زياد، وموسى بن نصير سنة ٩٢ هـ في عهد دولة بني أمية بالشام، فافتتحاها وتولاها الأمراء باسم الخلفاء الأمويين فلما افضت الخلافة إلى بني العباس وعمل أبو العباس السفاح السيف في بني أمية وقتلهم جميعاً لم ينج إلا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك، فهرب إلى بلاده واجتاز البحر إلى الأندلس، وكان عليها أمير اسمه عبد الرحمن بن يوسف الفهري فامتلكها منه وخطب فيها للسفاح زمناً قصيراً وأقام في قرطبة عاصمة الأندلس، ثم خلفه حكام كثيرون كانوا يلقبون أنفسهم بالأمراء إلى آخر القرن الثالث، حيث تولاها عبد الرحمن الثالث المعروف بالناصر فسمى نفسه خليفة سنة ٣١٧ هـ وهو أعظم خلفاء بني أمية في الاندلس. ولقد حارب الافرنج مراراً وردهم على أعقابهم فلما مات خلفه بضعة عشر خليفة فيهم من يعدله. وفي أوائل القرن الخامس انقسمت الاندلس إلى ممالك يتولاها رؤساء وامراء أشهرهم الحمودية في مالقه سنة ٤٠٧ـ٤٤٩ والعبادية في اشبيلية سنة ٤١٤ ـ ٤٨٤ والزيرية في غرناطة من سنة ٤٠٣ ـ ٤٨٣ والجهورية في قرطبة من سنة ٤٢٢ ـ ٤٦١ هـ وذو النونية في طليطلة من سنة ٤٢٧ ـ ٤٧٨ والعامرية في بلنسية من سنة ٤١٢ ـ ٤٧٨ والهودية في سراقوسة من سنة ٤١٠ ـ ٥٣٦ وملوك دانية من سنة ٤٠٨ ـ ٤٦٨ ويعرف هؤلاء الرؤساء بملوك الطوائف وتنازعوا وتغالبوا فيما بينهم، وحاربهم الافرنج لانهم طمعوا بهم على أثر ذلك الانقسام.

وضاق العبايدة ذرعا في حرب «الفونس دي ليون» فاستنجدوا

ملوك المرابطين من المغرب سنة ٤٧٩ ثم عاد المرابطون بعد بضع سنين وفتحوا الأندلس كلها ، وجعلوها ايالة تابعة لمملكتهم في المغرب

ولما صارت المغرب الى الموحدين صارت اليهم أيضاً الاندلس وفي سنة ٥٤٠ هجرية كانت هنالك ممالك صغيرة في بلنسية ومرسيه أهمها الدول النصرية في غرناطة أصحاب الحمراء حكموا من سنة ٦٢٩ الى سنة ٨٩٧ ، وظهر فيها الشعراء والادباء نحو ما كانت عليه في أيام عبد الرحمن الغافقي ، ولكن الاسبان مازالوا يهاجمون المسلمين ويناوئونهم وهم يدافعونهم الى أواخر القرن التاسع للهجرة حيث هاجمها (فرديناند وايزابيلا) سنة ١٤٩٢ ففر ملكها ابو عبد الله محمد الحادي عشر من تلك الدولة ، فانقضت بفراره دولة المسلمين في الاندلس

وللاندلس شأن عظيم في التاريخ الإسلامي ، فقد نبغ فيها العلماء والشعراء ، وانشئت فيها المدارس والمكاتب وشيدت الابنية والقصور . وكانت بكلمة موجزة مثال الرقي الفكري والحضارة الزاهرة .

الجزيرة الخضراء

غادرت بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس ، وكانت النفس تتوق جداً إلى هذه الزيارة ، لما ينتظرني فيها من مشاهد واقعة تنم عن مدنية قديمة زاهرة عبثت بها الأيام ، ولم تبق منها صروف الحدثان إلا بقايا كآثار الوشم في ظاهر اليد .

غادرت تطوان إلى الجزيرة التي هي آخر حدود المغرب الريفية والمسافة بينهما ٣٥ كيلو متر ، والجزيرة تعد من النفوس إثني عشر ألف

نسمة كلهم أجانب ما عدا نزراً قليلاً من العرب يعيشون عيش الكفاف . وفي الجزيرة تجد الهواء الطلق والماء العذب ، أما التجارة فمتوقفة على الخارج ، وقد شيدت الحكومة الإسبانية مؤخراً مدرسة عربية لنشر لغة الضاد ، وقد أتاحت لي الظروف زيارتها واجتمعت مع أساتذتها ومديرها الذي يجيد اللغة العربية .

ثم انتقلت من الجزيرة إلى « سبتة » بالباخرة ، ولما اقتربنا من مضيق جبل طارق على بضعة أمتار تغير الطقس وهطلت الأمطار الغزيرة وهبت العواصف بعد ما أزبد وجه السماء بالغيوم واضطرب البحر ، ولكن الباخرة ظلت سائرة تتهادى كأنها تهزأ بالطبيعة وأعمالها ، حتى بدا لنا جبل موسى ، وموسى هذا ابن نصير القائد العظيم الذي أدهش الغرب بثباته وإرادته . ولما قطعت بنا الباخرة شوطاً بعيداً ظهر لنا جبل طارق وقد سمي هذا الجبل على اسم الفاتح العظيم طارق بن زياد الذي أصبح ذكره خالداً على مدى الدهر .

ولما وقع بصري على المرج التاريخي الذي جرت فيه الحرب بين طارق بن زياد وجيوش المغرب ، خيل الي كأنني أشاهد السفن التي أحرقها الفاتح العظيم خيفة من أن يفر العسكر ، وكأنني أسمع خطابه العظيم المملوء بالحماسة والذي يستفز كل عربي حر ، أما المرج التاريخي فهو يرتفع مئة وخمسين متراً عن الأرض .

وهكذا سارت بنا السفينة إلى أن وصلنا مدينة «سبتة» فمكثت فيها بضع ساعات وعلمت أن عدد نفوسها ثمانون ألف نسمة كلهم من الأسبان

ومن حاصلاتها المهمة الزيتون والحبوب والعنب وغيره ، وعمرانها يحاكي الطراز الأوربي ،ولم يبق فيها من الآثار العربية إلا الشيء البسيط .

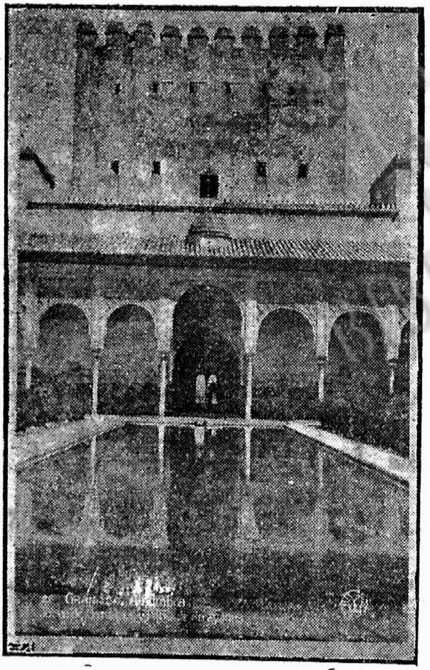
مدينة اشبيلية

غادرتها الى إشبيلية بعد أن قطعت السيارة مسافة ٢٨٨ كيلو متراً وإشبيلية عبارة عن جنة غناء تشبه غوطة دمشق ، وكانت الأرض مزينة بأشجار الزيتون وكروم الأعناب على شكل جذاب يدهش الإنسان وكان وصولي إلى إشبيلية ليلاً وفي الغد سرت إلى زيارة قصر ابن عباد الذي يحير العباد فإذا بي أرى جدرانه الداخلية موشاة بالفن العربي وشاهدت المكتب الخاص أو قاعة الحكم كما يطلق عليه لان الإسلام كانوا فيه يصدرون الاحكام الشرعية ، يدل على ذلك المقاعد التي لا تزال ماثلة للعيان ، ويبلغ ارتفاع جدرانه ٢٠ متراً وهو مزين بالفسيفساء ، وإلى جانبه قصر الامير الذي لايقل فخامة عن المسجد ، ولقد حوله الاسبان إلى كنيسة كما فعلوا بمسجد قرطبة وغرناطة أيضاً . والقصر المذكور روضة أريضة غرست على أتم نظام وإحكام ولا يكاد يدخلها الداخل حتى يعترضه ايوان عظيم تقوم في منتصفه بحيرة عربية الصنع وبجانب البركة زر لا يكاد يلمسه الانسان حتى تتصاعد الفوارات المائية كأنها السيوف العربية في مضائها ولمعانها ، وتهطل عندئذ من تلك الفوارات أمطار كأمطار السماء موزعة ههنا وههنا كأنها كف الجواد الذي لا يعرف التصريد اليه سبيلا ، وبكلمة موجزة أقول إن قصر ابن

عباد آية من آيات الفن أو إن شئت فقل هو السحر الذي يدل على عبقرية من بنوه وكانوا سر وجوده .

مدينة غرناطة

وقصدت بعدئذ غرناطة لأطلع على قصر الحمراء ، وكانت المسافة ٢٥٠ كيلو متراً قضيتها في تمتيع النظر بالغوطة التي كان يقطعها القطار وهي تشبه الغوطة التي قادتني منذ أيام الى قصر ابن عباد



من آثار الاندلس (قصر الحمراء)

وصلت مساء فأقلتني السيارة الى الفندق حيث أخذت نصيباً من الراحة ، وفي الصباح كنت صحبة السيد أحمد شهيد أحد أبناء تلمسان عندما زرت قصر الحمراء ، و كان يحسن اللغة الاسبانية وبواسطته تمكنت من الوقوف على كثير من الامور التي تتعلق بالآثار العربيــة الخالدة . ان قصر الحمراء أصبح اليوم محجة الناس من مختلف أقطار الارض ، فيه قاعة الحكم (حوش السباع) ، وحوش الريحانه ، وقاعة الاستقبال التي تدعى قاعة السفراء . ثم مسجد الملك وحمام الملك الذي ينتهي الى قصر الحرم من جهة الجنوب ، ولقد طمس معالمه شارلكان وبني مكانه قصره الفخم على الاسلوب القوطي .

ان أكثر الآثار قد انعدمت مع الأيام ، ولم يبق منها الا القليل الذي يدهش الابصار على قلته . ومسجد القصر حوّل الى كنيسة ، ولكن مهما ارتكبت حكومة الاسبان من ظلم وطمس لهذه الآثار الخالدة فلا تزال آثار العرب باقية ساطعة سطوع الشمس بفضل العرب على الثقافة العالمية .

أما قاعة الحكم والعدل فقد بناها السلطان يوسف الاول في أواخر القرن الرابع عشر ، وهي مربعة الشكل طول كل ضلع منها متر واحد ويبلغ ارتفاعها ٢٠ متراً والجدران منقوشة بنقوش بديعة جداً ومن جملة هذه النقوش يد مرتفعة إلى السماء وبجوارها مفتاح يشير إلى أن العدل مفتاح السعادة ، كما أن هناك خطوطاً عربية تفيد كلمات عز لمولانا عبد الله ، ولا غالب إلا الله . وفي الخارج بهو طويل من الجهة اليسرى ذو

أعمدة رخامية على طوله ، وبه كثير من النقوش العربية . وقد وضع الاسبان فيه قطعة من الرخام تشير إلى استيلائهم على غرناطة ، والى قاعة حكم حوش السباع ، وهو بلا نزاع أهم أثر عربي في اسبانيا شرع بعمله عام ١٣٨١ م ومساحته ٥٠ وعرضه ٣٩ متراً ، وعواميده من المرمر الخالص صفت بتناسب دقيق مرتبة اثنين اثنين ثلاثة ثلاثة إلى النهاية ، وقد خلت النقوش في السقف والجدران بالذهب الخالص . أما (حوش الريحان) فهو غرب حوش السباع وطوله ٦٠ في ٢٩ متراً وعرضه ٤٠ في ٢١ متراً وأرضه من الرخام . وفي وسطه بحيرة رخامية تسمى بركة السباع طولها ٥٠ متراً في ٣٦ وعرضها ٨٤ وعمقها متران ، يحيط بها سياج من نبات الريحان ، وحول البركة تماثيل من الاسود تخرج من أفواهها المياه العذبة . وإنه لمنظر فتان يأخذ بمجامع القلوب .

وبجانب هذا المكان العجيب قاعة الاستقبال أو قاعة السفراء وهي أكبر وأضخم من القاعة الاولى ، بناها السلطان ابو الحجاج بن يوسف أحد ملوك بني الاحمر ، وقد نقشت فيها عدة نقوش عربية رائعة يختلف أحدها عن الآخر .

مدينة قرطبة

وفي اليوم الثاني غادرت غرناطة إلى قرطبة وفي النفس أثر بليغ لهذه الآثار الخالدة التي لم يبق للعرب فخر غيرها ، وكانت المسافة ٢٥٠ كيلومتر وقد مررت بمناظر طبيعية تدهش الأنظار تتخللها أشجار الكروم الأعناب



أحد أبواب مسجد قرطبة التاريخية

والزيتون حتى كأني في بلاد دمشق . وكان وصولنا في اليوم الثاني مساء فمضيت تواً إلى الفندق ، حيث أخذت راحتي وفي الصباح أتاني الصديق الحميم يوسف أفندي حبيب لبناني الذي كنت اجتمعت معه في تطوان ، وكنت مسروراً جداً من هذه المصادفة لأنه يجيد اللغة الإسبانية ، وبواسطته تمكنت من الوقوف على كثير من الآثار الخالدة. أقلتنا العربة حتى وصلنا المسجد الذي هو آية من آيات الابداع والجلال والذي لم أشاهد له مثيلاً في العالم خلال رحلتي . ولما دخلنا بهو المسجد وجدت جدرانه مرصعة بالفسيفساء ، مزينة بالنقوش وبالآيات القرآنية والأحاديث

النبوية والأشعار ، وكلها مطلي بماء الذهب ، وقد أدهشني محراب المسجد خاصة لروعته وجلاله ، وبجانب المحراب غرفة خاصة للملك الذي كان يخرج منها إلى الحرم طوله من الشمال إلى الجنوب ١١٠ أمتار ، وقد ذكر المؤرخون أن في هذا المسجد ١٢٩٥ عموداً كلها من الرخام وتيجانها منقوشة وكانت فيه قبة تقوم على ٣٦ عموداً ، وبنى الإسبان كنيستهم في وسط المسجد إلى الجهة الشمالية الغربية بعد أن رفعوا بعض سقف المسجد .

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

غير أن هذه الكنيسة تعد أثراً ضئيلاً بالنسبة لاتساع المسجد وقد مكثنا ساعتين نجول في المسجد صحبة الدليل ، حتى لم نترك فيه شيئاً إلا زرناه . ولما انتهينا من المسجد ذهبنا تواً إلى السور نطلع عليه وإذا هو أيضاً آية فنية رائعة . وبجانب السور تقوم مطاحن تدور بواسطة المياه ، ويرى الناظر على بضعة أمتار قناطر شيدت لاجل حصر المياه .

***

أما مدينة قرطبة فجميلة ذات شوارع منظمة وأرصفة معبدة وأسواق تضج بالحركة والعمل ، وأبنية فخمة . وهي لا تزال محافظة على مسحتها الشرقية .

والقوم هنالك موادعون لطفاء ، يحبون الغريب ويعطفون عليه ، ونساؤهم متحجبات محتشمات للغاية ، والمعيشة جد رخيصة .

***

غادرت بلاد الاندلس وفي نفسي أثر عظيم لتلك الآثار الخالدة التي شيدها لنا الأجداد والتي لم يبق للعرب فخر غيرها ·

لله ما أمر الذكرى ! ان كل مشهد رأيته وأراه في سياحتي هذه يظلم له بصري وينزو قلبي ، فلا أجد ملجأ غير الذكرى ، فيزداد ألمي وحزني ، ولقد زخرت بي الذكريات في أرض الأندلس التي جبلت تربتها بدماء الاجداد الأُلى بنوا فوقها من دمائهم وأدمغتهم وإيمانهم مدنية راقية برهنوا بواسطتها للعالم بأسره على الذوق والفن والخلق العالي ·

ومن لا يبكي عندما يذكر عزاً استبدل بذل ، وغنى بفقر ، وعلماً بجهل ؟ ومن لا تدمع عيونه بديل الدمع دماً عندما ينظر الى حالة الاسلام اليوم وقد تفرقوا ايدى سبا ، وسيطر عليهم المستعمرون في كل الانحاء يسومونهم أنواع الحيف والخسف ؟ ! أترى الدهر يظل مجافياً والسماء ستبقى مظلمة حالكة لا يطلع فيها بدر الامل الزاهر ، ومتى نرى الامة العربية تحيا فتلد من جديد أمثال طارق بن زياد ، وموسى بن نصير ، وخالد ابن الوليد ، وقتيبة ، اولئك الذين رفعوا رأس العربي عالياً ؟

مدينة مدريد

غادرت قرطبة الى مدريد عاصمة البلاد الاسبانية بعد أن ركبت القطار السريع ليلاً ، فقطع بي غوطة غناء انتصبت فيها أشجار الزيتون كأنها الجيوش الجرارة ، و كنت أخالها كانها لاتزال مكتسبة لبعض

صفات العرب الذين عاشوا في تلك الاراضي زمنا ليس باليسير . وتأبى الآن إلا أن تبدي ما اكتسبته من رعاية الضيف وتكريم القادمين ، ألم أرها كالجنود منتصبة على جانبي الطريق ، تؤدي التحية للمسافرين ؟

تقوم مدريد عاصمة البلاد الاسبانية على بعد الف وأربعمئة كيلومتر من باريس ، ويبلغ عدد نفوسها مليون نسمة ، وهي مؤلفة من ٤٨ مقاطعة .

وبعد أن عاشت زمناً في ظل ملكها الفونس الثالث عشر خلعته في ثورتها الاخيرة وألفت جمهورية بتاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٣١ ثم كانت الحوادث الاخيرة التي وقعت على أثر الثورة والنزاع بين الحكومة والثائرين ، وإنها لحرب أكلت الاخضر واليابس ، وازهقت أرواح الالوف المؤلفة ، وعبثت بالحضارة والعمران ، وكانت دليلا واضحاً على الوحشية والفظاعة .

* * *

ولم يكد يقف القطار في العاصمة ، ولم أكد أضع قدمي على الارض حتى رأيت في انتظاري بعض الاصدقاء الذين ساروا بي إلى دار الصديق السيد أحمد خليع ، وهو مغربي الأصل وطالب في إحدى جامعات مدريد جمع بين النجابة والنشاط ، والخلق والثقافة . ولقد نصب نفسه لخدمتي جزاه الله خيراً ، فكان همزة التعارف بيني وبين طائفة من اخواننا العرب المغاربة الذين يدرسون في جامعات مدريد ، وأخص منهم بالذكر السيد أحمد بن يعيش شقيق حاكم العرائش والسيد أحمد العرب .

وفي مدريد البناء الضخم والآثار العربية ، وهناك القطارات

الكهربائية التي تسير في أنفاق الأرض ليلاً نهاراً . وإذا ما أراد أحدهم الركوب ركب سلماً حجرياً تنزل به تحت الأرض مسافة مئة وخمسين درجة ، وهناك مكتب تطل من نافذته فتاة تستلم من الراكب فرنكاً واحداً لقاء تذكرة الركوب التي لا يعمل بها إلا عند ما تؤشر عليها فتاة أخرى يصادفها الإنسان على بعد عشر درجات أخرى . ولقد لحظت أن أكثر العمال في أمور قطع تذاكر الركوب هم من الاوانس والسيدات .

وفي مدريد المعاهد العلمية والجامعات الكبرى المشهورة التي يقصد اليها الكثيرون وعلى الأخص سكان المغرب ، وهناك المتاحف الأثرية وقد اشتهرت منها متاحف التصوير الفني المختلف ، وأهم متاحف مدريد متحف الحكمة الذي حوى كثيراً من الآثار الشرقية والرومانية ، وازدانت جدرانه بمشاهير الرجال والملوك والفلاسفة ورجال الفنون الجميلة في العالم وهناك متحف « حوش برادو » الذي حوى من الآثار ما يحير الافكار فترى فيه رسوم العظام والنوابغ ، وتعثر أيضاً على النساء يمثلن أمنا حواء قبل خطيئتها ، ومما استلفت نظري مشهد امرأة جميلة تمثل عصر الجاهلية في الإسبان ، وقد وقعت بين أيدي أشخاص ، منهم من أمسك برأسها ومنهم من أمسك برجليها وهي بين هذا وذاك تصرخ وتستغيث ، ولا يخفى ما في طيات هذا الوصف من نكت خفية ترمز إلى التاريخ والاجتماع .

وفي مدريد مكتبة لا نغالي إذا قلنا انها من أعظم مكتبات العالم وقد أتاح لي الوقت زيارتها ، فلقيت عدة كتب لعدة مشاهير من العرب

كابن رشد وابن سينا وابن الدمير وابن خلدون وأضرابهم ، وهي تضم عشرة آلاف مجلد من أنفس المجلدات العربية ، وقد أخبرني مدير المكتبة بأنهم بحثوا ذات مرة عن كتاب لابن سينا فوجدوه بعد الجهد عند رجل مغربي فابتاعوه بثمن باهظ ، وهكذا نجد الحكومة الإسبانية ساهرة كل السهر في البحث والتنقيب على الآثار الفكرية العربية .

ولقد زرت خلال وجودي في مدريد رئيس الوزارة ، وكان بصحبتي حضرة الصديق السيد أحمد خليع الذي كان يترجم لي ، فإذا هو يعطف على العرب كثيراً وأخبرني بأن الحكومة الاسبانية تفكر بإرجاع مسجد قرطبة إلى المسلمين عما قريب ثم تفضل فأهدى إلي رسمه الكريم ، وأثبت كلمة في سجل الرحلة .

وكان بودي أن أزور رئيس الجمهورية الكلازمور ولكنه كان متغيبا عن مدريد .

المجلس الاداري

للجمعية الاسبانية الاسلامية

ننشر البيان الآتي عن أعمال الجمعية الإسبانية الإسلامية التي قامت بالأعمال المجيدة ، والخدمات الجليلة نحو العرب والإسلام ، وذلك باسترجاع مسجد قرطبة إلى العرب ، وتشييد مدرسة عربية في بلاد الأندلس ، وقد تقابلنا خلال رحلتنا مع أعضاء هذه الجمعية في مدريد

وتطوان، ونخص منهم بالذكر حضرة الوطني الكبير عبدالسلام بنونة وعبد الخالق التريسي، وفي مدريد السيد حنوش فرانتسي، والسيد أميليو بياندو أمين المال، والسيد تريكي دي رافلس، وعطوفة أمير البيان الامير شكيب أرسلان الذي تقابلنا معه أيضاً في صنعاء أثناء إبرام المعاهدة بين الملكين العربيين، والحق أن هذه الجمعية مفخرة لكل مسلم عربي، وقد أهدت الينا البيان الآتي ننشره لكي يطلع عليه العالم العربي الإسلامي:

إن تغيير النظام السياسي الذي نشأ في إسبانيا منذ أكثر من سنة بفضل إدارة البلاد الغالبة، قد حرر الشعب الاسباني من القيود التي كانت تقيد أفكاره، وتخنق وجدانه والتي كانت تحول دون إظهار عواطفه الكريمة بملء الحرية، وتحجزه عن السير نحو أفكار التقدم والتسامح، ونحو التقدير العادل الصحيح، لعظمة ماضيه التاريخي المجيد، والمعرفة التامة بالدور الجليل الذي يحفظه له المستقبل.

وبإعلان الجمهورية الاسبانية، كسرت إسبانيا جميع السلاسل التي كانت تربطها بنظام رسمي من الصلابة المذهبية، والتعصب الديني والبغض الشديد، واستطاعت إسبانيا بحرية أن تتصرف في فكرها وسلوكها.

وأنشأت دستوراً سياسياً واجتماعياً يسمح لها بكل حرية ورحابة فكر أن تلاحظ حاجتها الضرورية إلى عرض صداقتها ومحبتها ومساعدتها على جميع الشعوب دون ملاحظة للأديان والأجناس.

وهذا القصد الأدبي النبيل هو الذي أوحى إلى جماعة كبيرة من

الاسبانيين المتشبعين بالعظمة التاريخية والمجد الفكري اللذين كانا لإسبانيا في عهد السلطنة العربية الإسلامية بأن تنشئ في مدريد مركزاً فكرياً وبيتاً إسلامياً تتجدد فيه العلاقات الروحية ، والأسباب الأدبية ، والانعطافات الجنسية التي تربط الشعب الإسباني بالبلاد الإسلامية حيث الذكرى التي لا تنسى ، ذكرى خلافة قرطبة التي ظلت حية خالدة طيلة خمسة قرون تقاوم الخلافات والخصومات التي ولدتها سياسة مخطئة مقدرة من إسبانيا كانت كلها ممتلئة بالتعصب الديني، وضيق الفكر ، والكبرياء التي لا تطاق .

إن جمعيتنا الإسبانية الإسلامية مجردة عن كل ميل سياسي أو ديني يمكن أن يؤدي إلى مجادلات عنيفة أو مناقشات مكدرة أو يلقي الشبهة في قلب أي كائن كان وان غرضها الأساسي والوحيد ينحصر في ربط الشعب الإسباني مع أصدقائه المسلمين من كل بلاد العالم بتيار قوي من الروح والعاطفة . ان إسبانيا الجديدة ترغب في استعادة روابط المودة والصداقة المتينة الخالدة التي تضمنتها الأفكار والتقاليد والفضائل الموروثة ، عن ماض تاريخي ممتلئ بآثار سامية من الحكمة والعلم والمدنية . إن البيت الإسلامي الذي أنشأناه في مدريد يفتح أبوابه لجميع إخواننا المسلمين الذين سيلقون فيه روح التسامح والتفاهم ، وسيصادفون فيه ترحيباً صادقاً صريحاً ، وإخلاصاً تاماً في كل حين ، هذه الامور التي كثيراً ما يلتمسونها عبثاً في البلاد الأوربية الأخرى . إن

اخواننا المسلمين إذا حضروا الينا أو رغبوا عند السفر ان يعرفوا معرفة تامة إسبانيا ، هذه البلاد التي كان يعيش فيها أجدادنا عيشة رضية تحت سياسة حكيمة مسامحة ، فإنهم سيلقون في جمعيتنا أصدقاء حقيقيين مستعدين دائماً لمساعدتهم وإرشادهم حتى يزوروا بلادنا الجميلة ، فيعودوا وهم بها معجبون ولها محبون ، وإذا حضروا إلى إسبانيا فسيكونون في نفس بلادهم وسنبذل كل جهودنا حتى نجعلهم يشعرون تمام الشعور بأنهم في بلادهم نفسها ، ونحن بتقديمنا هذا المرقوم الموجز لغرضنا وهذه السطور الشاملة لبرنامجنا لا نطلب إلا مصادقتكم الطيبة ولا نسأل إلا مساعدتكم الثمينة على عملنا المتواضع ، وانما لنلتمس من معونتكم الأدبية المرغوبة أن تذيعوا بين أصدقائكم خبر جمعيتنا بقصد تقويتها وتأييدها كيفية وكمية وسنكون سعداء جداً عندما تسمحوا لنا بانخراطكم في قائمة مساعدينا ونراكم بين الأصدقاء الكثيرين الذين يعلنون عطفهم على عملنا ويقدرون المنفعة التي تنتج من خدمة غرضنا وانما لهذه المناسبة نقدم إلى حضراتكم تقديرنا العظيم واعتبارنا الفائق .

اللجنة التأسيسية
للجمعية التأسيسية الإسبانية

نبذة تاريخية عن البلاد الاسبانية

جاء في تاريخ المعجم وغادة الاندلس ما ملخصه :

ذهب براق بن عمار القائد الأندلسي (عدو الله الخائن) إلى روما وقابل الاذفونش في الفاتيكان ، وكان معهما دوق فينيزيا ، فقال ابن ازفونش لبراق : اعلم أيها البطل ان البابا قد استدعى بارونات أوربا وشاورهم في استرجاع مملكة اسبانيا من العرب فكن مساعداً لنا ؟ فقال براق : إن الأسد لا يصاد إلا بالمكر والخديعة ، وقد يستعين الصيادون بالخمر ، ولا يفل الحديد . فقال دوق فينيزيا: إن جيوش البارونات تسحقهم سحقاً في أقل من لمح البصر فقال: إن العرب يحافظون على دينهم وعلى حريمهم ، ولقد تفني القبيلة كلها محافظة على الشرف ، ولكنهم قوم كرام صادقون يأبون الكذب فهم يخدعون بسهولة بالظواهر الموهومة ، فاجعلوا بينكم وبينهم معاهدة على حرية الدين والتعليم بين أطفالهم والتجارة ، فان لم يتبعوا دينكم فهم على الاقل يهملون دينهم ، فيفقدون تلك الحمية الدينية التي تحببهم في الحرب ، فأما حرية التعليم فإنها تولدلهم علماناً شؤماً عليهم لأنهم يكونون مشغوفين بحب معلميهم ويبتعدون عن محبة وطنهم . فأما حرية التجارة فهي التي تضعضع شيئاً فشيئاً تمسكهم بأزيائهم ، فضلا عن تجارة الخمر ، نهي الآن محرمة فمتى شاعت بينهم أقدموا على المنكرات بلامبالاة ، وفقدوا النخوة والشرف وضعفت منهم العقول والجسوم ، وفشا بينهم الشر وساءت حالتهم وارتبكت

شؤونهم فيساقون كالأغنام ، ولا تنس يا حضرة الدوق ان التأنق في النعمة والبذخ والإسراف في الشهوات ، وإهمال سير الآباء والجدود ، من أقوى اسباب انحطاط الممالك القوية .

ثم بعد هذا اجتمع البابا مع عظماء النصرانية وقرروا إرسال هذه الشروط الثلاثة الى ملوك الاندلس فقبلوها ولم يلتفتوا إلى نصائح العالمين بغبتها لو طبقت في بلادهم ، فانتشر الرهبان في أنحاء الاندلس ، وأخذوا يبثون تعاليمهم ، وكانوا يجتمعون في أوقات خاصة للتشاور ، وقد شيدوا ضيعة على ضفة نهر قرطبة وسط البساتين ، وكانت متنزهاً جميلاً يؤمه العظماء والأمراء لاسيما أيام الآحاد .

قال صاحب التاريخ المسمى بالمعجم : لقد جددوا في عام هذه المعاهدة أربع مدارس كبرى على نفقة « دوق فينيزيا » أحد كبارهم ، وجعلوا التعليم فيها عاماً لمن شاء ، فأقبل العرب على تلك المدارس ، واختلطوا بالقسيسين والرهبان وتعلموا لغاتهم ، وجاروهم في عاداتهم وأخلاقهم ، وزاد الأمر في بلنسية فإن المبشرين والمعلمين تدخلوا في كل شيء لان نائب عدي عليها المسمى ابن ذي النون الغافري أطلق لهم الحرية التامة .

ثم أخذ القسيسون يرغبون الشبان في شرب الخمر حتى انهم لم يكتفوا بالخمر الوارد من أنحاء أوربا ، بل اشترى أحدهم عنب قرطبة كله وعصره خمرة وحلف أن لا يبيعها إلا لأكرم الناس عليه وهم المتعلمون من أبناء المسلمين في مدارس هؤلاء القسيسين ، ومرح الشبان بهذه الهدية فشربوا

الخمر نهاراً جهاراً ، وخلعوا رداء الحشمة والحياء ، وحقروا عوائد آبائهم ولبسوا الحرير ونبذوا الصوف والشعر وأهملت تعاليم البلاد وأخذوا يختلفون إلى نسوة في حانات النزلاء فيصرفون الليل هناك متهتكين متصابين في عشق العاهرات . وزاد الأمر حتى بلغ الامراء ، فإن المعتصم ابن صمادح صاحب المرية عشق فتاة رومية واغتصبها من أبيها فاستجار أبوها بجندل بن حمود ، فأرسل اليه يعنفه على ارتكاب مالا يليق بأدنى الناس فكان ذلك سبباً في الحرب بينهما ، فطلب ابن حمود من دوق فينيزيا والبابا وباروناته نجدة على خصمه ، ففرحوا للخبر وأرسلوا اليه سفناً تحمل جنداً تحت قيادة دوق فينيزيا فقهروا ابن صمارح وخربوا قصوره واحتلها جند الروم وأقام لهم ابن حمود الولائم ، وملوك الإسلام هنالك لا يبدون حراكا وهذه أول نتيجة المعاهدة

ولما رجع دوق فينيزيا إلى رومة قص القصص على البابا والبارونات فأيقنوا بتفرق كلمة العرب ، وان الوقت قريب لتخريب ممالكهم وتفريق شملهم .

وكان عدد المبشرين بالاندلس الفاً وعدد المعلمين بالمدارس التي عليها البابا ٤٨٥ وأنفق البابا من خزينته لترويج الخمر خمسمائة الف فلورين .

ثم حضرت الجيوش النصرانية فاحتلت بلنسية ، وأخذ الفرنجة في نهب المدينة ، وفضحوا البكر بحضرة أبيها والسيدة الجميلة بحضرة زوجها فكان الرجل يهجر المدينة تاركاً زوجته وأملاكه .

وقيل ان الذين قتلوا في بلنسية بسبب الدفاع عن العرض ١٣ الفاً ، والذين قتلوا لإبائهم الدخول في دين الغير ٣٠ الفاً ، واحترقت المدرسة الكبرى والجامع الكبير ، ثم أخذوا يتوسعون إلى أن امتلكوا الاندلس ، وجلس ابن الاذفونش في قصر الإمارة ، وأمر بإحراق المكتبة وفيها نيف و ٨٠٠ الف مجلد وقتل أربعة آلاف نفس ، وهدم الجامع الاموي بالمنجنيق وجعل مكانه فسقية . فاعتبروا يا أولي الابصار .

في باريس

في باريس

غادرت مدريد إلى باريس بالقطار السريع الذي تسيره الكهرباء ، فقطع بي مسافة ١٤٠٠ كيلو متر ، وكان وصولي إلى عاصمة الفرنسيس صباحاً .

نزلت إلى المحطة ، فإذا الناس عدد الرمال في الصحارى ، كلٌّ يهتم بشأنه ما ينظر إلى غيره ، فشعرت كأنني ولدت من جديد ، وكأنني لم أعرف الدنيا من قبل . وتصوّرت للحال بلادي ، والركود المستولي عليها فمضى فكري يقارن بين النفسية الغربية التي تعشق العمل والاضطراب وتميل إلى اللهو والأخذ بمتع الحياة ، وتتقيد بالنظام والترتيب ، وتعرف حدّ الواجبات والحقوق - وبين النفسية الشرقية التي قيدها الوهم وسيطر عليها الوهن ، وسامها الاستبداد الفردي الخسف والعسف منذ أجيال حتى استكانت وذلت ، قانعة بالقريب ، مهتمة بالتافه ، راضية بالسلامة الموقتة . ولم أفق من تصوراتي الا على صوت حمال يضع يده على حقيبتي طالباً مني بنغمته الفرنسية الجذابة أن أقبل خدمته .

أين أمضي وأنا لم أزر باريس من قبل ؟ وأي فندق أقصد والفنادق لا تعد ولا تحصى ؟ وهل أسأل أو ابتاع دليلاً ؟ لقد عراني التردد برهة ، ثم قرّ الرأي على أن امضي إلى فندق سمعت انه قائم بالقرب من

جامع باريس ، وهكذا كان فقد امتطيت سيارة أصاب مني صاحبها أربعين فرنكاً مع ان المسافة قريبة جداً .

وفي الغد قصدت إلى وزارة الخارجية ، وقابلت كاتم السر الذي أخبرني بأن الوزير مسافر في مهمة رسمية خارج العاصمة ، ولكن نائبه المسيو مرسيه موجود ، فطلبت مقابلته ، وسرعان ما لبى الطلب ، وكان بيننا حديث باللغة العربية ، لأنه يجيدها ، تناولنا فيه مشاهداتي في رحلتي ، وأخبار سورية وحالتها والنفوذ الأدبي الفرنسي فيها . وكان حضرته يظهر العطف الشديد على السوريين ، كما أنني استوحيت ما تحدثت به من ضميري ، فلم أوار أو أبدل الحقيقة التي أعرفها . وكانت صراحتي موضع إعجابه وسروره .

وكان للشورى في باريس مراسل فاضل هو السيد سليم سلوم رزق فلما زرته وقف نفسه على صحبتي . وأدى لي من الخدمة ما لا أنساه له .

***

والحق أن باريس تقف الأنظار فيها مشدوهة ، بينما تتحرك الأفكار معجبة بما تنقله اليها الحواس من مشاهد تبعث التأثير العميق وتوسع نطاق الخيال . ويستحيل على النفس أن تشبع من باريس وفتنتها وازدخار الحياة في أرجائها . إن الوقت يمضي سراعاً فيها . وكلما حاول المرء الانصراف عن مشهد اعترضه آخر ، وما هي إلا هنيهة حتى ينخرط في سلك المجموع ، آخذاً بما يأخذون كله او بعضه .

باريس ! محشر الناس لانها تضم ثلاثة ملايين نسمة من مختلف الاجناس

باريس! تبلغ مساحتها مئة وستين كيلو متراً. وتضيق بسكانها فتحاول التوسع وضم ما يحيط بها على مسافة بعيدة.

باريس! مجمع المتاحف والآثار الرائعة، ومسكن ربات الملاهي والمسارح، ومدينة الخلاعة والجمال والفن.

باريس! جنة الدنيا. أهلها لطاف المعشر، مقتصدون، تأخذهم العاطفة أكثر من العقل.

باريس! عاصمة فرنسه، وبلد السين، ومجمع الدوائر الرسمية والمؤسسات الصناعية والمتاحف الفنية، والمكتبات الثمينة، والآثار التاريخية، والمعاهد على اختلافها، ومركز الخطوط الحديدية والبرقية.

باريس! حيث الصناعة زاهرة، وعلى الاخص المجوهرات ولعب الأولاد والمأكولات والازياء والفرو والمواد التي تحمل طابع باريس.

باريس! أكبر المدن، وأوسعها وأغناها وأكثرها سكاناً بعد لندره؛ وأولها غناءً ببناياتها الشهيرة بعد روما، ومنها اللوفر، والقصر الملكي، والانفاليد، والبورس، ونوتردام، والبانتيون وغيرها.

باريس! المدينة التي يرجع فضل عمرانها جمالها إلى كثير من ملوكها أمثال سانت لوي وشارل الرابع وفرانسوا الاول ولويس الثاني عشر، أما لويس الرابع عشر فقد أغنى المدينة بكثير من البنى، وكذلك لويس فيليب ونابليون الثالث فقد وسعا فيها. وفي سنة ١٨١٤ دخلها الحلفاء، وفي سنة ١٨١٥ احتلها البروسيون والانكليز، وفي سنة ١٨٥٦ وقعت فيها معاهدة باريس التي وضعت حداً لحرب القريم، وفي سنة

١٨٧٠ ـ ١٨٧١ احتلها الالمان ، وفي خلال الحرب العامة الكبرى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ هددت مرتين من قبل الالمان، المرة الاولى عام ١٩١٤ قبل وقعة المارن والمرة الثانية في ربيع ١٩١٨ ولقد ألقت طيارات الالمان عليها القنابل .

وماذا أعدّد عن باريس ، وهي التي تردد اسمها الالسن وتتوق اليها الانظار ، ويحمل لها التاريخ في صفحاته آيات الإعجاب .

لقد زرت فرساي . وهي قرية تضم ٥٧٥و٦٨ من السكان ، تبعد ١٨ كيلو متراً عن العاصمة ، وفيها القصر المعروف باسمها ، وهو قصر تاريخي فخم كان موطن البرلمان الفرنسي من سنة ١٨٧١ ـ ١٨٧٨ يشتمل على ساحة مزينة بالنقوش الرائعة ، وفي القصر نفسه الذي يكمله التريانون الكبير والصغير وبنايات أخرى منفصلة . يرى الزائر متحفاً غنياً بالصور والنقوش التي تمتّ بالنسب إلى تاريخ فرنسه . وفرساي موطن رفات ملوك فرنسه كلويس الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر وشارل العاشر و كثير من العظماء والمشاهير : كالاب دوليتي وهوش وهودون ودوسي وأرنولت و الكسندر برتيه رغورغو .

وفرساي من عمل لويس الرابع عشر . وفي سنة ١٧٨٣ وقعت فيه المعاهدة التي انهت الحرب الاميركية . وفي سنة ١٧٥٥ اجتمع فيه مجلس الشرفاء . وفي سنة ١٨١٥ نهبه البروسيون . وفي سنة ١٨٧٠ أصبح معسكر الجيش الالماني . وفي فرساي وقعت في ٢٨ حزيران ١٩١٩ بين

فرنسا وحلفائها من جهة والالمان من جهة أخرى معاهدة الصلح التي وضعت حداً فاصلا للحرب العالمية الكبرى .

وزرت أيضاً اللوفر وهو متحف عظيم ، كان سراي الملك قدماً ، شرع ببنائه في عهد فيليب اوغست عام ١٢٠٤ وواصلوا العمل به في عهد فرانسوا الاول وهنري الثاني ولويس الثالث عشر والرابع عشر ، ولم ينته إلا عام ١٨٤٨ وأشهر مهندسيه : ليسكو ، اندرويه ، دوسيرسو ، لوميرسيه ، كلود بيرول ، فيسكونتي . ويعتبر متحف اللوفر اليوم أثمن متحف للآثار الفنية في العالم أجمع . ومما شاهدته فيه تاج مرصع بالجواهر ، ومن جملتها جوهرة طولها أنملتان وعرضها وعلوها انملة ، وهي في قفصها البلوري تشع كالشمس .

وزرت متحف الآثار ، وهو تاريخ قائم بنفسه يصور تطورات العصور التي مرت على فرنسه ، يقوم في بناية يتفرع منه أربعة أبواب كبرى ، وفيه الأسلحة القديمة مع الرايات منذ أقدم العصور وكذلك العمارات البحرية والتجارية بأشكالها المختلفة . وهناك حجرة خاصة بنسر أوربة نابليون بونابارت مشيدة أجمل تشييد بالرخام الاسمر . ولا أنكر على القارئ أنني ذرفت دمعة حارة وسط هذا المتحف لأنني ذكرت للحال أبطالنا الاشاوس ورجالنا الافذاذ ، ذكرت خلفاءنا وقوادنا وحكماءنا وعلماءنا ، والمزارات المهينة التي أُقيمت لبعضهم والنتيجة التي تحصل من زيارة العوام لهم ، وهي نتيجة لا تفيد في تأمين الغاية من تكريم العظماء ، بل تزيد الجهل وتغذي الوهم .

وزرت جامع باريز الذي يختلف اليه السواح ، وعلى الاخص الشرقيون ، ليشاهدوا عظمة بنائه وزخرف نقشه والذي علمته أن عدد المسلمين في باريس مئة الف تقريباً أكثرهم طلبة من تونس والجزائر والمغرب ومصر والشام وتركيا وفارس والحجاز والهند .

وبناء الجامع وضع على الطراز الأندلسي ، تتخلل سقفه الفسيفساء وتزدان جدرانه بالنقوش الجميلة ، وفي القاعة والحرم السجاد والبسط العجمية الثمينة التي أُهديت من قبل ملوك الاسلام ، وهناك منبران على على غاية من الإتقان أهدى الأول ملك مصر ، والثاني باي تونس . وفي الجامع عدة حجرات وخزانة كتب ثمينة . وموظفوه خمسة عشر ، وتلقى الدروس في الجامع باللغتين العربية والفرنسية ، وتقام الصلوات الخمس فيه يومياً ، وإذا مات مسلم في باريس حمل إلى الجامع حيث يغسل ويكفن ويصلى عليه ، ويحضر الصلاة عدة مئات من المسلمين .

ولقد اجتمعت بمديره سيدي قدور بن غبريط فرأيته يلتهب حمية على خدمة هذا الجامع ، ومما لفت نظري وجود مرظفين إفرنسيين تحت إدارة المدير ، والأئمة والمدرسون هم من المغرب والجزائر وتونس وعددهم خمسة عشر . أما الأئمة فهم السادة الامام التونسي الشيخ محمد المقداد أحد خريجي جامع الزيتونة ، والإمام الجزائري الشيخ علي الجيادي أحد علماء القسطنطينة ، والامام المغربي الشيخ ابو الحسن أحد أساتذة جامع القرويين في المغرب الأقصى .

والذي يجب أن لا ننساه أن الغاية من تأسيس مثل هذا الجامع في

عواصم الغرب ليس كما يتبادر لأذهان بعض السذج خدمة الإسلام ودينهم ، بل العوامل في ذلك سياسية بحتة .

ومما أنكرته ولا أزال أشعر بالاستياء كلما ذكرته ، هذا المقهى الذي أقيم بالقرب من الجامع ، وفيه تجري أمور يندى لها جبين الفضيلة ويخجل منها الحياء . ولا أزيد على ذلك .

وزرت منارة باريس أو برج «ايفيل» وهو أعلى أبراج العالم حيث يبلغ ارتفاعه ٣٠٠ متر وعرضه من الأسفل ستون متراً ، وبه ثلاث طبقات يصعد اليها بالآلات الكهربائية ، وبها « صاعد » إلى الطبقة الأخيرة . أما الطبقة العليا ففيها الأسلاك البرقية التي يخابر بواسطتها مع مراكز العالم أجمع . والمنارة من الحديد قائمة على أربعة أقواس . وهي مسماة على اسم بانيها المهندس « ايفيل » .

والذي لحظته أن المرأة في باريس ألطف النساء وأرقهن جانباً وأجذبهن حديثاً ، وأرشقهن مظهراً . وهي إذا كانت عاملة فلا بد لها من شاب يرافقها ويشاركها في حياتها حتى إذا التحمت الأسباب تزوجها ، وإلا اكتفت بالأيام التي قضتها معه وعلقت بغيره ، وهذا الصنف من النساء كثير ، ويمكن الحكم أنه ضحية تطور الحرية في العالم وسببه مشاركة المرأة للرجل بالعمل ، وأكثر حوادث الغرام تقع بين هذه الطبقة . والمرأة العاملة في اوروبة عموماً على هذا الشكل . والاستياء بادٍ على وجوههن ، لأنهن أدركن مساوئ حريتهن . وتتمنى الكثيرات الخلود

إلى البيوت يعملن فيها وسط العائلة ، ولكنهن لا يستطعن بعد التيار الجارف الذي اندفعن فيه .

ولا أنكر على القارئ أنني بعد كل ما قدمت عن باريس لم أخط عنها إلا القليل ، ذلك لانني لم أمكث فيها غير أيام معدودة ، فلم يتح لي التغلغل بين طبقاتها ، والوقوف على نفسية أهليها .

نحو مرسيليا

عزمت على مغادرة باريس إلى مرسيليا فعدن ثم زنجبار وإفريقية الشرقية وذلك في ٢٨ ايلول سنة ١٩٣٢ فذهبت مساء الى المحطة صحبة الصديق سلوم افندي رزق حيث ابتعت تذكرة إلى مرسيليا . ولما أزفت ساعة الرحيل ودعت الصديق وشكرته على مكارم أخلاقه .

سار بنا القطار طيلة الليل وفي الصباح وصلنا مرسيليا ، وهي مدينة عظيمة تدهش الزائر لما حوت من المناظر الطبيعية والعمران الفخم والشوارع المعبدة والحدائق الغناء ، وتعد من أكبر موانئ العالم التجارية تقع في جنوب البلاد الافرنسية سكانها ٥٨٦٣٤٠ نسمة ، طقسها جميل ، ويؤمها عدد عظيم من الناس .

وفيها شركات عديدة للبواخر منها انكليزية والمانية ويابانية وافرنسية وغيرها .

ويسكن هذه المدينة عدد وافر من أبناء الشرق .

وفي مرسيليا كثير من المدارس الابتدائية والثانوية

والمالية ، وفيها الصحف اليومية والاسبوعية ، والمعامل والمصانع، وأكبر شوارعها هو شارع كنبيار ، وفيها المسارح ودور السينما والرقص وغيره

والمرأة في مرسيليا تشارك الرجل في العمل ، والنتيجة ان هذه المدينة ذات حركة تجارية دائمة ، وهي من أهم الحواضر الافرنسية بعد باريس ٠

على ظهر الباخرة

وبعد أن مكثت في المدينة بضعة أيام ركبت باخرة مبحرة إلى عدن وكان ذلك صباح ٥ تشرين الاول ١٩٣٢ وقد كلفتني الاجرة في الدرجة الثانية مبلغ ٣٥٠٠ فرنك ٠ أبحرت الباخرة بنا تمخر عباب البحر ، ولبثت ثلاثين ساعة هادئة هدوء الحكماء ، سائرة بنشاط سير الموفق في هذه الحياة ، وكنت في خلال ذلك أمتع نفسي بالنظر إلى جبال فرنسة التي كانت تغيب عن نظري شيئاً فشيئاً ، ولا أكتم أني كنت خصصتها بقسم من عواطفي على سبيل الاعارة لأنني تمثلت فيها بلادي وجبالها اللطيفة ، ان المرء مفتون بوطنه وصورته لا يمكن أن نقاومه مهما غاب عنه ومهما تغلب به الزمان، لقد هفا القلب الى قاسيون والى صنين وتمثلت لي بلادي فاتحة ذراعها تضمني اليها، وإذا كنت قد شاهدت باريس وعظمتها وتنقلت في كثير من البلاد فأبصرت عجائبها ، وغمرت تلك المناظر عيني بالجمال، فإن ذلك كله لا يكاد يؤلف جزءاً بسيطاً من

مجموع الحب الذي أستشعره نحو بلادي ، ولا يكاد يكون ذلك الجمال شيئاً مذكوراً أمام الجمال الذي استوحيه من بلادي وأهلي ، لقد اختلط حب سورية بدمي وتغلغل في عمق أعماق نفسي حتى أني لأرى تلك القطعة العزيزة في كل مظهر رائع يقع عليه بصري ، وكل نغمة لذيذة تطرق صماخ سمعي ، وكل شعور يحرك عواطفي ، ولبثت مستغرقاً في مثل هذه الخيالات العذبة إلى أن قطعت أسباب تخيلي .

دوى عاصف فأفقت كالمذهول ، ونظرت فإذا البحر يرغي ويزيد كأنه الأسد المهتاج دار بجوفه الجوع ، فخرج يطلب فريسته ، أو كأنه الكريم الشريف نيل من كرامته وشرفه فغضب غضبه مضرية أو كأمة من الأمم المستضعفة ثارت في وجه غاصبها تطلب حقها في الحياة . هاج البحر وماج ، وأخذت الباخرة تقوم وتقعد كأنها اللعبة في يد ذلك الجبار ، فما أعظم الطبيعة ! انها حوت كل معاني الحياة ، وما الانسان في عواطفه ووجدانه وتفكيره إلا صورة مصغرة منها . هي أمه وأبوه . هي المعلم الذي أوحى اليه إذ كان مبتدئاً كيف يؤمن غذاءه بالصيد والقنص . وكيف يستر ضاحي جسمه بجلود الحيوان بل هي التي مكنته اليوم من اختراع الطيارات بتقليد طيورها ، واختراع الغواصات بتقليد أسماكها . ياللطبيعة ! ما أكثر أسرارها ! يحبها كثيرون ويبغضها كثيرون وبين هذا الحب وذلك البغض نجدها لا تهتم بأحد فتسير سيرها المنظم وتقوم بواجبها حق القيام ، فلنتعلم منها كيف نعيش وكيف نموت وكيف نغضب وكيف نحلم بل لنتعلم منها الدرس الأكبر وهو أن القوي

يأكل الضعيف ، وأن كل هذه المعاهدات التي تعقدها الدول الكبيرة ، وكل هذه المناورات التي تقوم بها تجاه الأمم المستضعفة ليست إلا من قبيل الاشراك والمصائد ، والعاقبة واحدة ما تتغير ولا تتبدل وهي تأمين المنافع وأشباع المطامع والعاقل من فكر فتدبر ونظر فاعتبر .

ظل البحر في هياجه الذي كان يتعاظم ويتفاقم حتى أعلن قبطان الباخرة وجود الخطر ، ولا تسل هنا عما اعترى المبحرين من الخوف والذعر ، وكيف لا يخافون ويذعرون والموت أمامهم يفتح فاه لالتهامهم لقمة سائغة ؟ .

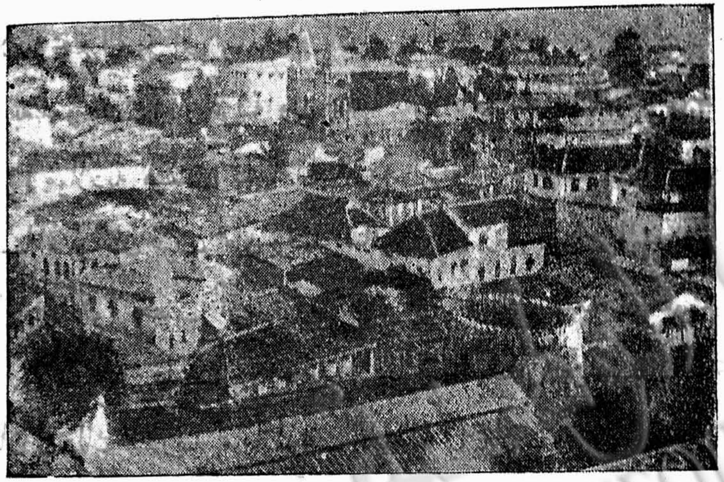
وزعت قطع الفلين على الركاب اتقاء الخطر عند وقوع المصيبة وصدرت الأوامر باليقظة والانتباه ولبثنا على ذلك ثلاثة أيام كانت أطول علينا من ثلاثة قرون لأنها ساعات خوف واضطراب ، ومثل هذه الساعات تتضاعف وتتجسم في نظر الناس ، كما أن ساعات الفرح والجذل تتناقص وتمر سراعاً كالبرق ، ومن هنا ندرك تأثير العواطف على الفكر ، وتأثير الافكار على العاطفة ، وأخيراً لطف الله وأزال الخطر ، فافترت المباسم وانفردت أسارير الوجوه وراح الناس يهنئون بعضهم بعضاً ، وكنت في هذه المدة أضحك من هزء الأقدار بنا ورفعنا وخفضنا من حيث لا يكون لنا يد في ذلك الخفض والرفع . ولما رست بنا الباخرة في بورسعيد أخذت نصيبي من الراحة ، ثم توجهت إلى عدن ونالني في البحر الأحمر بعض ما نالني من قبل ، لأن البحر كان هائجاً أيضاً .

وفي عدن وجدت بعض الأصدقاء والمعارف في انتظاري ، فشكرتهم على غيرتهم وأخص منهم بالذكر: الاستاذ محمد علي ابراهيم رئيس نادي الاصلاح ، ومحمد أفندي الأصنج، وعبد الله الحاج ، وفريق من اليمانيين . وقد أقام لي أعضاء نادي الاصلاح حفلة تكريم ، فشكرتهم على صنيعهم وكان مكوثي في عدن بضعة أيام توجهت بعدها إلى زنجبار .

افريقية الشرقية

افريقية الشرقية

زنجبار



مدينة زنجبار عاصمة افريقية الشرقية قديماً

لمحة تاريخية

أتيح لي زيارة زنجبار ، وقد علمت أنها كانت سابقاً عبارة عن جزيرة عظيمة واقعة على سواحل افريقية الشرقية شمال بلاد « موزابيق » وجنوب الصومال ، وتبعد بالباخرة ٣٥ ميلا عن منطقة « تنكابنكا » وعاصمتها (دار السلام) وعن منطقة « كبنبا » وعاصمتها (مياسة) ٦٠ ميلا . وبين زنجبار ومدغسكر جزر ثلاث « هنزوان ، ميون ، مواني »

وأما مدغسكر فهي مستعمرة افرنسية هيمنت عليها فرنسا منذ خمسين سنة وسنفرد لها بحثاً خاصاً .

لقد مر على بلاد افريقية الشرقية ادوار سياسية هامة ، قبل دخول الاسلام اليهافي عهد عبد الملك بن مروان، ولما ضعفت السلطة العربية في هذه البلاد رجع الحكم إلى أبنائها ، وكان أشبه بالعهد الاقطاعي . ومنذ زمن غير بعيد وجدت آثار عربية وفي جملتها نقود باسم عبد الملك . وفي سنة ١٦٠٠ ميلادية هيمنت عليها الحكومة البرتغالية ولعبت دوراً هاماً فيهـا ، وكان عرب عمان وقتئذ يسافرون إلى زنجبار باسم التجارة . ولما أدركوا خصب أرضها وما تدره من الخيرات طمحت نفوسهم الى الاستيلاء عليهـا ، فعمدوا لحاكمهم سلطان بن سيف الذي كان في ذلك التاريخ اماماً لمذهب الاباضية في عمان ـ وحمسوه وحفزوه للاستيلاء عليها ، فجهز جيشاً من العرب وأغار على تلك البلاد بأسطوله العظيم الذي يحمل العدد والرجال . واستولى عليهـا عنوة واقتداراً وذلك سنة ١٠٧٠ ه الموافق ١٦٦٠ م ، وقـد انتصر على حكومة البرتغال في جميع المواقع فأجلاهم عن تلك المنطقة، ولما استتب الامر للامام سلطان وفتح البلاد عامة ، وشكل حكومة عربية كبيرة في هذه البلاد الشاسعة ، رجع إلى عمان بعد أن عين عمالا من طرفه ، وأول حاكم عين على هذه البلاد هو الشيخ حمد شيخ قبائل المزارعة .

ولما أصبح الحكم بيده شق عصا الطاعة على إمامه ، وعلى أثر هذا

العصيان أرسل الامام ولده «سيف» مع قوة عظيمة لمحاربة قبائل المزارعة .

ونشبت حرب شعواء انتصر فيها الشيخ سيف على اعدائه واعترفوا بسلطته مرغمين وأذعنوا اليه ، وفي تاريخ ١١١٠ ه الى ١١١٤ ـ ١١٢١ الموافق ١٦٩٦ م هاجم البرتغاليون هذه البلاد وجرت حرب تشيب لها الاطفال بين العرب والبرتغاليين وكان النصر للاخيرين بعد أن دامت الحرب عشرين سنة .

ولما كانت سنة ١١٤١ ه الموافق ١٧٣٠ م هاجم العرب البرتغاليين وطردوهم بتاتاً حتى لم يبق لهم أثر ، وقد أطلق على الامام سيف لقب أمير القوم ، وفي تاريخ ١١٨٣ ه الموافق ١٧٤١ م ، توفي الإمام سيف نخلفه الامام احمد بن سعيد وذلك سنة ١١٨٥ ه ، ولم يكن من العائلة المالكة حيث ان من عادة الطائفة الاباضية عند وفاة الامام فيها ان ينتخب امام يليق بهذا المركز .

ثم ان الامام احمد بن سعيد جعل عرشه في عمان وعين من طرفه عبد الله جعد حاكماً على زنجبار ، وقد اعترضت قبائل المزارعة على الحاكم فأخرجوه بالقوة من زنجبار .

ولما علم الإمام أحمد بهذه القضية عين ولده المسمى سعيداً ، وكان عالماً جليلاً محباً للخير ، فملك قلوب القبائل عامة ، وفي تاريخ ١٢٤٣ ه الموافق سنة ١٨٢٨م زار الإمام أحمد زنجبار فحث الناس على زراعة «القرنفل» وهو أول من جلب هذه الشجرة إلى هذه الديار من بلاد

الهند ، فكانت منبع ثروة أبناء البلاد فيما بعد وعليها تتوقف حياتهم . وفي تاريخ ١٢٤٧ هـ جعل عاصمة ملكه مدينة زنجبار ، وخلف من طرفه أحد أقاربه على عمان و كان بين الحين والآخر يزور عمان متفقداً أحوال الرعية ، وفي عام ١٢٥٢ هـ الموافق ١٧٣٧ م عينت الحكومة الانكليزية قنصلاً سياسياً فعقد مع الإمام معاهدة ودية سياسية و كان ذلك في زمن السلطان أحمد بن سعيد الذي كان رجلاً إدارياً حازماً مفكراً ينظر إلى المستقبل ، كما كان مصلحاً عظيماً ،ودام ملكه ٥٢ سنة ، فلما توفي خلفه ولده سعيد ولكنه لم يجلس على العرش إلا قليلاً لأنه مات وقد خلف خمسة من الأولاد وهم : ماجد وبرغش وخليفة وعلي وتويني ، وكانوا مهذبين متعلمين ، وقد تولى الحكم من بعد أبيه ماجد ، و كان عاملاً محباً للخير ميالاً لترقية بلاده . وفي سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦١ م انفصلت عمان عن زنجبار ، فكان الحاكم على عمان ابن عم السلطان ماجد وهو تركي وأصبحت مستقلة ذات سيادة لا تعترف بحكومة زنجبار بتاتاً وفي ذلك التاريخ نرى الأيدي الانكليزية بدأت تلعب دوراً هاماً للاستيلاء على إفريقية الشرقية مباشرة . وكان سبب تدخلها في شؤون هذه البلاد هو أنها استأجرت من حكومة زنجبار عشرة آلاف ميل من سواحل « كنيا » باثني عشر ألف جنيه ، وبهذه الواسطة استطاعت أن تهيمن على هذه البلاد بكل سهولة كعادتها ، وفي سنة ١٢٨٢ هـ توفي ماجد فخلفه برغش وعين سلطاناً على زنجبار ، و كان مخلصاً فسعى لترقية بلاده ، وقد سافر إلى أوربا فاطلع على مدنيتها ورقيها ، ثم زار مصر فكان معاصراً

للقائد الكبير محمد علي باشا ، مؤسس العائلة الملكية المصرية ، واستقبل آنئذٍ استقبالاً شائقاً من قبل محمد علي باشا ، ولما رجع إلى بلاده أدخل الإصلاحات العظيمة فشيد المدارس وأرسل منها البعثات العلمية إلى أوربا ، وعبد الطرق والشوارع حتى أصبحت زنجبار مزدهرة في زمانه وكانت تلقب عروسة إفريقية الشرقية ، ومن آثاره الباقية قصر عظيم يسمى بيت العجائب وقد جعلته الحكومة الانكليزية مقراً للحكومة بعد ما عبثت بكثير من الآثار الهندسية العربية ، والنقوش المذهبة المكتوبة على الجدران ، وهي ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية طمستها الحكومة الانكليزية ، حتى لم يبق من أمرها سوى أنها آثار عربية ، ولا غرابة فذلك شأن المستعمرين عندما يحتلون بلداً أو مدينة ، وهذه إسبانية في بلاد الأندلس أكبر شاهد فإنها عندما احتلت تلك البلاد العربية التي هي مفخرة للعرب لم تتورع في الانقضاض على الكثير من الآثار والعبث بها وتحويرها ، ولقد حدثني بعض الأعيان أثناء وجودي في زنجبار عن آثار السلطان برغش الخالدة وبيت العجائب الذي شيده فكان آية من آيات الابداع والجلال ، وأخبرني أنه هو الذي مد الخطوط اللاسلكية من زنجبار إلى عدن وبمثل هذه الأعمال المجيدة التي قام بها لفت أنظار الدول الأجنبية ، فعقدوا مؤتمراً دولياً مؤلفاً من ألمانيا وانكلترا وإيطاليا غرضه تحديد منطقة حكومة برغش ووضع الحدود بين زنجبار « ومكديشو وحافور » التي كانت عاصمة الصومال ثم صارت مستعمرة إيطالية بحتة .

وظل السلطان برغش يسعى حثيثاً في ترقية بلاده ونجاح أمته ضاربا عرض الحائط بمساعي الدول الأجنبية ضده . ولقد استطاع أن يوجد عشر بواخر لحمل البضائع التجارية والحجاج الفقراء مجاناً ، وكان يعمل على إنهاض أمته ، وتخليصها من أيدي المستعمرين ، وأخذ يفكر في إيجاد وحدة إسلامية ، وتشكيل جبهة قوية ، ومن المؤلم أنه لم يجد من الحكومات الإسلامية عوناً على تنفيذ خططه ضد المستعمرين ، ولذلك أسباب أهمها فقدان روح التضامن والوفاق ، ولقد استولى اليأس على السلطان برغش حتى مات هماً عام ١٣٠٥ هـ . وفرحت بذلك انكلتره أي فرح لأنها علمت أن الفرصة سنحت لها للتدخل بشؤون حكومة زنجبار ، وقد سعت حتى عينت من بعده خليفة ابن سعيد وكان لا يهتم بشؤون الأمة ، وهمه من الدنيا أعراضها الفانية وأول إساءة ارتكبها أنه منح امتيازاً لشركة إنكليزية تدعى «مكنزن» كي تستثمر معادن البلاد ، ثم منح الحكومة الألمانية امتيازاً أيضاً من شأنه أن يكون لها في منطقة «تنكا بنكا» وعاصمتها دار السلام ٦٠ ألف ميل مربع ، حتى غدت بعد قليل مستعمرة ألمانية بحتة والنتيجة أن المذكور أضر البلاد بتمهيده السبل للاستعمار الأجنبي ولقد توفي سنة ١٣٠٧ هـ الموافق في ١٨٩٠ م فعقبه أخوه علي بن سعيد وما كاد يتولى الحكم ويجلس على العرش حتى أعلن الحماية الانكليزية على بلاده ولم يكتف بهذه الجريمة حتى زاد عليها أنه باع منطقة تنكابنكا للألمان بأربعة ملايين مارك ، وهي تعد من النفوس عشرة ملايين نسمة جلهم من المسلمين فهو

إذن من الفئة الضالة التي ساعدت الأجانب على احتلال بلاد العرب والاسلام طلباً لحطام العاجلة وتأميناً على المراكز . والوسيط الأعظم للأجانب في زنجبار هو الشيخ سليمان الناصر ، الوزير الفخري في حكومة زنجبار ، فقد كان يلعب على الحبلين ما بين ألمانية وإنكلترا ، وعلى أثر الخدمات التي خدم بها الحكومة الألمانية خاصة عين حاكماً على منطقة « تنكا بنكا » ، وهكذا أصبح اكبر مثري في البلاد . ولما نشبت الحرب العالمية ما بين إنكلترا وألمانيا في هذه المنطقة ، كانت كفة الانكليز هي الراجحة فاستطاعت أن تهيمن على معظم إفريقية الشرقية ، وأصبحت هي الآمرة الناهية . فراح الشيخ سليمان يتملق للانكليز ، حتى حاز مركزاً سامياً ، ويوجد في ممباسة الشيخ علي السالم ، وهو عربي اسماً انكليزي فعلاً ، لا يزال في قيد الحياة . وقد حدثني أحد الأصدقاء أثناء زيارتي لمنطقة ممباسة أن هذا الرجل نظراً لحبه للانكليز وتفانيه في خدمتهم أصبح يكره بني قومه ودينه ويبتهج فرحاً وسروراً عندما يزوره رجل انكليزي ، فيغدق عليه النعم ، ويقيم له الحفلات والولائم .

ولنرجع إلى السلطان علي فقد كان تاريخه خزياً وعاراً ، ولما توفي عام ١٣١٠ هـ عينت الحكومة الانكليزية بعده سلطاناً على البلاد حمد بن تويني فاعترضه خالد بن السلطان برغش الذي هو أحق منه بالملك لأنه ولي العهد الأصلي ، وقد جرت بينهما حرب شعواء ، لكن الحكومة الانكليزية ساعدت حمد على خصمه حتى انتصر ، وأرادت الحكومة

الإنكليزية أن تلقي القبض على ولي العهد خالد ، فهرب إلى قنصل المانية فأنقذه وحافظ على حياته . وفي الحقيقة أن خالداً المذكور كما حدثوني عنه كان رجلاً مخلصاً لأمته وبلاده وقد أراد أن يعيد ذكر أبيه برغش ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه :

وفي عام ١٣١٤ هـ توفي السلطان حمد المذكور دون أن يترك وراءه غير الذكر السيء . والمرء حديث بعده

أسباب استيلاء الانكليز

على زنجبار وافريقية الشرقية

قلت ان السلطان حمد توفي عام ٣١٤ هـ ولم يترك وراءه أقل ذكرى حسنة وقد تولى من بعده السيد حمود بن محمد ، ومنذ جلوسه على العرش أخذ يفكر بتحسين العلاقات السياسية مع الانكليز الذين لعبوا لعبتهم كما بينا ، فقام ببعض إصلاحات في المملكة مقتفياً أثر السلطان برغش . ومن أعماله أنه أوجد بعض بواخر تجارية تنقل الحجاج الفقراء مجاناً ، وأرسل ولده علياً إلى أوربه يرتشف من مناهل مدارسها . وفي سنة ١٣١٦ توفي فتولى من بعده السيد علي الثاني وكان لا يتجاوز من العمر العشرين فاستغل الحاكم الانكليزي هذه الحالة وراح يتدخل بشؤون الحكم ويشرف على أعمال السلطان بدعوى أنه لما يراهق وبقي كذلك يأمر وينهي حتى سنة ١٣٢٢ هـ حيث ترعرع السلطان وكبر

فاستلم زمام الحكم وبدأ يهتم بتحسين أحوال الرعية وكان مقداماً غيوراً بذل كثيراً في سبيل ترقية أعمال المعارف وأوجد محكمة نظامية ومستشفى ثم منح شركة أميركية امتيازاً بتوليد الكهرباء في المدينة ، وكان يظهر عداوة علنية للانكليز ، وله مواقف شريفة مع الحكام الانكليز ، وعلى أثر المعاكسات التي أبداها قرر المندوب الانكليزي إسقاطه من العرش ، وكان السلطان ينتمي إلى الماسونية فزار يوما من الأيام محفله فنصحه الإخوان بالاستقالة ، وفعلاً قدم في اليوم الثاني استقالته وعينت الحكومة له ولأنجاله راتباً قدره سبعة آلاف روبية ما دام في قيد الحياة ، وقد جعل إقامته في باريس حيث قضى أواخر أيامه ٠

ولما زرت زنجبار أقام لي ولده الأكبر السيد سعود حفلة شائقة حضرها نخبة من الأفاضل ، وقد وجدت فيه شاباً مهذباً فاضلا ، وعلمت أنه درس في مصر ، وهو اليوم في العقد الثالث من عمره ، وشكله حبشي اللون ، وشعره كشعر الزنوج ، ذو قامة طويلة ، ولسانه فصيح ، وله أخ صغير يشبهه ، وما كنت أصدق أنه هو نفسه الأمير لغرابة شكله ، على أن بعض الأصدقاء حدثني عن السبب ، فبطل العجب ٠ فإن من عادات الامراء والسلاطين في زنجبار أنهم يتسرون النساء الزنجيات ، وربما بلغ عدد سراري أحدهم المئات ! فكان من ذلك أن أولادهم يخرجون سود اللون ، والأبيض نادر بينهم ، ولتسريهم بالزنجيات سبب هو أن نساء العبيد أرضى وأشبع لنهامة شهواتهم ٠ ولله في خلقه شؤون ٠

وبعد أن قدم السلطان استقالته عينت انكلترة السلطان الحالي خليفة

ابن تويني واشترطت عليه أن لا يتدخل بأي شأن من شؤون الدولة ، فرضي بذلك ولقد عينت له في كل سنة اثني عشر ألف روبية وهكذا سرعان ماصار صنيعة الحكومة الانكليزية واستسلم إلى شهواته البهيمية شأن أصحاب القلوب المريضة .

***

وعندما كنت في عدن رغبني كثير من الاصدقاء بزيارة زنجبار التي تحمل عنوان اسم عربي ويحكمها سلطان عربي ، فلما أن عزمت على زيارتها أبرقت قبل مغادرة عدن إلى السلطان بقدومي ، كما هي عادتي عندما أزور الملوك والسلاطين والامراء ، مخافة أن تكون الابواب موصدة بوجهي .

وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٣٢ كانت إحدى بواخر شركة مساجيري الافرنسية على وشك الاقلاع ، فركبتها . وسارت بنا الباخرة تتهادى كالعروس ، أو كأنها قلة من القلل وقطعة من جبل . سارت تمخر عباب البحر ، والحق انها من البواخر الممتازة بما حوت من أسباب الراحة والتسلية على اختلاف أصنافها . وكانت المشاهد التي تعترض نظري مما يبعث السرور إلى أعماق النفس ، فأشعر بروحي تتوسع ، وبكياني يتجدد .

وفي الباخرة عرفت الشيخ يوسف بن سعيد من شيوخ الصومال ، وهو يجيد العربية وذو آراء ثاقبة ومعلومات واسعة ، وكان حديثنا وهن المسلمين وانحطاطهم وشقاءهم .

قضينا ثلاثة أيام بين الماء والسماء ، ومهما يكن فإن في السفر ما يبعث الضجر خصوصا إذا امتد الزمن ، وجمدت العين على مناظر ماتتغير ، إلا أنني حمدت الله أن في الباخرة ما يسلي ، فقد كانت أسراب الفتيات الغربيات يذهبن السأم بدعاباتهن اللطيفة ، ومرحهن الخفيف ، وجمالهن الاخاذ ، كما ان الموسيقى كانت تؤدي خدماً عديدة بما تبعثه في أرواحنا من الهدوء الشعري والنشوة الحالمة ٠

وأخيراً اشرفنا على بلاد الصومال ، وما هي إلا ساعة حتى رست الباخرة في ميناء مدينة مكديشو ، والتفتُّ إلى صاحبي استوضحه حالة هذه البلاد ؟ فإذا به ممتقع اللون ، حائر النظر ، مضطرب الفكر ، فعجبت لحاله ، وبعد لأي علمت انه ممن غضبت عليهم ايطاليه ، فنزحوا عن اوطانهم مكرهين ٠

ومما ذكره أنه كان ونفراً من الغيُر على بلادهم يغزون سفن الأجانب التي ترسو على السواحل وأن الصومال كانت أغنى بقاع المحيط وأخصبها تصدر سن الفيل والعاج والعنبر وجلد النمور والأسود والسمور والسمن والصوف وأصناف الحبوب ٠

استيلاء الطليان على الصومال

وتفصيل استيلاء الطليان على الصومال أن هذه الدولة أوجدت شركة تجارية بالاتفاق مع الحكومة الوطنية رغم المعارضة الشديدة من الخلصان لاوطانهم لأن الذهب الذي نثر أعمى أبصار الأعيان ، وصم

آذانهم عن سماع الواجب ، وأفسد عليهم ايمانهم فباعوا أوطانهم ومكنوا نفوذ أعاديهم في عقر ديارهم .

حذت إيطاليا في استعمار الصومال حذو الانكليز عندما استعمرت بلاد الهند ، فعلقت مخالبها باسم الشركات التجارية ، ثم بدأت توسع نفوذها ، وتمكن لأقدامها ، وتهيأ لجني الثمرة الأخيرة ، ولما شعرت أن الوقت قد حان ، وأن السياسة لم تعد تجدي ، لأن الأفكار تنبهت ، عمدت إلى الشدة ، فهاجمت البلاد بقواها الحربية ، فكانت الطيارات تصب نيرانها من السماء ، والمدافع ترسل قذائفها الجوية من الارض ، والسكان يلفظون أنفاسهم ، لا لذنب اقترفوه سوى أنهم ضعفاء عزل من السلاح . ولكم ارتكبت فظائع تشيب الرؤوس ، من هتك أعراض وتعد على الكرامات ، وسلب ونهب وتهديم وإحراق ، مما لا يرضاه وجدان ، ولا يقبل به إيمان ، ويعد لطخة عار في جبين مدنية هذا الزمان . ولو كان الصوماليون على حذر ، يدركون ما ينتظرهم من خطر ، ويهيئون العدة للدفاع عن بيضة أوطانهم لما جرؤت إيطاليا ولا غيرها على مهاجمتهم والتنكيل بهم . وهكذا صح فيهم قول الشاعر :

أحسنت ظنك بالايام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وبعد حين استأنفت الباخرة سيرها ، ولكنها ساعات معدودة واذا بالجو يتلبد ويكفهر ، والرياح تعصف وتزأر ، وإذا بالبحر يموج مهتاجاً والباخرة فوقه كالكرة في يد المجنون يتقاذفها غير مبال بما تحمل من قلوب خافقة ، وعيون

دامعة ، ورؤوس طائشة . حقاً إنه لموقف رهيب ذكرني خطر البحر الابيض المتوسط ، إذ كنت عائداً من أوربة . والحمد لله أن الخطر لم يلبث أن زال ، فعادت الطمأنينة إلى المبحرين ، فأقاموا الحفلات الضاحكة ، ورقصوا وغنوا وعربدوا حتى مطلع الفجر حيث صاح مناد أننا أمام زنجبار .

نزلت إلى اليابسة مع غيري من الركاب، فاعترضنا مأمور الجوازات . وقل عنه إن شئت فرعون الزمان ، أوأحد آلهة الحياة ، أو نمرود الطبيعة ، لأنه سيد الموقف يأمر وينهي ، ويرحم ويظلم ، كما يشاء وتشاء أهواؤه وليس أهون عليه من أن يرفض مرور مسافر فيكرهه على الرجوع من حيث أتى دون أدنى اعتراض . ولما وصل إلي طلب جواز سفري فرضخت به للحال ، وبعد أن حملق فيه طويلاً كأنه ألغاز وطلاسم يحتاج فكها إلى زمن طويل وتفكير عميق صاح بي : أأنت صحفي ؟ قلت نعم فهز رأسه هزة أدركت منها امتعاضه الممزوج بالخوف . ثم قال : وأين ضمينك ؟ قلت السلطان فتعجب وابتسم ابتسامة شاحبة وأردف : وكيف ذلك ؟ قلت لقد أبرقت اليه بقدومي ، وعدا ذلك فأنا أحمل كتاباً إلى الشيخ سليمان الناصر رئيس الوزراء ، وها هو . وكأن هذا كله لم يرقه ولم يكف لتبرير نزولي في جنة الله فوق الارض ، فطلب مني مسائلاً : إذا كان لدي دراهم كافية ، فأخبرته أن بيدي سفتجة على أحد المصارف بعشرة آلاف فرنك . ولم يقنعه هذا أيضا حتى سألني عن المدة التي

أقضيها في « فردوسه » فعينت له نصف شهر ، وهنا انتهى الاستجواب ورخص لي بالنزول .

مضيت إلى الفندق ، وفي الصباح قصدت إلى دار رئيس الوزارة لاسلمه الكتاب الذي أحمله من أحد أصدقائه ؛ وكان في الباب خادم فاستأذنته بالدخول على سيده ، فمضى إليه يخبره وغاب نصف ساعة عاد بعدها يعتذر قائلاً : إن حضرة الوزير لا يمكنه أن يقابل غريبا قبل أن يستحصل إجازة من المندوب الانكليزي . فابتسمت ورجعت ، وفي الطريق كنت أتخيل الاصنام الإنسانية المتحركة بإرادة غيرها ، وتسلط الانكليز على مقدرات الشعوب الضعيفة ، وذهاب ريح الإسلام ، بعد موت الإيمان في قلوبهم .

ولم تمنعني هذه المفاجأة الاولى ، وهذه العقبة التمهيدية من مواصلة عملي والثبات أمام غايتي ، فقصدت للحال ديوان السلطان متخذاً عذراً في الدخول عليه برقيتي التي أرسلتها اليه . وأول من اجتمعت به كان الشيخ سيف بن سليمان أحد أخصاء السلطان . ولقد طمأنني عن وصول البرقية ، وأخبرني أن لا سبيل إلى الاجتماع بحضرة السلطان قبل موافقة المندوب الانكليزي . قلت وأنا أخفي عرفاني بحقيقة الامراء ونفوذهم الواهي : « ولكن السلطان عربي ، وأنا عربي ، والارض عربية ، فما دخل المندوب في الامر . لقد أتيت من أقصى المعمورة لزيارتكم ، افيكون أمر المقابلة وقفاً على الانكليز ؟ قال عبثا تحاول ، فإن المندوب هو

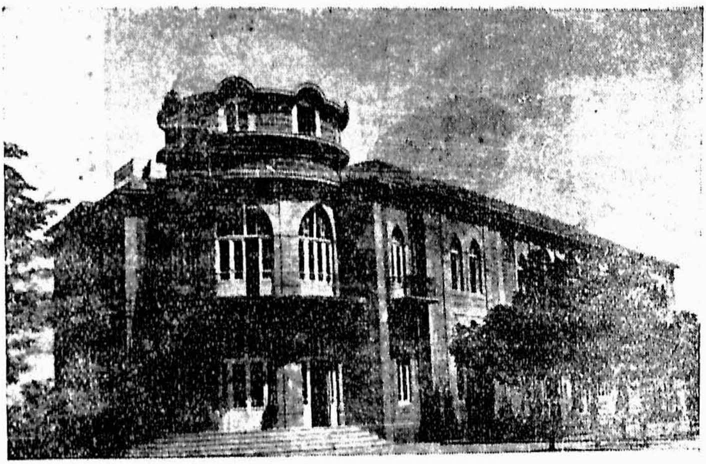
الآمر الناهي وهو السلطان الحقيقي، ولولا ثقتي بك لما خاطبتك بهذه الصراحة

ولم أجد بداً حينئذ من تحويل النظر إلى ذلك المندوب . ولما قابلت كاتم سره وأعلمته بغايتي، قابل رئيسه وعاد يحمل إلي النتيجة، وهي ان المندوب يعتذر عن مقابلتي، ويرجو أن أكتب إليه رسمياً بطلبي وغايتي ففعلت طالباً منه السماح لي بمقابلة السلطان وزيارة المعاهد والاطلاع على الآثار التاريخية، فرفض المندوب المطلب الأول، وأحالني في بقية مطلبي على كاتم سره .



سلطان زنجبار السيد خليفة بن توبني

والذي وقفت عليه من أخبار سلطان زنجبار ، انه رجل ضعيف الارادة ، يعيش عيشاً متشابهاً لا جديد فيه وأمته لا تستفيد منه أقل فائدة . وهو يتقاضى المرتبات الضخمة ، ويقضي حياته في قصره متمتعاً باللذائذ التي يهصرها شرباً وتمتعاً بالزنجيات ، ويعتز أن ثلة من الجنود تحييه قادماً وذاهباً ، كما هي العادة عند أمراء البحرين ومسقط ولحج وملايو ، ويفاخر بالأوسمة التي أنعم بها عليه أسياده المستعمرون .. وهكذا يعيش فرد عيش التبلد وتموت أمة بأسرها بين أنياب الجهل والذل والظلم . فياويل الشرق من امرائه وزعمائه !!



قصر سلطان زنجبار

اقوال عامة عن زنجبار

زنجبار عبارة عن جزيرة واقعة في الدرجة السادسة من خط الاستواء مساحتها ٦٨٠ ميلاً مربعاً ، وعدد سكانها مئتا ألف نسمة ، منهم ١٥٠٠ آجنبي و ٣٠ ألف هندي ، والباقون مسلمون · ومن حواضرها جزيرة الخضراء وهي عبارة عن عدة أقضية صغيرة · ومن حاصلاتها القرنفل وجوز الهند ، وهما مدار تجارتها وحياتها الاقتصادية ، تصدر منها بمئات الملايين من الروبيات ، وهناك الفواكه المختلفة الممتازة وعلى الاخص الموز الذي يبلغ طول الحبة منه نصف متر ولونه أحمر لطيف ، ومنه نوع أخضر ، ويستعمله الناس طبخاً بديل الخضر ·

والحركة العمرانية ضئيلة متأخرة ، فأكثر مباني زنجبار بسيطة ، وأكثر دورها مؤلف من طبقتين ، طبقة للسكن وطبقة تحتها للاتجار ، والاسواق محصورة جداً بحيث تضيق بالمارين ، وليس في المدينة غير شارع واحد ، ومع هذا فلا يمكن إنكار جمال الطبيعة الظاهر فيما يحتاط المدينة من أشجار القرنقل وجوز الهند وغيرها ·

والمناخ في زنجبار لا يتعدى حالتين ، فاما بارد قارس ويبتدئ موسمه من تموز حيث تهطل الامطار بغزارة ويشتد البرد قاسياً ، وإما حار جاف وربما فاق مناخ مصر والعراق أحياناً ، ولولا الاغراس والاشجار الكثيرة حول المدينة لكانت الحياة لا تطاق ·

وكانت زنجبار مشهورة بتجارة الرقيق ، الا ان هذه التجارة بارت

على أثر استيلاء الانكليز على البلاد ، وبرغم القوانين الصارمة الموضوعة في هذا الشأن لا يزال بعضهم يسعى خفية في التهريب ·

أما ميناء المدينة فيعد من أكبر موانئ افريقية الشرقية ترسو فيه البواخر قادمة من جميع الانحاء ، ويوجد على الشاطئ منارة عظيمة يبلغ ارتفاعها مئة قدم ، قوة نورها ٢٥ الف شمعة تضيء كالشمس في رائعة النهار ، وفي هذا المرفأ عدة بوارج حربية إنكليزية لا غرض لها سوى مراقبة تجار الرقيق · ويوجد أيضاً ثلاث بواخر تجارية تبحر يومياً إلى دار السلام وممباسة وغيرها ، وهي تابعة لاحدى الشركات الانكليزية ، وتحمل اسم السلطان توهيماً وتغريراً ·

وتختلف أزياء سكان زنجبار كثيراً ، وبالإجمال ترى المسيحيين على اختلاف أجناسهم يتزيون بالطراز الأوربي وأغلبه من (التيل) الأبيض نظراً للحرارة ، والأعراب يتزيون بالزي العربي وينتعلون نعالاً يعلقون سيرها بالابهام ، ويسمونه « بالشاروخ » ويعتنون بالعمامات الضاربة بلونها للاحمرار ، والهنود المسلمون يحملون قمصاناً بسيطة وسراويل من « الشاش الأبيض » وعلى رؤوسهم الطاقية الهندية المزخرفة ، أما نساؤهم فيلبسن قمصانا مستطيلة وسراويل واسعة وعلى رؤوسهن وأكتافهن ملاءات مزركشة بالحرير الهندي المختلف الألوان وهو لباس لا بأس بجماله ، وأغرب الأزياء لباس من يعبدون الأوثان ، فالغني منهم يملك الملايين لا يلبس إلا سترة بسيطة ويلف نصفه الأسفل بقطعة من الشاش على شكل مزري جداً ، وربما ظهرت عورات بعضهم رجالاً ونساء ·

وأما الزنوج فالرجال منهم يلبسون الجلابيب والطاقية البيضاء والاناث يأتزرن بمآزر ملونة ورؤوسهن محسورة والمتبهرجات المتبخترات منهن يتعممن بقطعة من الصوف الثمين . ومن أقبح عاداتهن أنهن يثقبن ثقوباً كثيرة في شحمة آذانهن وينظمن فيها قطعاً من ورق مستديرة ملونة ، ويعتبرن هذا التشويه من باب التحلية والتجميل وكثير منهن يظهرن العجب على ربات الدلال والجمال من الحسان البيض . ولله في خلقه شؤون .

نظام الحكم

يوجد في زنجبار محكمة شرعية صورية لا قوة تنفيذية لها ، والمرجع الأوحد إلى القنصلية الانكليزية ، ودستور أحكامها تستمده من قانون الهند ، ويوجد ديوان وزارة وفيه خزينة الحكومة ، وقلم لتحرير الرقيق وهناك مستشفى لا بأس به ، وسجنان للأهالي والأجانب . وللأجانب امتيازات خاصة ، ولقد حدثني ابن مواطني حنا يعقوب أفندي الغاوي ، وهو فلسطيني ، فقال إن الحكومة أرادت أن تطبق قانون الزنوج على السوريين الذين يسكنون هذه البلاد فاحتجوا على ذلك ، وبعد أخذ ورد وجدال عنيف اعترفت الحكومة للسوريين بالمقدرة والعلم والمعرفة وجعلت لهم امتيازات خاصة كالأجانب .

ويوجد دائرة للشرطة وحديقة صغيرة تسمى حديقة فكتورية ، تصدح فيها موسيقى الحكومة مرتين في الأسبوع ، ويوجد مطبعة

كبيرة للحكومة ، وجريدة تسمى الفلق تنطق بلسان الحكومة . ويوجد أربعة نواد للهنود والانكليز وعرب الحضارمة والفرس ، ثم في زنجبار كلها لا يوجد سوى ثلاث مدارس أحداها للمبشرين والأخرى للهنود ، والثالثة للعرب وهي أشبه بالكتاتيب . ويوجد كنيستان للانكليز والكاثوليك ، وثمانية جوامع ، ومحلات للوكلاء وقناصل الدول ومكاتب لبعض شركات البواخر ، ويوجد مطبعة هندية تصدر بها صحيفة أخبارية هندية ، وأربعة فنادق . ومن العار الفاضح أن كل هذه الدولة التي يرأسها سلطان عربي كما يزعمون ، ليس فيها مدرسة أميرية أو أهلية واحدة يتعلم فيها أبناء العرب لغة آبائهم وأجدادهم ، حيث أن اللغة الرسمية هي اللغة السواحلية .

وأعراب زنجبار أكثرهم من عرب عمان وهم متمذهبون بمذهب الاباضية ، ويوجد عدد وافر من عرب الحضارمة ، وهم ليسوا على وفاق مع المذاهب الاخرى ، والاخذ والرد قائم قاعد ما بين الفريقين ، وقد حدثني أحد الاصدقاء أنه منذ بضع سنوات جرت مذابح هائلة ما بين عرب عمان والحضارمة ، وعلى آثرها نفي عدد وافر من الحضارمة بدعوى انهم هم المسببون ، وفي الحقيقة ان الحكومة هي التي تشعل نار الفتنة بين الطرفين كما يجري في الهند ما بين الهندوس والمسلمين .

طائفة البانيان

ومن الطوائف الموجودة في هذا المحيط ، طائفة البانيان ، وهي فرع من الطوائف الهندكية ، أي التي تعبد الأوثان ، وتحرق موتاها ؛

وكيفية الحرق في بلاد الهند وهنا انهم يأخذون الميت إلى مكان خاص منفرد على شاطئ البحر أو النهر ومعهم كلب وهناك يكشفون الجثة فإذا اقترب الكلب منها كان على زعمهم ان المتوفى صالح ، ولا أظن أن الكلب يقصر في تأدية هذه المهمة ، وبعد أن يضمخوا الجثة بالبنزين يرفعونها فوق كومة من الوقود ثم يشعلون النار فيها فيتصاعد منهـا الدخان بألوان غريبة حاملاً مادة دهنية ، وعندما يتم الحرق يأخذون الرماد ويذرونه في البحر أو النهر .

طائفة الزردشته

ومن بين الطوائف التي تسكن هذا المحيط طائفة الزردشته المشهورة في فارس وهي تعبد الشمس فتسجد لها عند الغروب والشروق .

ومن عاداتها الغريبة أنه إذا مرض أحد أتباعها وكانت حالته تنذر بالخطر نقلوه قبل الوفاة إلى المقبرة المعدة فيها غرف للراحة ، فإذا شفي عاد إلى منزله ، وأما إذا مات فيصلبون جثته ثم يطلقون عليها الطيور الجارحة فإذا نهشت عينه اليمنى فرحوا ومرحوا ذاهبين الى أن روحه في الجنة . أما إذا نهشته في غير عينه فالحزن يشمل الجميع . وعندما تنتهي الطيور من النهش يأخذون ما تبقى من الجثة فيطرحونها في جب عميق ، على أن منظر مقبرتهم أنظف وأحسن منه في أي طائفة غيرها .

طعام البلاد

الغذاء هناك محصور في ثلاث : الأول طعام الاوروبين وغذاؤهم

معلوم ، والباقي طعام بقية السكان على اختلاف طبقاتهم ما عدا الزنوج وغذاؤهم الارز المطبوخ بعصارة جوز الهند وطعمه لذيذ، والارز المطبوخ بالسمك ثم الموز الأخضر المطبوخ باللحم ولذلك لا يأكلون الخبز إلا نادراً لأنهم يعتاضون عنه بالارز ، والثالث طعام الزنوج ، وغذاؤهم نبات يسمونه «موهوجو» وهو أشبه بالبطاطة ، يسحقونـه ويطبخونه مثل الهريسة ، وأما طريقة طبخ الارز بجوز الهند فإنهم يأتون بنصف جوزة ينثرونها بآلة خاصة ويضعون المنثور مع الماء على النار في القدر ولا يزال حتى يصبح لونه مثل اللبن ، ثم يضاف إلى الارز بدلا من السمن .

الطوائف والاديان

في هذه المدينة عدد عظيم من الطوائف والأديان المختلفة ، وفي ضمنهم طائفة آغا خان التي تعتقد فيه العظمة والقدرة على غفران الخطايا ، ولذلك يمجدونه وينشدون له الأناشيد والأغاني ، ويقيمون له أعياداً خاصة ، وإذا توفي أحد الأفراد ، وصدف مجيء آغا خان ، فعائلة المتوفى تكف عن الحزن والبكاء وتقلب أتراحها إلى أفراح .

ومع هذه الاعتقادات فإن هذه الطائفة من أرقى الطوائف الموجودة في هذا المحيط علماً وعملاً ، والمرأة عندهم تشارك الرجل في أعماله ، ولكم شاهدت من أوانس وسيدات يتعاطين العمل في الحوانيت بيعاً وشراءً .

والطائفة تدفع سنوياً إلى زعيمها ثلث مالها ، ويقدر ما يملكه

آغا خان بمئات من الملايين ، هذا عدا النفوذ الذي يتمتع به لدى أمته والحكومة الانكليزية .

رئيس طائفة البهرى الاسماعيلية

غير أن أفراد هذه الطائفة قليلون ولقد أتيح لي زيارة زعيمهم السيد سيف الدين طاهر في بمبي الهند وهو في العقد الخامس من العمر ، فلما دخلت الديوان وجدت الوفود تقبل زرافات ووحداناً ، وجميعهم جاؤوا للتبرك بسيدهم والسلام عليه ، وقبل دخولهم يقابلون كاتم السر مقبلين يديه ورجليه بكل احترام ، فيسجل أسماءهم في قائمة الزوار وإذا تخلفوا عن هذا الواجب رجعوا بخفي حنين ، وعندما يصل أحدهم إلى العتبة يسجد ثم يرفع رأسه وهو راكع ويتقدم بتؤدة نحو سيده وقبل أن يصل بخطوة واحدة يسجد أيضاً ثم يرفع رأسه ، ويتناول الأقدام والأيدي منهالاً عليها بالتقبيل في خضوع وخشوع ، وعندما ينتهي من ذلك يقدم المبلغ الذي يحمله من المال ، ثم يرجع من حيث أتى ، ولقد شاهدت هذا الشيء بأم العين حينما كنت موجوداً لدى سيادته .

وسألت بعضهم عما يقدمون لسيدهم من المساعدات فأجابني أن نفوسنا وأرواحنا وأهلينا فداء لسيادته ، ولكن المقرر هو أن كل فرد يدفع في المئة ثلاثين من جميع ما يملكه ، وقد شاهدت في غرفة الديوان نفسها قبة مزار مطلية بالذهب وعصاة من الذهب مرصعة بالأحجار الكريمة ، وكثير من الزعماء الروحانيين يتمتعون بنفوذ عظيم ويملكون الذهب والنشب .

الأعراب

والعرب الذين يسكنون هذه الديار كانوا فيما مضى هم أسياد البلاد ومالكي زمام أراضيها وعددهم لا يقل عن خمسة عشر ألف نسمة ، جلهم من عمان ، ولكنهم ويا للأسف لم يلبثوا بتهاونهم وجمودهم أن أصبحوا لا يملكون من الأمر شيئاً ، وقد أخرهم أيضاً أنهم كانوا يتعاطون تجارة الرقيق فلما استولى الانكليز على هذه الديار وسنوا القوانين الصارمة على كل تاجر يتعاطى هذه المهنة بارت تجارتهم وتراجعت أحوالهم ، وكان الغني منهم يعيش بما تثمره أرضه بعرق جبين العبيد وإذا ما تجول في الأسواق والشوارع يمشي في ركابه أربعة أو خمسة عبيد ، ونساؤهم يحيط باحداهن نحو عشرين من الجواري ، فكان من هذا البذخ والإسراف أن أذهب الله النعمة عنهم وأصبحوا في مؤخرة الطوائف ، وما ربك بظلام للعبيد .

وخلال وجودي في زنجبار أبت مروءة رئيس البلدية السيد خلوصي إلا ان يقيم لي حفلة في بستانه دلت على ذوقه وكرمه ولقد دهشت لطول مساحة أرضه إلا أنها مهملة ، ولما لفت نظره إلى هذا النقص أخبرني أن أربعمئة عبد كانوا يعملون عنده ولكن الحكومة عاكسته واحبطت عملة .

العملة

والعملة المتداولة في هذه البلاد هي الروبية والجنيه الانكليزي ، ولم يزل هنالك بقايا من العملة التي ضربها السلطان برغش باسمه .

اللغة السواحلية؟

وأما اللغة السواحلية (الزنجية) فهي اللغة الرسمية بين جميع القاطنين. وإلى القارئ بعض كلمات منها :

تعالى (نجو) كل (امكاني) خبز (نونو) صباح الخير (كوهيري) نعم (سبو) اذهب (كولا) الماء (اندبور)

العدد : ١ (ززموجا) ٢ (تانو) ٣ (إنا) ٤ (وتنو) ٥ (سنبه) ٧ (ناني) ٨ (نسأة) ٩ (كومي) ١٠ (فترى)

منطقة تنكانيكا

وعاصمتها دار السلام

غادرت زنجبار والمسافة بالباخرة ٤٥ ميلا وحينما رست الباخرة جاء مدير الجوازات ، فأجرى التفتيش على تذاكر المسافرين ، ولما جاء الدور لي سألني عن المبلغ الذي أحمله والمدة التي أمكثها والكفيل .

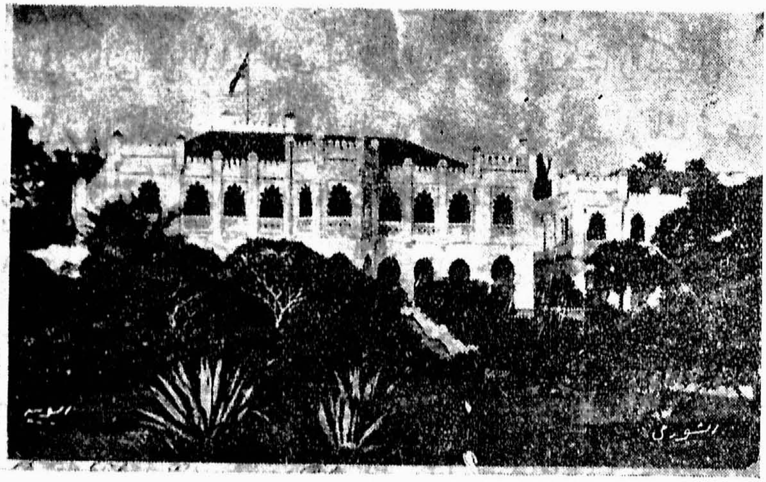
فأبرزت له سفتجة على احد المصارف بعشرين ألف فرنك ثم عينت له مدة الإقامة أسبوعاً واحداً ، وذكرت كفيلاً لي الشيخ سليمان الحبشي أحد أعيان البلد ، لكنه حجز الجواز عنده حتى يحضر المذكور ، ولم يتأخر الشيخ سليمان عن كفالتي ،فإنه راجع للحال المدير واسترجع الجواز وقد مكثت في هذه المدينة بضعة أيام ثم غادرتها الى ممباسة فدار السلام وهي عاصمة منطقة « تنكانيكا » وكانت قبل الحرب العالمية مستعمرة المانية فلما وضعت الحرب أوزارها هيمنت عليها انكلتره وضمتها إلى مستعمراتها

وهذه المدينة غنية جداً بمعادنها العظيمة وهي تعد من النفوس عشرة ملايين نسمة .

أما دار السلام نفسها فعدد الأجانب فيهـا ٢٧٦١ والهنود ٥٨٣٦ والعرب ٣٥٥٦ والزنوج ١٥٤٧٧٩ نسمة .

ومن حاصلاتها سن الفيل والمواشي ، وكثير من التجار الذين جاءوا هذه الديار لا يملكون شيئاً ثم أصبحوا اليوم من الأغنياء . أما عرب هذه الجهة فهم لا يفرقون عن عرب زنجبار من حيث الجهل والتنازع والاختلافات .

وقانون الزنوج يسري على العرب أنفسهم ، والسبب ان العرب ينقصهم النظام والزعامة ، واولو الشأن فيهم أمثال سلطان زنجبار والشيخ سليمان الناصر وعلي السالم هم العضد الأيمن للاجنبي .



مدينة دار السلام عاصمة منطقة تنكانيكا في افريقية الشرقية

جمعيات الكمرن

ان عدداً وافراً من الذين نزحوا عن جزيرة الكمرن التابعة لمدغسكر اسسوا هنا جمعيات ومدارس ، وجعلوا اللغة العربية الرسمية مع اللغة الانكليزية ، وكانت الحكومة في بادئ الأمر تساعدها مادياً ثم قطعت هذه المساعدة واشترطت على رئيس الجالية الشيخ أحمد أنها لا تعيد المساعدات إلا متى رفع تدريس اللغة العربية من برنامج التعليم ، فأبى وردّ بأن اللغة العربية هي لغة القرآن والدين ، وأما السلطان والشيخ سليمان ناصر وعلي السالم فإنهم يساعدون الأجنبي على خنق لغتهم. وهذا منتهى الكفران والتدني.

منطقة كينيا
وعاصمتها ممباسة

غادرت دار السلام إلى ممباسة والمسافة بالباخرة ٦٠ ساعة ، ولما وصلت وجدت الصديق الحاج عمر شرمان رئيس الجالية العربية بانتظاري وفي اليوم الثاني دعاني وكيل آغا خان إلى منزله ولبثت عنده بضعة أيام أطلعني خلالها على المدارس والمعاهد العلمية وعرفني على اخوانه ، وفي الحقيقة أن هذه الطائفة أرقى من جميع الطوائف.

ومن حواضر هذه المنطقة نيروبي ولامو وغيرهما ، والمسافة بالقطار ٢٢٠ كيلو متر الى نيروبي وتعد هذه المدينة عروسة افريقية الشرقية لان

معظم الأجانب يسكنون بها نظراً لما تشتمل عليه من المناظر الطبيعية والعمران الفخم والشوارع المنظمة والارصفة المعبدة . والتجارة فيها ناجحة . وتعد من السكان ١٨٠ الف نسمة أكثرهم من الأجانب وخصوصاً الفرس والطليان .

أما ممباسة فعدد سكانها من الأجانب ٤٥ الفاً ، ومن العرب ٢٠٠٠ نفس ، ومن الهنود ٣٠٠٠ ، ومن الزنوج مئة الف ، وهي تصدر العاج وجلود السمور والمواشي والبن وغيرها .

﴿ أكل التامبول ﴾

ومن عادات أبناء هذه البلاد انهم بعد تناول الطعام يأكلون التامبول ، وهو ورق أخضر أشبه بورق التوت يضعون في وسطه النورة وجوز الطيب ونباتاً يسمونه خشب الكينا ثم يمضغونه مقدار ساعة حتى يصبح كالدم ، وترى بجانب كل واحد منهم مبصقة يطرحون فيها لعابهم الذي يشبه الدم . ويزعمون أن التامبول مفيد للثة ، وهم في هذه العادة يشبهون أهل اليمن الذين يأكلون القات المشهور وينفقون عليه الاموال الطائلة ، وهكذا ترى لكل بلد عادات خاصة . ولله في خلقه شؤون .

في بلاد الوحوش

يعجب الإنسان ايما عجب عندما ينتقل من بلاد الحضارة والعمران إلى الاصقاع التي ما تزال متأخرة ، كأنها على الفطرة ، ويشعر للحال بالبون الشاسع والفرق الواسع بين الحالين ، وحبذا لو أن هؤلاء الغربيين

الذين يملأ ون الدنيا نعيباً بأنهم رسل المدنية والإصلاح والإخاء والمساواة ويحتلون البلاد الآمنة باسم تمدين أهلها وترقيتهم والمحافظة على الأقليات بينهم ، قلنا حبذا لو وجهوا همهم شطر البلاد التي مايزال أهلها كالوحوش والتي هي في معزل من العالم تقريباً ، كبعض أصقاع افريقية الشرقية وزنوجها ، ولكن الحقيقة هي أن المصلحة الخاصة وحدها هي التي تقود الغربيين إلى كل عمل يقومون به فحيث تكون المصلحة يسيرون وحيث تنعدم يتخلفون ، أما ادعاءاتهم الطويلة ، فقد انطلت بسحرها على الأمم الضعيفة ردحاً من الزمن ، ولن تنطلي بعد اليوم ، والويل للغرب عندما



من فتيات زنوج افريقية الشرقية



من فتيات زنوج افريقية الشرقية

يهب الشرق للانتقام منه ، ومن يدري فلن يكون ذلك بعيداً ، خصوصاً وأوربا وأمريكا تتخبطان في دياجير المشاحنات ، وتشكوان ألم الحميات التي بدأ رسيسها في المذاهب الجديدة ، كالفاشستية ، والهتلرية ، والبلشفية . والدهر دولاب ، والليالي يلدن كل عجيبة .

ومن أغرب ما اعترضني في رحلتي فدونته في مفكرتي ، كمثال للتأخر الفكري وعنوان للفضيحة التي تقع تبعتها على الغربيين أكثر من غيرهم ، أحوال زنوج إفريقية الذين يعيشون ما يفرقون في شيء عن عيش

العجماوات التي يعيشون بينها ، وسأقص نزراً من ذلك وأنا واثق بأن القارئ ربما خامره الشك فيه لغرابته .

كل زنجي في إفريقيا حيوان ، هو أسد او ضبع او فيل او افعى او ما شئت فقل .

والزنجي يعترف بذلك بنفسه، لانه يؤمن بذلك ايمانا اعمى ، فمن الزنوج من يعتقد ان أصله من الأفاعي ، أو من الفيلة ، كما أن منهم من يعتقد أن أصله من القردة ـ وهنيئاً « لداروين » ـ ومنهم من يرجع نسبه الى العنزة البيضاء أو الحمراء ، ومنهم من ينتسب من والده الى الاسد ، ومن امه الى البقرة المبرقشة وهكذا ... واذا مضى احدهم الى الصيد والقنص ، عاد وفي جرابه ما اصطاد ، الا انه لا يذوق لحم الحيوان الذي يمت اليها بنسب من القرابة ، فذلك شيء محرم عليه ، ويعود عليه بالضرر والاذى ان فعل ، كما انه يأمن من غدرات الدهر وسطوة الحيوانات من اسرته اذا كان في المكان الذي يحويه احداها . ومن عاداتهم الايمان الاعمى بالطلاسم والتعاويذ ، فكل منهم يتدلى حول عنقه عشرات منها ، حرزاً ومناعة .

واذا بلغ الزنجي الشيخوخة وجب عليه استشارة الاطفال في سائر الاعمال حتى ان احدهم لايمضي الى السوق ليبتاع بعض الشؤون الا استصحب معه غلاماً، ويستصحبه ايضاً في الاخذ والعطاء والبيع والشراء ، فاذا اشار فعل ، واذا ابى امتنع ، وكلما ازداد بسطة في العمر ازداد ايماناً بخرافات وشعوذة السحرة ، وقديماً كان الزنوج يقدمون الضحايا البشرية

والقرابين الحيوانية لآلهتهم وملوكهم وزعمائهم بغية الزلفى والتقرب ، وهم اليوم ما انفكوا يسيرون على هذه التقاليد فيقدمون الضحايا والقرابين وإن اختلف شكلها عن الماضي إلى أرواح أسلافهم ٠

وهم نظراً لطبيعة بلادهم الحارة يعيشون عراة إلا ما يستر عوراتهم والمرأة تسير وكل عضو فيها ظاهر إلا سوأتها، وكلما غلظت شفتاها زادت قيمتها في نظر الشباب لأنها تكون في نظرهم أرقى جمالاً ، وربما بلغت شفة البنت بضع أواق ، ولذلك يعنون جداً بالشفاه ويتخذون الأسباب اللازمة لنموها وتدليها ٠ ومن المشهور عنهم اعتقادهم (بالطوطمي) كشيء مقدس في نظرهم وهم ما يزالون يحترمونه ، ولا فرق عندهم في أن يحل في حيوان أو نبات أو جماد ، ويجزمون أنه يحميهم ويقيهم لذلك لا يقتلونه إذا كان حيواناً ولا يأكلونه إذا كان نباتاً ولا يمسونه إذا كان جماداً ٠ ولله في خلقه شؤون ٠

ومن عاداتهم أن البنت إذا بلغت أشدها توضع تحت رقابة امرأة مثل (بلانة) عليها أن لا تكلم أحداً أربعة أيام إلا إذا أعطاها احد نقوداً ويشترط أن تكون فضة ، وهي إذا رأت إحدى صويحباتها أو معارفها اللائي يكبرنها سناً ركعت أمامها دون أن تكلمها ، وسبب ذلك أن الصغيرات يحترمن الكبيرات ، فإذا بلغت الصغيرة يقال إنها صارت في مصاف النساء ، والبنت تلقب (ماري) أي راشدة ٠

من عجائب المخلوقات



طفلة عجيبة الخلقة لها أربع أرجل تشبه الحيوانات

ولدتها أمها في الجزر الصينية



طفل غريب ، زائد الاعضاء
وهو وليد الجزر الصينية

مذهب العري

تطلع علينا أوربا كل يوم بمذهب يخال للبعض أنه جديد مع أنه في الحقيقة اقتباس عن القدماء ، ويفاخر الغربيون أيضاً بحضارتهم الحاضرة ، مع أننا لو ألقينا نظرة عامة على جل اختراعاتها لرأيناها مأخوذة عن الأمم السالفة التي يرجع اليها فضل السبق ، ومع هذا فلا يمكننا ان ننكر ما أدخله الغربيون من التحسين على تلك الاختراعات



فتاة من معتنقي مذهب العري

واستنباطها بعد أن تمضي عليها الأيام البعيدة ، فالغربيون اذن مغتصبون أكثر مما هم مبدعون ، ومدنيتهم عيالة على المدنيات القديمة وإن كان لها فضل التوسيع والتحسين .

أول من أنشأ المدارس واعتنى بالتربية هم البابليون بشهادة الآثار التي يكشف عنها ، ولكن الغربيين رقوا المدارس ووسعوا فيها ونظموها وجعلوا من علم التربية علماً خاصاً سموه البيداغوجيا الذي كان فضل تجديده يرجع إلى بيستالوزي وأمثاله من علماء الفن . وخذ طب الأسنان فالذي اخترعه هو طبيب روماني يدعى (كاسيليس) في القرن الثالث للمسيح واظهرت الآثار أخيراً أن للفينيقيين قبله القدح المعلى في هذا الفن لانهم أوجدوه قبل الف من السنين . وهذه الطيارة أيضاً فكلنا يعرف أن الحكيم الاندلسي عباس بن فرناس قد حاول إيجادها وقضى نحبه بسببها وهكذا تجد أكثر المخترعات المعاصرة وأكثر المذاهب الفلسفية والاجتماعية والأدبية والصحية أيضاً ، فهي قديمة ظهرت قبل الآن بكثير من السنين ، فلاجديد إذن تحت الشمس ، وقصدنا من هذا ان نثبت أن مذهب العري الذي ظهرت حركته بصورة مفاجئة منذ عشر سنوات تقريباً انما هو مأخوذ عن الإنسان الاول الذي كان يعيش دون لباس يدثر به أو عن هذه القبائل التي لا تزال حتى اليوم تعيش في صحارى افريقية أو في بعض أطراف الهند عيشاً طبيعياً لا تفرق فيه إلا قليلاً عن الحيوانات . ولقد أثبتنا في الفصل السابق صورة فتاتين من الزنجيات الجميلات التي لا يسترهما سوى مزق حول عورتهما ، وأثبتنا هنا صورة فتاة غربية عارية

وهذا عين ما يسلكه الغربيون اليوم في الجزر التي خصصوها للعيش عيشا طبيعياً مجرداً من الظواهر المدنية المفسدة للصحة . والحق ان اللباس لم يوجد لاجل الحاجة بل للزينة ، ثم ان هذه الزينة أصبحت كشيء ضروري ، وطالما كلفت الناس كثيراً من العذاب في سبيل تأمينها وفي سبيل ما تبعثه من الامراض وعلى الاخص للنساء اللواتي يخالفن سنن الطبيعة بالتمنطق بالمشدات الضيقة ، وبحصر أقدامهن واستعمال المساحيق بغية الظهور بمنظر الجمال الآخذ بالقلوب ، والذي نلحظه ان هذا العصر بدأ يطلب روحاً جديدة بعد ما قاساه ويقاسيه من الآلام . وهذه الروح كما يبدو تمت بصلات متينة إلى الماضي ، وإذا كانوا اليوم يعمدون الى خلع ملابسهم على غرار الإنسان الاول لانهم لمسوا اضرار الملابس ، وإذا كانوا بدؤوا يلتمسون سبل الهدوء بدليل ما نطالعه في آدابهم ، وإذا كانوا كرهوا المادية وشرعوا يتعشقون الصوفية فليس بغريب ان نراهم ولو بعد زمن بعيد يحطمون هذه الأوائل الضخمة التي كانت أكبر سبب في إيجاد البطالة وما يتبعها من حوادث انتحار وثورات واعتصابات وهنالك ربما تعود الحضارة الى الشرق الذي كان مبعثها ومصدرها .

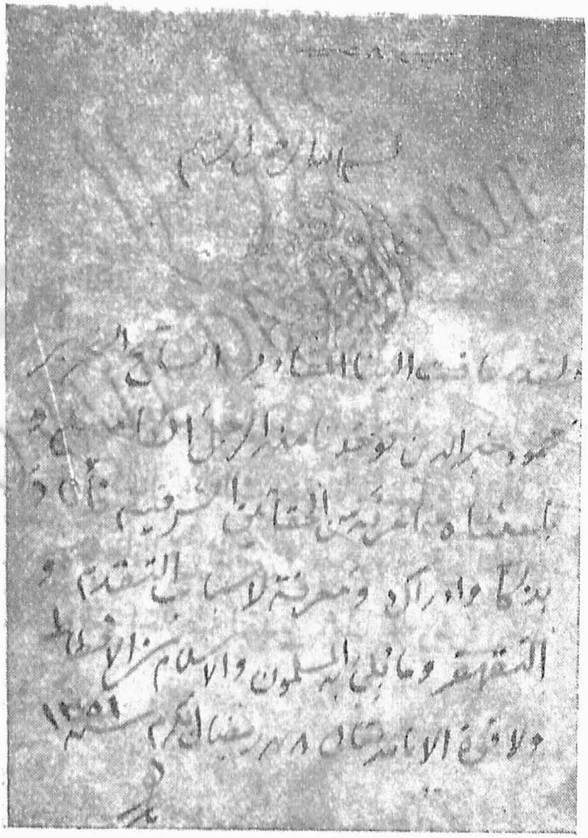
الخاتمة

لم نكن نقدر أن هذا الجزء يبلغ هـذا الوسع ، فان المواد كثيرة ، ولذا لم يقدّر لنا إثبات الفصل الذي كنا نود إثباته عن وهن المسلمين والادواء التي يشكونها في حاضرهم ، والأدوية الناجعة لاستعادة عزهم ، واسترداد مكانتهم . فأجلنا ذلك إلى الجزء الثاني الذي لن يتأخر صدوره إن شاء الله . ومن الله التوفيق .

ثبت الرحلة

كنا في رحلتنا الواسعة نزور الملوك والامراء والعلماء والوجهاء ومختلف الطبقات ، وبعد محادثتهم نستكتبهم بعض آرائهم . فاجتمع لدينا ثَبَت حوى ألوف الشهادات لكثير من المشاهير في عالم الدين والسياسة والعلم والادب والوجاهة ، سواء في الشرق أو الغرب ؛ وكلها ناطق بالعواطف الطيبة الدالة على التقدير والإعجاب والتي لا يسعنا إلا مقابلتها بالشكر الواصب ، وحملها على محمل التشجيع لنا من قبل أربابها الغيُر على العروبة والثقافة . وشدَّ ما كنا نود إثباتها كلها لو سمح المجال ، لذلك اجتزأنا ببعضها ، على أن نستدرك في الآتي ما فاتنا في الماضي ، مكررين في الختام شكرنا لجميع من دفعه إخلاصه لتقدير عملنا ، ومن الله نطلب التوفيق م؟

كلمة جلالة ملك اليمن الامام يحيى بن حميد الدين المعظم



بسم الله الرحمن الرحيم

ولله ما صنع الاستاذ [illegible]

محمود خير الدين [illegible]

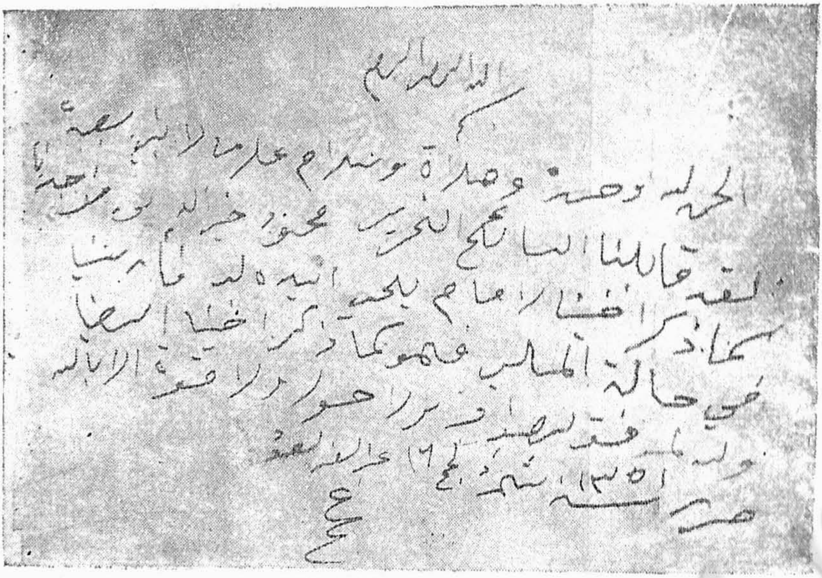
بالعناية باللغة العربية [illegible]

بذكاء وادراك وبمعرفة الاسباب في التقدم و

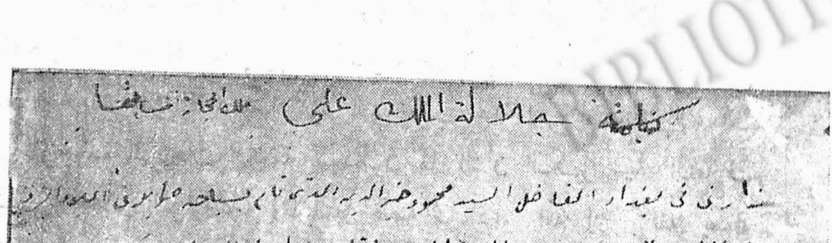
التقهقر وما يلي به المسلمون والاسلام [illegible]

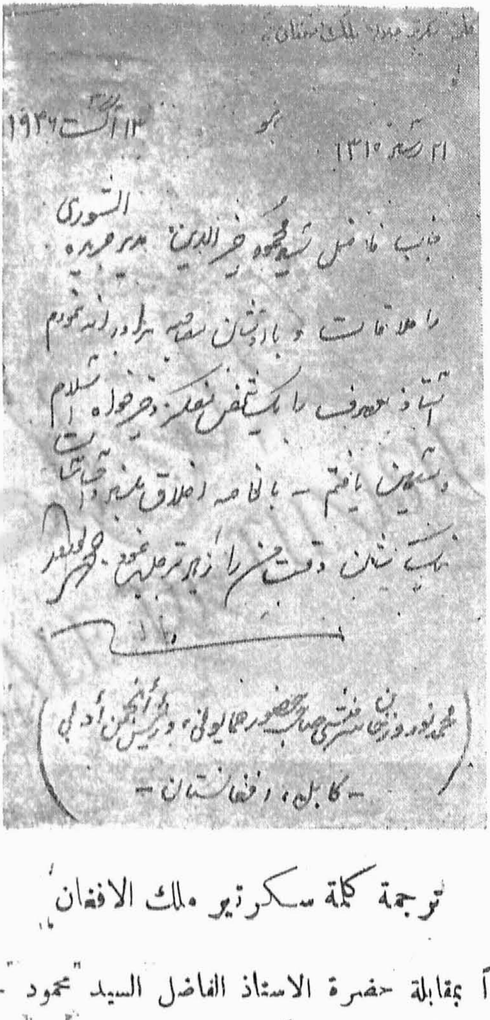
ولا قوة الا بالله [illegible] رمضان الكريم سنة ١٣٥١

كلمة جلالة الملك عبد العزيز ابن السعود المعظم



كلمة جلالة المغفور له الملك علي المعظم





ترجمة كلمة سكرتير ملك الافغان

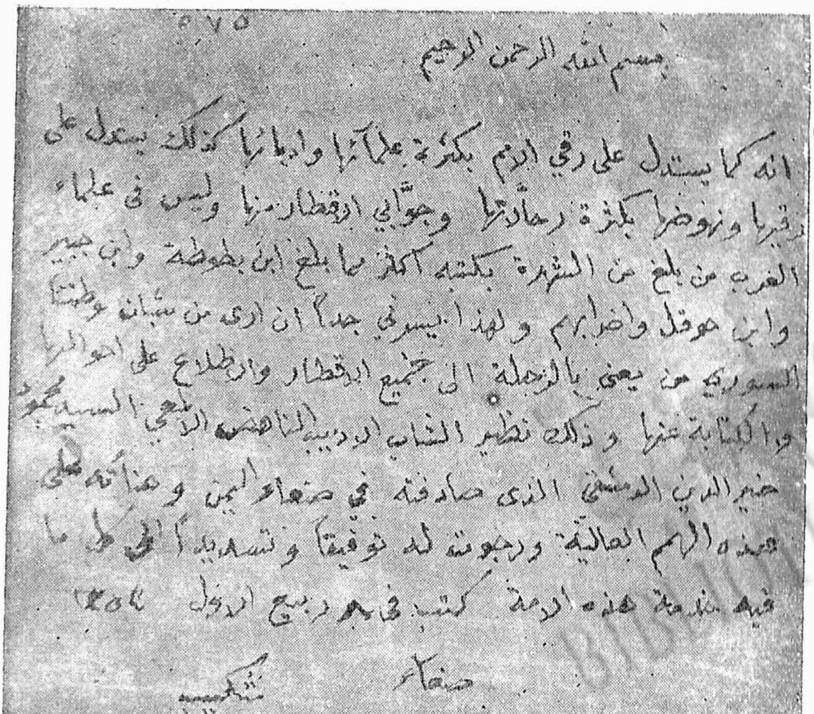
سعدت جداً بمقابلة حضرة الاستاذ الفاضل السيد "محمود" خير الدين مدير جريدة الشورى ، وتحدثت معه ملياً فوجدته على غاية "من" الاخلاق السامية والافكار العالية . وان ما يقوم به حضرته من السياحة الشاقة حباً بالاطلاع وجمع المعلومات التي لابد منها للامم التي تطلب الحياة الحرة ليستدعي الاعجاب لان مثل هذه السياحات القيمة سيكون لها الشأن الكبير في التعارف المنشود بين الامم الشرقية عامة والمسلمين خاصة ، فأدعو الله ان يوفقه بعمله هذا ويكون له عوناً ومعيناً .

محمد نوروز خان

سكرتير جلالة ملك الافغان

ورئيس المجمع العلمي الافغاني في كابل

كلمة امير البيان عطوفة الامير شكيب ارسلان



٥٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

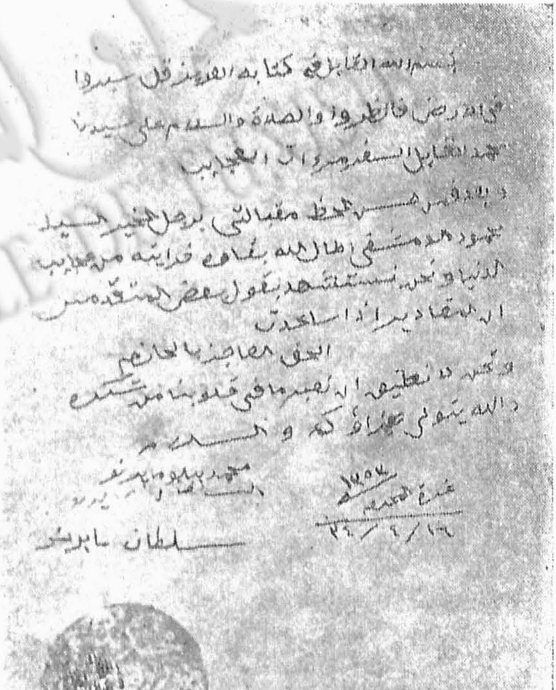
انه كما يستدل على رقي الامم بكثرة علمائها وادبائها كذلك يستدل على رقيها ونهوضها بكثرة رحالتها وجوابي الاقطار منها وليس في علماء العرب من بلغ من الشهرة بكتبه اكثر مما بلغ ابن بطوطة وابن جبير وابن حوقل واضرابهم ولهذا يسرني جداً ان ارى من شبان وطننا السوريين من يعنى بالرحلة الى جميع الاقطار والاطلاع على احوالها والكتابة عنها وذلك نظير الشاب الاديب الناهض الالمعي السيد محمود خير الدين الدمشقي الذى صادفته في صنعاء اليمن وعثرت على هذه الهمم العالية ورجوت له توفيقاً وتسديداً الى كل ما فيه منفعة هذه الامة كتب في ٢٥ ربيع الاول ١٣٥٤

صنعاء

شكيب

ارسلان

كلمة السلطان محمد مايرنو رئيس قبائل الفلانة بافريقية



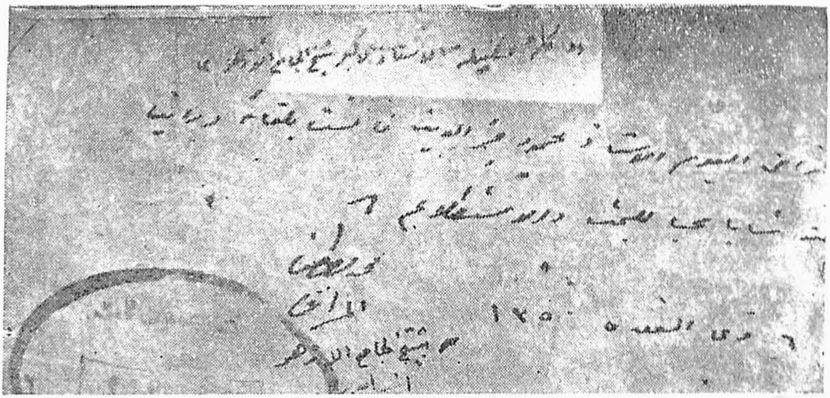
بسم الله القائل في كتابه العزيز قل سيروا
في الأرض فانظروا والصلاة والسلام على سيدنا
محمد القائل السفر مرآت العجائب

وبعد فمن حسن الحظ مقابلتي برجل خبير السيد
محمود الدمشقي أطال الله بقاءه فرأيته من عجائب
الدنيا ونحن نستشهد بقول بعض المتقدمين
إن المقادير إذا ساعدت
ألحقت العاجز بالحازم
ولكن لا نستطيع أن نعبر ما في قلوبنا من شكر
والله يتولى جزاءكم والسلام

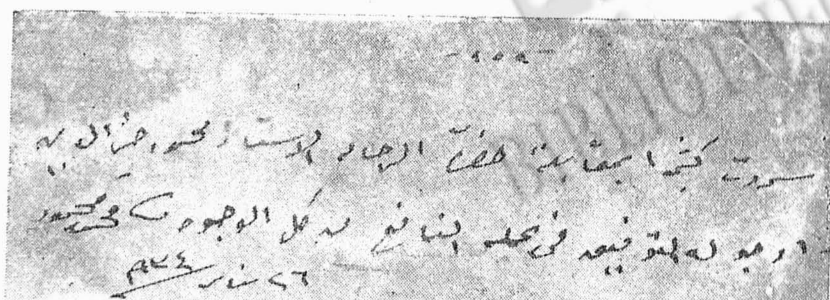
محمد بللو مايرنو
السلطان [illegible] يرنو
سلطان مايرنو

١٣٥٤
غرة المحرم
١٦/٤/٣٦

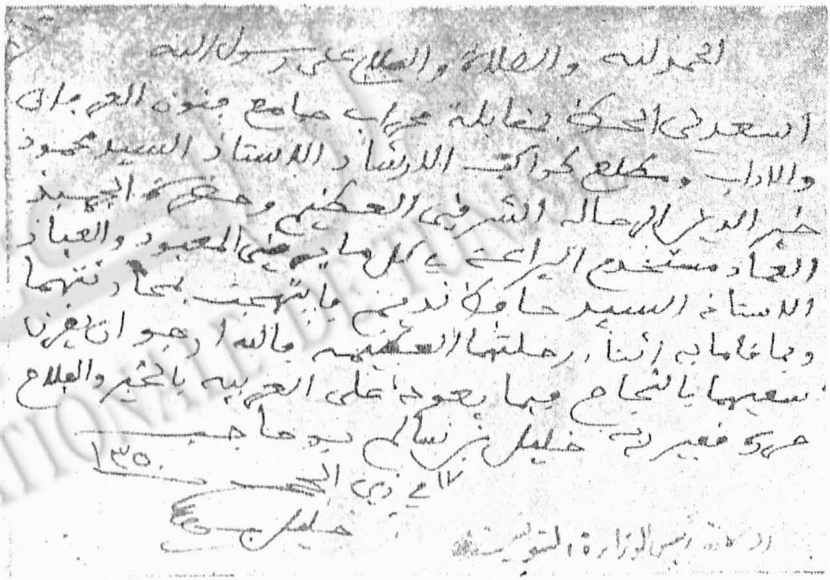
كلمة فضيلة الاستاذ الكبير مصطفى المراغي شيخ جامع الازهر



كلمة رئيس وزارة الحكومة المصرية سابقاً دولة محمد محمود باشا



كلمة رئيس وزارة حكومة تونس السيد خليل ابو حاجب



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

اسعدني الحظ بمقابلة محرر جامع فنون العربية

والآداب فطالعت كتاب الارشاد للاستاذ السيد محمود

خير الدين [illegible] الشريف العظيم وهو كتاب جديد

النفع مستخدم البراعة في كل ما يجب على المعبود والعباد

الاستاذ السيد [illegible] ما يستوجب [illegible]

وبما قاما به لديننا وملتنا الحنيفية فالله ارجو ان يجزي

سعيهما بالنجاح فيما يعود على العربية بالخير والصلاح

حرر في غرة [illegible] خليل بن سالم بوحاجب

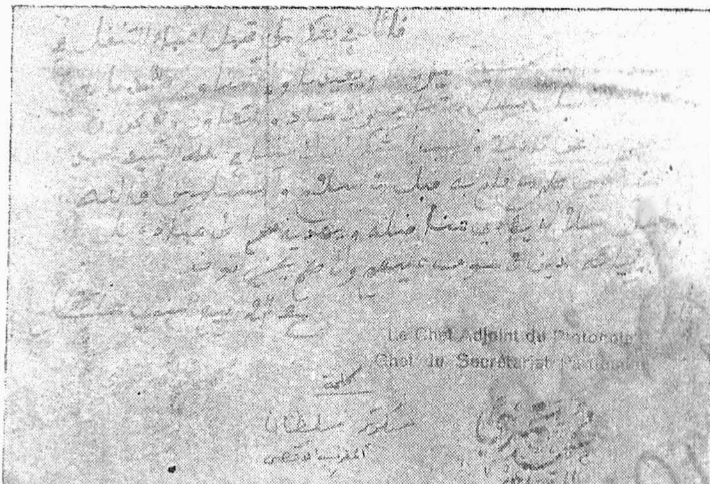
١٣٥٠

١٧ ذي الحجة

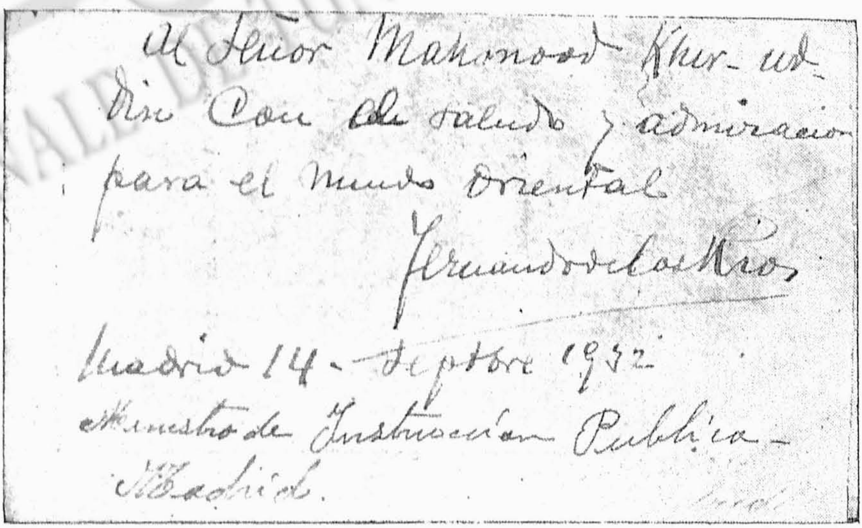
خليل بوحاجب

رئيس الوزارة التونسية

كلمة سكرتير سلطان المغرب الأقصى ومدير التشريفات
السيد أحمد الزواوي


Le Chef Adjoint du Protocole
Chef du Secrétariat Particulier

كلمة رئيس وزارة اسبانيا



Al Señor Mahmood Khir-ud-Din con un saludo y admiración para el mundo oriental

Fernando de los Ríos

Madrid 14 - Septbre 1932

Ministro de Instrucción Publica - Madrid.

Je suis heureux d'avoir rencontré, en la personne de M. Mahmoud Khaïreddin un journaliste arabe qui tient à se renseigner personnellement et directement, avant que d'écrire sur des sujets qui intéressent au plus haut point les protégés musulmans de la France.

Paris, le 20 Septembre 1932

Louis Mercier

ترجمة كلمة وكيل وزارة خارجية فرنسا

أنا سعيد بان اقابل في شخص حضرة الاستاذ محمود خير الدين ، احد رجال الصحافة العربية الذين يهمهم الاطلاع شخصياً ومباشرة على احوال المسلمين الذين هم تحت حماية فرنسا ، قبل ان يكتبوا عنها ٠

باريس ٢٠ ايلول ١٩٣٢

وكيل وزارة خارجية فرنسا

لويس مرسي

كلمة قنصل الحكومة المصرية في باريس

يسرني انه أتشرف باسم هذا القلم .. ممثل الرأي العام

صاحب جريدة وفاء العرب حضرة السيد خير الدين الحلبي

وانه أرحب بصدوره في القنصلية الملكية المصرية

في باريس وانه أدعو لحضرته بالتوفيق في وفاء

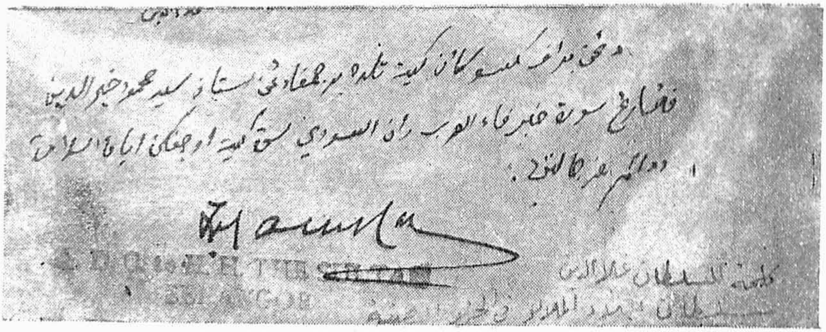
للرابطة العربية التي تجمعنا .. ويعمل على نصرة

اللغة العربية ورفع شأنها وحفظ مصالح الأمة

[illegible]

قنصل الدولة المصرية بباريس

٢٤ / سبتمبر ١٩٢٢



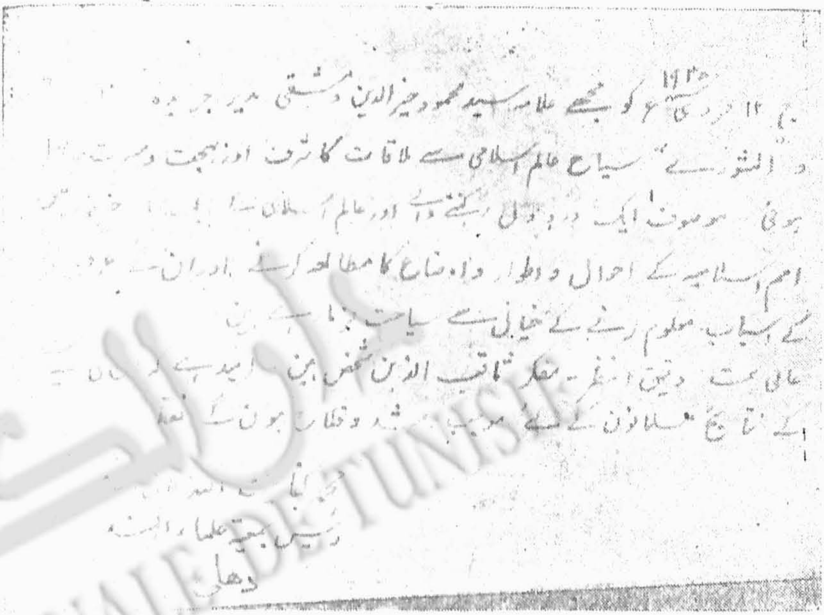
ترجمة كلمة سلطان ملايا

من ادعى دواعي سروري زيارة حضرة الفاضل السيد محمود خير الدين مدير جريدتي وفاء العرب والشورى ، وكانت الفرصة سعيدة باجتماعنا معه في بلاد الملايا ، فلمحنا فيه دلائل الفضل والنبل .

وإعراباً عن إعجابي باجتهاد الاستاذ وغيرته على مصلحة المسلمين بسياحته الطويلة الشاقة في مختلف الاصقاع الشرقية ادون في سجل سياحته هذا كلمة تقدير لحضرته راجياً ان يوفقه الله الى إتمام مساعيه الصالحة حتى يصل للغاية التي ينوخاها والله الموفق .

علاء الدين

سلطان سلانكون في الملايا



ترجمة كلمة

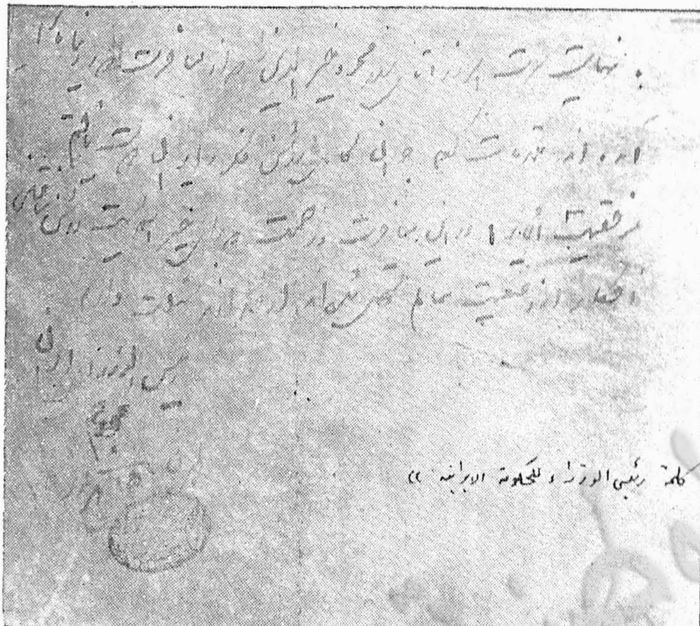
رئيس جمعية علماء الهند

تشرفت بحضرة الاستاذ السيد محمود خير الدين الدمشقي صاحب جريدتي وفاء العرب والشورى والسائح العالمي والمسلم الحر . والحق ان حضرته يقوم بخدمات جليلة في سبيل امته الإسلامية والاطلاع على ما اعتور المسلمين من الادواء حتى قعدوا بعد النهوض ، وشقوا بعد ان نالوا اسمى مراتب السعادة .

ولقد الفيته عالي الهمة ، دقيق النظر ، صاحب افكار ثاقبة ، ولا شك انه سيدون مشاهداته خلال رحلته الصحافية الكبرى ويصف الداء والدواء فيستفيد المسلمون من معلوماته القيمة ويزدادوا رقياً واتحاداً ، ويعيدوا سيرة السلف الصالح ، فنسأل الله ان يوفقه في مهمته انه على ما يشاء قدير .

في ١٢ شباط سنة ١٩٣٥ محمد كفاية الله كان الله

رئيس جمعية علماء الهند بدهلي



ترجمة كلمة رئيس الوزارة الايرانية

كان سروري عظيما بمقابلة حضرة الاخ السيد محمود خير الدين الذي قام بسياحة طويلة في البلاد الشرقية والغربية . ولقد تجاذبت معه أطراف الحديث فألفيته واسع الافكار غزير المعلومات . والحق ان ما يقوم به حضرته لينم عن همة قعساء يشكر عليها لان في مسعاه فوائد جلى أخصها الاطلاع على أحوال الامم ودرس أحوالها . فأتمنى له التوفيق والنجاح .

رئيس وزارة الحكومة الايرانية ١٩٣٦/١٢/٥

فهرس الكتاب

رسوم الكتاب مع حفظ الالقاب

تصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٥	١٦	محمود العثماني وباجازت	بيازيد
٦٧	١٥	١٩٣٥	١٩٣٦
٦٧	١٦	افتية	الفيئة
٨٠	١٥	٨٥٤	١٨٥٤
١٩٩	١٣	استوقت	استوفت
٢٣٨	١٦	دارفو	دارفور
٢٤٠	٤	بيشرون	بيشرون
٢٤٩	٤	ارتيا	ارتيريا
٢٦٦	٣	لااصوات	اصوات
٣٦٦	١٤	الماءش	المعاش
٣٤٢	١٣	بجانه	بجاية
٣٦٦	٤	السيدين	السيدابن
٤٢٠	٧	عبد الرحمن الغافقي	عبد الرحمن الناصر
٤٣٣	٢	فكزياً	فكرياً
٤٣٧	٩	صمارح	صمادح
٤٥٣	٥	مباسة	مماسة
٤٧٨	١٦	عملة	عمله
٤١٨	٤	طعة	طعمة
٤٣٥	١٥	علمانا	غلمانا

الطبعة الاولى